الملاذ الأخير

مجموعة قصصية

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2020/2570

I.S.B.N: 978-977-6799-10-3

تصميم الغلاف: حسن العربي.

الإخراج الفني: محمود ربيع.

المديـــر العـام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

الملاذ الأخير

مجموعة قصصية

فريق نوفيستوري ٢٠٢٠

نوفيستوري...من الصفر وحتى النشر

نوفيستوري

من نحن؟!

نوفيستوري... ورشة لاكتشاف الموهوبين في كتابة «القصة القصيرة والرواية»، تأسّسَت في العام ٢٠١٩ ميلاديًا بالتعاون بين:

الكاتبة **أميرة حسن الكيكي**

والكاتب **أحمد الطوبجي**.

أهداف الورشة؟!

يعد الهدف الأساسي للورشة هو إثبات أن ذلك المجتمع لا زال يملك قدرًا من الجواهر الثقافية وإن كانت قابعة بالقاع؛ لذا فإن هدف الورشة الرئيسي التنقيب عن تلك المواهب الدفينة وإبرازها بالمكان الملائم لها، ووضعها على بداية طريق الحياة الأدبية النزيهة بالتعاون مع دور النشر التي تسلك نفس الدرب، بعيدًا عن الاستغلال المادي لطموحات الشباب ومواهبهم؛ لذا فعلى مَن يجد بنفسه الموهبة الانضمام إلينا الآن ودون تفكير.

للانضمام إلى فريق العمل برجاء الاتصال بأحد الأرقام التالية:

01270992744

01227662741

أو التواصل معنا عن طريق الفيسبوك:-

https//:www.facebook.comWR.AHMEDTOPGY

إهـــــداء

إلى روح الكاتـب الكبـير والأب الروحـي د. أحمـد خالـد توفيـق...

نهـدي إلى روحـك الطاهـرة تلـك الكلمـات المتواضعـة، واعلَـمْ أننـا علـى دربـك سـائرون؛ فأنـت مـن جعَـلَ الشـباب يقـرأون، ونحـن سنسـعى -وإن كنـا أقـل مـن ذلـك- لجعلهـم يكتبـون.

صـدر لفريـق نوفيسـتوري مجموعـة قصصيـة بعنـوان «حـدث في العاشـرة والنصـف».

والآن...

السـيدات والسـادة الكـرام.. نقـدم لكـم ثانـي أعمـال ورشـة نوفيسـتوري، ونتمنـى أن ينـال إعجابكـم..

الفصل الأول

وهم الشانزليزيه

١- ظل حائط.......... رنيم الشربيني

٢- أربعة أقمار......... نور العربي

٣- الوجد.............. فاطمة محمد

٤- كيف أصنع روحًا؟............ سارة الشافعي

٥- وهم الشانزيليزيه............ نهى رضوان

١ـ ظِلُ حائط

رنيم محمود

تتلاعب بالحلقة الذهبية بين يديها حائرة في القرار.

أغلقتُ الكتاب مرة أخري ومددت يدي لفنجان القهوة، وشاركني في ذلك حبات المطر المتساقطة فوق الزجاج؛ ليكمل اللحن الحزين.

وكل ما جال في خاطري؛ هل تترك بطلة الرواية البطلَ أم تستمر؟! لا أعلم هل حقًا كما يقال في الأمثال الشعبية ظِلّ رجل ولا ظِلّ حائط ؟

قاطع تشتّت أفكاري شابان في مقتبل عمرهم، يا إلهي! أظهر كسيدة عجوز بطريقة كلامي!

لم يكن من طباعي يومًا التركيز مع الآخرين والاستماع إلي أحاديثهم، ولكن لا أدري ماذا حدث؟! ربما انفعالاتها أثناء الحديث، أو تلك الابتسامة السخيفة على شفتيه، أو هروب من التفكير في حياتي، ولكن أعتقد أنه كان ذلك السؤال الذي بدا لي وقتها كالأسئلة الوجودية؛ فحقًا صراخها بجملة (ممكن أعرف انت حيِّيْتِني ليه؟!) ذلك ما جذبني.

لا أعرف لمَ؟! ولكني وجدتُ ذلك السؤال في صعوبة كيف بدأ الخلق! وانتبهتُ بكافة حواسي لأستمع إلى الإجابة.

فبدأ يخبرها والابتسامة تعلو وجهه عن مميزاتها، وكيف أنها خير من يؤتمن على بيته وتغزّل كثيرًا في جمالها وجسدها، وكيف هي بارّة بأهله وأهلها، وعن معدنها الأصيل.

توسعَت ابتسامتي كلما مدحها، ظنًا مني أنها تأكّدَت من مقدار حبه وأنها نالت من المديح ما يكفيها لأعوام، وقررتُ بداخلي أنّ على بطلة الرواية الاستمرار.

ولكني فُوجئت بالفتاة أمامي تنزع الحلقة الذهبية المحيطة بأصبعها وتضعها على الطاولة أمامهما بابتسامة خائبة الظن، قبل أن تقول:

– سألتُكَ لمَ أحببتني؟! لم أسألك عن مميزاتي، وددتُ لو أخبرتني أنكَ لا تعلم السبب، وأني رغم عيوبي وجدتَ نفسك تدنو إليَ دون إرادة وتقع في عشقي، أنت أحببتَ مميزاتي؛ فلو رحلَت يومًا هل ترحل معهم؟

أنهت الفتاة حديثها ولم تنتظر ردًا، بل أمسكت حقيبتها وانصرفَت؛ لتجعلني أخيرًا أُدْرِك خطأ قراري، ولمَ ظِلّ الحائط قد يكون أحيانًا أحسن؟

فهمت الآن لمَ على بطلة الرواية الرحيل! الأمر أكبر من مجرد مديح؛ فالبطل أحب مميزاتها، فهل إذا اختفَت سيختفِي أيضًا؟!

تمت بحمد الله

٢ـ أربعة أقمار

نور العربي

دقت الساعة الخامسة صباحًا، لم يستيقظ أحد من النوم حتى الآن، اعتدتُ أن أُظلم البيت بأكمله بعدما ينامو لأستيقظ أتحسّس البيت في ظلامه الدامس، وأنا ألمس الجدران المعكوس عليها ضوء خافت من الشبابيك الضيقة.

كان بيتنا غريبًا، وكنت أعيش فيه كالغريبة أيضًا!

أنا «آسيا» وهذا نعم اسمي، يتلعثم الكثير ويتساءلون لدقائق الاسم كالقارة أم كفعل القسوة، كان الجميع لا يتوقع هدوئي وأنا أعيد عليهم الحروف وأنا لا أهتم، كنت لا أهتم بأي شيء في حياتي إلا لعبِي لكرة اليد؛ فهي بالنسبة لي أهم حافز قطّ؛ فكنت أتمنى أن أصير لاعبةً عالمية كبيرة، وأنا الآن فتاة عشرينية ولا زلتُ صغيرة وسأصل لها.

ولدتُ في أسرة مكوّنة من ٧ أفراد، أنا وأمي وأبي وثلاث أخوات فتيات أخريات، وأخي الأكبر سامر.

أحببتُ أن أنهي يومي كعادتي وسط العالم الافتراضي، ووسط الأخبار، وجلوسي على الأريكة الكبيرة وأنا ساقطة في منتصفها!

نهضتُ بعد ساعات لم أعرف عددها؛ لأحضّر نفسي لدرسي المميز؛ درس اللغة الإسبانية، فأنا أتميّز بمحبتها عن كل اللغات، كنت وكأني أُنهِي كل المشاعر البغيضة قبل دخولي للمدرج.

دخلت وألقيتُ السلام على أستاذي أستاذ إبراهيم الوسيم، كان يملك من الوسامة الكثير، عيناه العسليتان وشعره الكثيف وطوله مع أناقة ملابسه جعلتني كلما رأيتُه رَفْرَف قلبي عشقًا! نعم هو أستاذي الأكبر مني بسبع سنوات فقط، أحببته منذ خمسة أشهر تقريبًا ولم يعلم أحد عن هذا الشيء، وتوهّمتُ كثيرًا، فإنه يبادلني نظراتٍ من حين لم أعلم سببها أبدًا.

خرجتُ من حصتي وذهبتُ لبيتي ووصلت، حتى جاء الليل.. ليل لم أعلم عنه سببًا غير أني رأيتُ صواعقًا في السماء! صواعق! نيران متشبثة في السماء حتى وإن اختفت، قُبض قلبي حينما رأيت القمر ليس في مكانه وتحوّلَ بدلًا من قمر إلى أربعة أقمار!

نعم لا تسخر مني إنهم أربعة، كيف لشخص عادي مثلي يرى أربعة أقمار من شرفة على كوكب الأرض ولم يرتجف كهذا! ظللتُ أصرخ بداخلي كيف؟! أربعة؟! كان يوجد اثنان خلف بعضهما البعض متداخلين بشكل عشوائي، ويوجد الآخرَان بداخل بعضهما؛ الصغير بداخل الكبير بشكل شفاف تكاد العين تراهم جميعًا.

لم أشعر بنفسي حتى سقطتُ أرضًا، واستيقظت اليوم الثاني في معاد درسي وتأكدتُ في قراره نفسي أنه حلم سخيف، وأحضرتُ كل شيء بسرعة البرق وذهبت، لم أعلم ما الذي حدث؟! ولكن أستاذي المبجل

قلبَ المكان رأسًا على عقب، المكان يختلف الكثير، حتى رأيته يناديني لأجلس بجانبه، أجلس بجانبك؟! لِمَ؟! قالها صراحةً؛ لأني متميزة عن الجميع، ظللتُ جالسة وأنا أشعر بدوار من التفكير؛ ما الذي يحدث؟! ولماذا أنا؟! والأعين التي تخترقني لماذا فعل هذا؟! حتى وأنا لم أركّز في شيء لم أتوقع أنه أنهى جلسته معهم والمدرج قد فرغ من الناس، لأسمع صوته يفيقِني من كل هذا «قومي اشربي، دي قهوة هتفوّقك».

اعتدلتُ في جلستي وحدثني كثيرًا عن نفسه، حتى قال «خلّيتِك جنبي عشان أنا بحبك!»

ماذا؟! مَن يحب مَن؟! جاء في عقلي فكرة أن أقول له يسرد كل هذا مرة أخرى، ولكن سألته سؤالًا آخر..

قلت له «مين؟»

ظل يحدثني عن حبه الكبير لي، وأنه كلما رآني علم أنني له هو فقط، وأنه تمنى أن يعيش معي لآخر عمري، كان يحكي وأنا أتأمل تقاسيم وجهه، كم كان جميلًا! فإن الحياة بدأت تبتسم لي، وسرعان ما جلست بجانبه وظللنا نسرد الكثير من القصص حتى انتهَى يومي وذهبتُ فَرِحَة مرهقة إلى البيت، بعد ساعات كثيرة بدأتُ التجول في غرفتي، ونظرت في الشباك ووجدتُ الأقمار كما هي، كأني راهنتُ أن يراها أخي هذه المرة، وظللتُ أنادِي عليه وأنا حريصة على النظر إليها؛ كي لا تهرب ككل ليلة! جاء أخي، وقُلت له:

– بص ف السما كدا.

لم أعلم لمَ رد علي ردًا لم يتغير فيه ملامح وجهه، حيث قال:

- فيه إيه؟

نظرتُ إلى السماء وجدتُها باللون الرمادي المغيم الذي يعلن عن هبوط الأمطار، بدأت أسرد عليه قصة الأقمار الأربعة وكيف كانوا، ظل يضحك بشكل هستيري، وأنا كنت أعبث كالمجنونة في أدراجِي أن صورَتَهم هنا، لا هناك.. إنهم بجانب السرير، بين لوحاتي الكبيرة أو الصغيرة في الدفتر، في الدفتر.. إنهم في الدفتر الكبير، انتظر انتظر سأجدهم، بدأت دموعي تتساقط وأنا أصيح فيه:

- سأجد الأقمار هنا أو هناك.

وجدت الأجندة الصغيرة، ووجدتُ رسمة فيها بشكل كروكيّ، وبجانبها كلام لم أهتم لأن أراه، وقُلت:

- أهُم، دول! أول ما شوفتهم رسمتهم.

قال لي وهو يشير للورق لأن أقرأ ما الذي أدونه بجانبه.

إنها الدوائر الهندسية التي اعتدتُ أن أرسمها في كتبي وأوراقي، ودونتُ بجانبها تفاصيل الرسمة لكي أنقلها في صفحة بيضاء للرسم.

أجهشتُ في البكاء وأنا أقسم أنهم أربعة أقمار، ولم أجد تفسيرًا لهذا! إنهم أربعة.. والله أربعة!

إنهم في السماء يظهرون لي أنا فقط! لمَ؟!

بدأتُ أبكي، حتى أيقظتني أمي وأخوتي بمزاحهم المعتاد، حتى تعالت أصواتنا ضحكا، لم اعلم ما الذي يحدث ولكني ثبّتُّ كاميرتي الخاصة على النافذة، وحدّثتُ أخوتي ألا يلمسها أحد إلى أن أعود ليلًا، كان

اليوم أيضًا ميعاد الحصة الأخيرة في الشهر لدرس الإسبانية، ذهبتُ بعدما تزيّنتُ بشكل ملحوظ لحبيبي ولنفسِي أيضًا، فتحتُ الباب ولكني صُدمْتُ أنني وجدتُ في الداخل مطعمًا! بدأتُ أبحثُ في الشارع عن المكان لربما تُهْت، ولكن هو المكان! مكان كل مرة! كيف يتغيّر؟! دخلتُ وبدأتُ أسأل أين أستاذي وطلابه والمكان؟ وكان الكل يستغرب حديثي، حتى ألحقَتْنِي إحدى الفتيات وألقَت عليّ كلامًا مرعب؛ أنني آتي كل يوم وأجلس هنا وغدائي هنا!

إنني أعلم أني أكره الأكل في المطاعم، ولا أحب طعام أحدٍ غير أمي.

خرجت وأنا أقسم أن كل هذا هراء، ظللتُ أمشي في الطريق وأتساءَل، وقد وجدتُ حفرة في عقلي لم أُشفَ منها، كان الكل ينظر لي نظرات لم أعلم لها سببًا! فقد كنت لا أعلم كيف؟! ظللتُ أبحث في الشوارع عن أي شيء يُثبِت صحة حياتي أو ما أقوله، الكل ينظر لي كمنبوذة، لابد أن أعود لكهفي حتى لا أعكر صفو سيرهم في الدنيا.

ركبتُ أحد مواصلات النقل في شوارع مدينتي، ولم أرفع عينيّ من الأرض، كنت أشعر بالإحباط والحزن الشديد، وكأنّي سجين خرج وعلم أن السجنَ ليس بحجرة السجن هنا.

أنا لم أعلم شيئًا! أنا تائه..

– رايحة فين يا آنسة؟

رفعتُ عينِي للسائق المزعج الذي أفاقني من شرودي ولم أتوقع، من! إنه هو!

– أستاذ سامح؟!

نظر لي نظرات استغراب، وقال:

- مين! أنا اسمي إبراهيم.

نظرتُ له وكادت عيني تخرج شرارة منها، وقلت بصوتٍ عالٍ:

- انت شخص خاين وحقير وضحكت عليّا وخدعتني!

نظر لي بسخرية لم أعلم سببها، ولكنها ليست صفة جديدة عن أشباه الرجال:

- يا ستي أنا لسّه عارفِك دلوقتي.

تساقطَت دموعي على وجهي مثل انهيار جبل من الجليد، وبدأتُ في سبِّه ولعنه حتى طردني خارج السيارة وذهب.

كنتُ كالمجنونة أسير في منتصف الليل في الشوارع وأبكي بأعلى الأصوات، وأنهار حتى أرجع لأن أهرول على شيء لم أعلمْه.

كاد عقلي يُشتّ من الحديث:

مجنون! مجنون غبي، كلهم أغبيا.

تذكرتُ أمي المتوفاة هي وأخوتي في حادث من سبع سنوات، وأبي المتزوج ولم أعلم عنه شيئًا!

كنت أسير بأكبر سرعتي وأضحك بصوتٍ عالٍ جدًا، ما هي الحياة إلا أنني وحيدة! أستاذ سامح أصبح سائقًا، ونظرتُ نفسي في أحد العربات وجدتني سيدة في مقتبل الأربعينات من عمري وشكلي كالشحازين! هه! هذا حقيقي، إني كنت في كامل أناقتي من قليل.

صعدتُ إلى البيت بعد أيام غير معدودة في الشارع، وسمعت أحدهم يقول وهو يغلق الباب:

- توب علينا من الجنان يا رب.

دخلتُ وتجردت من ملابسي، ووجدتُ الكاميرا مثبتة مكانها مليئة بالتراب وكأنها شيء أثري! ما أن نظرتُ في شاشتها وجدت أنه قمر واحد، لعنتُها ورميتُها أرضًا، ونظرتُ في السماء؛ فوجدتُ أنهم أصبحوا ثلاثة أقمار فقط، ابتسمتُ وأغلقتُ شباكي لأرسم شكلهم الجديد أيضًا، وجدتُ دفترًا مدوّن عليه «أنا فاطمة، لا أهتم بأي شيء إلا الرسومات الفلكية!»

قلت له «مين؟»

ظل يحدثني عن حبه الكبير لي، وأنه كلما رآني علم أنني له هو فقط، وأنه تمنى أن يعيش معي لآخر عمري!

تمت بحمد الله.

٣ـ الـــوجـــد
«هو الحب الذي يتبعه حزن»

فاطمة محمد

في صباح شتاء جميل وبارد جلسَت تلك الفتاة على شاطئ البحر، وتُتابع أمواجه أمامها في منظر رائع وطقسٍ أشد روعة من المنظر، وتستمع لصوت ارتطام الأمواج كأنها موسيقى خلّابة تسحر أذنيها، وكأن تلك الفتاة جالسة في جنتها وليس في دنياها، ثم بدأت تتذكّر، وأخرجَت قلمها وبدأت لمهرها الوحيد من دنياها، وأخذت تكتب...

(إليك أيها القريب البعيد..

قد مرّ عامان.. مرّا سريعًا، ولكن مرورهما لم يكن كمرور الكرام، كل يوم كان يغيّر شيئًا في نفسي حتى أصبحتُ لا أعلم من أنا!

كل ساعة كانت تسلِب عقلي مني!

كل دقيقة كان يفقد قلبي قطعة منه!

كل ثانية كانت تأخذ روحي مني!

لا لستُ قاسية يا عزيزي، لا أتذكر هذا الجزء السيئ من قصتنا

فقط، ولكن أغلب القصة كذلك مع الأسف، كان الجزء السيئ ينتصر على الجزء الجميل دائمًا! أتدري؟ يأتي إلى ذهني قول الست «كنت بخِلِصْلَك في حبي من كل قلبي وانت بتخون الوداد من كل قلبك، بِعْت حبي ليه؟!» وهذا هو ملخص قصتنا أيها الغريب...

أتعلم!

إنني أتذكّر أول لقاء لنا الذي كان في مثل يومنا هذا، أتذكره جيدًا وأتذكر ضحكاتنا.. حديثنا، حتى رنين هاتفي الذي قطع منتصف حديثنا، حتى لقاء أصدقائك!

وحتى تلك الوردة التي أشعلَت نار حبك في قلبي، أتذكر كل هذا، وأتذكر كم مرة ناديتني باسمي، وكم مرّة نظرتَ في عيني وكل هذا الحب الذي كان فيها)

ثم تغلق الفتاة ما كتبَت لتسمع صوت أم كلثوم يأتي من مكان ما بعيد..

«انت فين والحب فين، ظالمه ليه دايمًا معاك؟ ده انت لو حبِّيت يومين كان هواك خلاك ملاك»! وكان ذلك آخر ما سمعته تلك الفتاة.

****

«يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا»

استيقظَت ريما على صوت الأغاني وزغاريد أمها، وصياح صديقة طفولتها بفرحة غامرة وهي تغني وتبارك لها، وكأن أصوات الطبول والأغاني في المنزل تعلن عن السعادة القادمة

- عارفَه؟ محمد ده أحلى حاجة في حياتي.

قالتها ريما وهي تنهض من سريرها وعلى وجهها ابتسامة لا تنطفئ.

- عارفَه يا بنتي... ربنا يسعدك.
- ماما، بُكرَة أهم يوم في عمري، أنا متوترة جدًا.

يقاطع حديثها صوت صديقتها مندفعة:

- متوترة من إيه بس؟! يلّا يا عروسة عشان نلحق بروفة الفستان.

****

كانت كالملكة بفستانها، وقد زادت حمرة وجنتيها من جمالها مع تسريحة شعرها وخصلاته الناعمة، كانت مرتبكة للغاية، حتى أنها ارتعشَت وهي تمد يدها له؛ ليضع ذلك الخاتم في إصبعها، ذلك الخاتم الذي حاربَا كثيرًا من أجله.

همس في أذنها وعيناه تنظر مباشرة إلى عينيها:

- مبروك عليّا انتِي، مبروك عليّا إنك بنتي وصديقتي وحبيبتي وأختي وخطيبتي.
- انت اللي مبروك عليّا، انت حياتي كلها.

كانت تعشق ابتسامته تلك كثيرًا ونظرة عينيه الموجهة إليها، كانت له نظرة خاصة، كانت نظرته تدخلها في شواطئه لتغرق هي فيه، وابتسامته تسحرها كالمجنونة لا تعلم ماذا تفعل أمامها؟! فقط تبتسم عند ابتسامته وتفعل ما بوسعها؛ ليظل هو مبتسمًا هكذا.

****

- كنت متأكدة إني هلاقيكِي هنا... حرام عليكِي يا بنتي اللي بتعمليه فينا ده، قافلة تليفونك ليه؟

- عشان الأستاذ لو فكّر وجيت على باله يكلمني مايعرَفش يوصلّي.

- وانتِي فاكرَه إنه مش هيعرف يوصلّك فعلًا، انتِي عايزَه تطلّعيه غلطان وبس، صح؟

- لا أنا عايزَه أحِسّ إن أنا فارقَة معاه، عايزَاه يعرف إني بزعَل من ده ومايعملهوش، قولتلُه مليون مرة أنا مابستَحْمِلش الحياة من غيره، وهو عايز يسيبني.

وما أن أنهت جملتها حتى تركَت العنان لفيضان دمع عينيها ليسيل، أخذتها صديقة طفولتها بين ذراعيها وأخذت تطمئنها:

- انتِي عارفَه إني مش بيهُون عليّا زعلك أبدًا، انتِي عارفَه إني مابستحملش أشوف دموع عيونك دي أصلا، أقولّك ارميله دبلته لو هيزعلّك كده.

- بس بس، بعد الشر طبعًا، ربنا يخلينا لبعض.

****

الساعة ٩

كانت تسير مسرعة وهي تحدّث نفسها:

- اتأخّرت جدًا على المحاضرة، ده أنا كمان معرفش مكانها فين أصلًا، الجامعة طلعِت عالم تاني فعلًا.

ذَهبت إليه وهي حائرة تفكر في أمرها؛ هل تسأل أحدهم أم تظل

في طريقها؟ لا تعلم أين وجهتها، وتظل في متاهتها هذه..

- لو سمحت عايزَه أعرف مدرّج ٢ فين؟

التفَتَ إليها بنصف وجهه قائلًا:

- في آخر الممر يمين.

وما أن سمعت صوته حتى ظلّت مكانها كالصنم لا تستطيع الحراك، وكأنها تحلق في الهواء ولا تستطيع الأرض أن تحملها، كان قلبها يخفق بشدة، خاصة بعد أن نظر إليها بعينيه اللتَيْن بلون البُنّ تمامًا، وارتسمَت على شفتيها ابتسامة بلهاء.

- فيه حاجة يا باشمهندسة؟!

- هاااه، لا أبدًا ولا حاجة شكرًا... عن إذنك.

وأخذَت تجري وكأنها تهرب من نفسها، كانت تريد أن تهربَ من ذاك الشعور الذي في داخلها، كانت تعلم أنها ستحبّه من أول لقاء بينهما!

******

قبل شهور من يوم الخطبة..

تجلس على سريرها في ظلام حالك وهدوء شديد إلا بعض أصوات الموسيقى الخافتة، ممسكةً بهاتفها وتتحدث عبر موقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك»، وكل حواسها مع هاتفها بتركيز شديد!

- يعني فيه قبول؟

- أيوَه.

- طيب أنا عايز أقولّك إني بحبّك ومعجب بيكِي من زمان، وماكُنتش عايز أقولِّك عشان ماكُنتِش عايز أخسرك.. كنت خايف.

رأت تلك الكلمات ولم تصدّق عينيها، هل هو من يحدثها أم أن أحدهم قد أخذ منه الهاتف عنوة ليحدثها منه ويكتب لها هذه الكلمات التي أنارت قلبها؟! كانت تقفز فوق سريرها كالأطفال، وتصيح بصوتٍ انفعاليّ «بيحبنييي»، ابتسامتها وفرحتها تنير كل شيء، وتأكّدَت أن قلبها كان يخفق بشدة فعلًا عندما رأته لأول مرة، أمسكَت الهاتف مرة أخرى لتأتي إليها رسالة أخرى:

- انتِي يا بنتي؟

من شدة سعادتها نسيَت أن تجيب عليه!

*****

(إليك أيها القريب البعيد..

أعلم أنني تجاوزتك، لكن حقًا لا أعلم إلى متى ستظل في ذاكرتي؟! إلى متى سيظلّ ذلك القلب يشتاقُ إليك كل مساء!

وتلك اليد تودّ أن تكتب إليك كل صباح!

وذلك اللسان يريد أن يحدثك قبل نومه كل ليلة!

وذلك العقل يفكر بكَ مهما بلغَت همومه قِمَم الجبال! وعيني.. لماذا ظلت تلك الأذن تود سماع -ولو اسمي فقط- تلفظ بِهِ من بين شفتيك؟!

تعلم أن اسمي منك كان له موسيقاه الخاصة التي تطربني

وعيني... لماذا تظل تفتقد عينَيك الجميلتين!

ليتك تركتَ لي موعدًا محددًا لأواسي ذلك القلب الذي انفطر كما انفطر فؤاد أم موسي على وليدها، ولم تتركني هكذا عاجزة أعاني فقدك.

وأخرج من نفسي إليك في كل وقت! أشتاق إليكَ ولا أستطيع وصالك! أي قسوة هذه؟!

ابيَضَّت عيناي من الحزن يا عزيزي، ألم تعلم أنكَ كنت يوسف خاصتي! ولكن من يأتي إليّ بقميصك؛ لأتذوّق الفرح مرة أخرى؟!)

****

في ليلة شديدة البرودة.. جلست هذه الفتاة وعيناها تفيض دمعًا، وتلك الهالات السوداء تلعنها كلما نظرَت لنفسها بالمرآة، أصبحَت هي وتلك العصا واحدًا لا فرق بينهما، بل حتى العصا تستطيع أن تحمل نفسها ولكن هي لا تستطيع! تجلس وهي مرتدية لباسها الأسود، أصبحَت تعشق لبس الأسود وتديم عليه منذ فترة.

دخلت أمها فجأة؛ فوجدتها غارقة في ذاك الصندوق الأسود الذي به كل أيامها.

نادَت الأم عليها، ولكن كان تركيز الفتاة في الصندوق أقوى من صوت الأم، وكأنها كانت غائبة عن الوعي تمامًا، عيناها تحظان به فقط!

– ريماااا ريماااا يا بنتي.

أفاقت من صراع نفسها وغرقها في ذكرياتها علي صياحِ أمها، ثم

رفعَت رأسها بصعوبة لتشاهد أمها تقف على باب الغرفة، حاولت أن تحرك ثقل لسانها لتقول:

- أيوَه يا ماما؟ حضرتك بتنادي؟

- بنادي بس؟! حرام عليكِي يا بنتي اللي بتعمليه ده، يلّا هاتي الصندوق ده، هما أولَى بيه دلوقتي، انتِي خلاص مش هتحتاجيه، يلّا يا بنتي اسمعي كلامي، أهلُه برّا وعايزينهم خلاص.

صرخت الفتاة:

- لا لاا سيبولي حاااجتي، محمد ماينفَعش يسيبني، أنا قولتلُه مش هعرف أعيش من غيرك، ازاي هعرف أعيش كده؟! ازاي؟!

****

أفاقت من شرودها، وكان آخر ما سمعته صوت أم كلثوم قبل أن تتذكر موعدها الأسبوعيّ، هرولَت سريعًا، وما أن وصلت إلى ذلك المبنى؛ فصعدت الدرج مسرعة، وذهبت إلى المكتب وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها جاهدة، وتمسح عرق جبينها وتقول:

- لو سمحتي كان عندي ميعاد عند الدكتور من نص ساعة، أنا عارفَه إني أتأخّرت، بس قوليلُه ريما عبد الرحمن برّه.

انتظرَت في فراغ قاتل، إلى أن أتاها ذلك الصوت:

- أستاذة ريما اتفضّلي، الدكتور في انتظارِك.

*****

بعد أربع سنوات من يوم الخطبة...

جلس محمد على طرف تلك الأريكة في صالون بيت ريما، يحرّك أصابعه، حتى أتَت إليه ريما وهي عابسة الوجه، وجنتاها في احمرار متزايد بسبب غضبها، وما أن رأته حتى أفرغَت كل غضبها به.

- عاايز تسافر وتسيبني يا محمد؟ ليه؟

- هو انا قلت هسيبك خالص! أنا قولتلِك هسافر سنتين أكوِّن نفسي ونرجع نتجوز، يا ريما انا ماعِييش نص تمن الشقة حتى، واحنا بقالنا أربع سنين مخطوبين، طب وآخرتها إيه؟

- اتصرف.. مش هسيبك تسافر، انتَ ماينفَعش تسيبني.

- هسافر يا ريما.

****

- ربنا يخليكوا لبعض، هو أنا قلت حاجة! بس خلاص ماتزعليش، انتِي عارفَه إن هو سافر وعمل كده من وراكِي عشان مصلحتكم، وامسحي دموعك دي خلاص.

أخرجت ريما من حقيبة يدها منديلًا ورقيًا وأخذت تمسح به دمعها الذي سال، وقالت:

- يا رب يرجع بالسلامة، أنا هفتح التليفون أطّمّن عليه، قلبي مش مطاوعني أعاند معاه رغم كل اللي عمله.

****

- صلاة الغائب..

قالها الإمام بصوته الجهوري وخلفه تلك الجموع بلباسهم الأسود، وما

أن سمعَت تلك الجملة حتى نظرت إلى تلك الحلقة التي بإصبعها، وهي تحدث نفسها:

- يعني هُنْت عليك تعمل فيّا كده؟!

بعد انتهاء الصلاة وأخذ التعازي ذهبَت ريما إلى أمها لتقول لها:

- ماما، محمد ماماتْش، أنا عارفَه، أنا لسّه بعتالُه رسالة ومكلّماه، ماماتْش صدقيني.

****

على تلك الصخرة المحبّبة لقلبها، وعلى قرب من البحر تمامًا كان يجلس محمد وريما ممسكة بيديه بشدة.

- محمد، اوعى تسيبني في يوم، أنا ماقْدَرش أعيش من غيرك.
- أسيبِك ازاي بس يا حبيبتي؟ ماتقلقيش مش هيحصل.

******

- أستاذة ريما اتفضلي.

قالها الطبيب، وما أن سمعتها ريما حتى دلفَت إلى تلك الحجرة بخطوات متثاقلة والخوف واضح في عينيها.

- ازيِّك أستاذة ريما، عندي أمل إنك تكوني اتحسّنتِي وألم الصدمة مرّ شوية.
- مش صدمة.. دي مش صدمة، محمد ماماتش أنا عارفَه.

قالتها وهي تصرخ بأعلى صوتها، هي تكرَه هذا الطبيب وتكره تكرار

كلماته أن حبيبها قد مات، ولكن تجبرها أمها للتعامل معه، لا أحد يصدقها.

- طيب ممكن أعرف لو هو ماماتش زي ما بتقولي.. مش بيكلّمك ليه؟ وانتِي زعلانَة وبتعاتبيه في رسايلك ليه؟
- دي حاجة بيني وبين خطيبي، هو سافر وسابني.
- طب ممكن نتكلم من الأول خالص؟ احكيلي عنه.

وبعد انتهاء الجلسة نهضَت من على الكرسي منزعجة، وأخذت تضرب في كل شيء أمامها عرض الحائط، وتصرخ بأعلى صوتها وعيونها جاحظة في شكل مرعب، وخصلات شعرها متناثرة، كان صوتها مخيفًا مثل صوت الرعد في ليلة شديدة المطر، وهي تصرخ:

- أنا عارفَه إنه مات، عارفَه إن كلكم معاكم حق، أنا مش عايزاه يموت، بُعدُه عني وهو في الدنيا أرحم من إنه يكون قريّب مني وجوايّا وهو ميت، أنا زعلانَه منه عشان مات مِش عشان سافر، سابني ازاي يسيبني؟

لتسقط مغشيًّا عليها بعد ذلك، ليتساءل الطبيب وهو يحدث نفسه

- أية وعود هذه التي تتسبّب في دمارنا؟ لمَ لا تفكر هي في أي شيء سوى حبها لمحمد وعدم بعده عنها، لم تفكر في حياتها قط حتى أصبحت مريضة به؟ آمل أن تشفَى منه بعد كل هذا.

تمت بحمد الله.

٤- كيف أصنع روحًا؟!

سارة الشافعي

كنا سويًا على الطريق.. لم تبدُ لي نهايته.. كنتُ سعيدة لأنني معه، وكان طوال الطريق يزيد سعادتي، ولكن سرعان ما اقتَطَع الطريق سيارة.. صدمته.. تألّم.. التصق بالأرض.. نادَيتُه وردّ الموت بصمته.

تناثرَت روحه من حولي، ثم طارت كالفراشات.. كم جميلة! تتباهى بمحاسنها.. ببراءتها وسط الذئاب، تبتعد وتتبعها روحي.

- آآآآه.. بدأت أتنبّه لروحي.. روحي تذهب! بدأت أختنق والجسد ما زال ملتصقًا بالأرض، وآخر ما رأيته حشود الناس عند مفترق الطريق.
- أفقتُ في المشفى.. أمي، أبي، والناس من حولي، ولكني لم أسمع صراخ روحي.. وسرعان ما رأيتها، لقد صعدتُ مع الفراشات وجعلتُ أحكي.

وسمعتُ الناس يأسَفُون.. يتنهدون، وأحيانًا يبكون، ولكني لم أسمع صراخ روحي.. لم أشعر بشيء، بحثت عن روحي.. وذهبتُ إلى مثواه علّني أجدها!

و لكني لم ألمح غير اسم واحد فوق نخبة من الزهور.. آه... ذلك الموت ضرب روحَيْن بحجر واحد؛ فسال دم واحد ومات قلب واحد، ولكن الثرَى احتضَنَ جسدًا واحدًا، وترك جسدًا آخر بلا مأوى، ودربًا بلا رفيق.

لستَ كريمًا أيها الثرى؛ فما رحِبتَ أبَيتَ أن تأوِي جسدي كما أبيتَ أن ترد إليّ روحي، وكيف أبيتَ أن ترد إليّ روحي؟! وكيف أصنعُ روحًا وقد ذهبَت أعالي السماء؟! أخبرني وسوف أتّبِع ما ستقول.. كيف أصنع روحًا؟!

مرت ثواني.. لا زلتُ أضغط بيدي على الأحجار الباردة، ثم سمعتُ إجابة لا أدري أتأتي من أعماق الثرَى أم من روح حبيبي أم من السماء؟! سمعت صوتًا يقول «من الحب»! انطلقَ صوتي يختلط بالبكاء:

- آه.. لا تذكرني بالحب.
- الحب يولد كل يوم.
- أخذتَ الحب وصنعتَ له مهدًا من خشب.
- أخذتُ حبيبًا ولم آخذ الحب.. الحب من الله لا يقدِر أن يقتله أحد، الله يعطى الحب، فقط تمنّيه وستجدين الأمل.

ساد صمت لم تقطَعْه سوى أصوات الطيور، أغمضتُ عيني رغبةً في النوم، ومرت بعض ذكريات..

الشاطئ وأنا صغيرة.. الأمواج.. كنت أقفز وكانت تضربني، عيون بعض الأصدقاء.. رغبتهم في الهروب من المحاضرات.

أبناء خالتي.. كم نتشاجر! ولكني أحبهم.

فتحتُ عيني على سيول من الدموع، ولكني أحسستُ أيضًا بفمي ينفرج، ثم تذكرته وتمنيتُ أن يرحمه الله وأن أراه في الجنة.

عاودني النوم.. هممتُ بإغماض عيني، ولكن.. لمحتُ روحًا تشبه الطير، لكنى لم ألمح الفراشات..!!

تمت بحمد الله

٥- وهم الشانزيليزيه.

نـهـى رضـوان

لم تتعافَ «نورسنا» بعد كل هذه السنوات التي مرّت؛ فهي لا زالت تضمد جرحها؛ فقد أحبَّت «خالد» بصدقٍ، أحبت ذلك الإنسان حبًّا جمًّا.

فمنذ خمس سنوات قررت «نورسنا» تجربة البحث عن شريك العمر عبر الإنترنت؛ لأن الحياة لم تسنَح لها الفرصة لإيجاد من سيشاركها قلبها، وبالفعل قامت بعمل اشتراك وبدأت رحلة البحث عن شريك العمر، من بين عشرات الرسائل التي وردَت إليها لفَتَ نظرها رسالة تحمل عنوان «أبحث عن إنسانة صادقة»، ولأنها كانت صادقة قامت بقراءَتِها والرد عليها، وبدأت من هنا قصة حبها.

تبادلا أرقام الهاتف وظل الحديث لا ينقطع إلا في أوقات النوم؛ فقد رأَت في «خالد» ذلك الجانّ الذي تحلم به؛ فهو يشبه رشدي أباظة في وسامته وأناقته، كان يهتم بأدق تفاصيل مظهره على حد وصفها، وكان يكبرها بثلاثة أعوامٍ فقط.

أما «خالد» فقد رأى في «نورسنا» تلك الفتاة الجذابة صاحبة العيون الخضراء والبشرة المخملية، لم تكن على قدرٍ كافٍ من الأناقة مثله، ودائمًا ما كان يخبرها بذلك الأمر، لكنه رآها كتابًا أبيض هو أول من

سيكتب على صفحاته الفارغة.

استطاع أن يخترق فؤادها بالاهتمام والكلام المنمق والحنان؛ فقد روى ظمأً وجدانٍ يحلم بالحب منذ نعومة أظافره، أغرقها في بحر من الأحلام لم تفكّر يومًا في الإبحار لتخرج منه.. استحوذ عليها؛ فلم تعد ترى أو تسمع غيره.

بعد مضيّ عام على حديثهما قرر «خالد» أن يترك فرنسا لمده شهرين ليعود إلى القاهرة متجهًا لرؤية «نورسنا»، وكان للقاء الأول هيبته؛ فأخيرًا سيرى كل منهما الآخر رؤية العين.

وصل «خالد» إلى الإسكندرية في تمام العاشرة صباحًا متجهًا إلى الفندق؛ لحجز غرفته ووضع متاعه، بعدما اتفق مع «نورسنا» على أن يلقاها في أكثر منطقة مشهورة بالإسكندرية؛ حتى يستطيع أن يصل إليها بسهولة، فأخبرته عن سان ستيفانو عند «ستار بوكس» تحديدًا، لم تنم «نورسنا» ليلتها.. ظلّت تحلم بهذه اللحظة، وتعمّدَت أن تذهب باكرًا حتى تكون في انتظاره هناك، وبالفعل رنّ جرس الهاتف «نورسنا»..

- أين أنتِ؟ أنا هناك.

فاستدارت لتبحث بالفرح قائلة:

- ها؟!

- أنا هنا.

ذهب إليها خالد بخطوات ثابتة وواثقة قائلًا:

- وأخيرًا التقينا.

فنظرت له نظره حانية مليئة بالفرح قائلة:

- وأخيرًا.
- ماذا تشربين؟
- كابتشينو فانيليا.. إنه المذاق المفضل لديّ، وانت ماذا تشرب؟
- أريد فنجان قهوة مضبوط؛ فالطريق مرهق والمدينة هنا تضجّ بالزحام كالقاهرة تمامًا.

تناول «خالد» كوب الماء المثلج، ثم نظر إليها نظره تأملية، وقال لها:

- تبدين مختلفة تمامًا عن الصور.
- كيف؟!
- تبدين نحيفة جدًا، لكن لا بأس.

شعرت «نورسنا» بالخجل والإحراج، ثم قالت:

- أبدو كعارضات الأزياء.. عود فرنسي.

وابتسمت حتى تدارك الموقف، لكنها أدركت أنه لاذع في نقده، ثم قالت:

- وأنت أيضًا تبدو مختلفًا.
- كيف؟!
- تبدو أكثر جاذبية ووسامة.

فضحك ساخرًا:

- هكذا أنا أبدو دائمًا.

فقالت «نورسنا»:

- مغرور...

ثم قالت «نورسنا»:

- حدثني عن نفسك وكأنك لم تخبرني شيئًا من قبل، أريد أن أعرف عنك كل شيء منذ كنت صغيرًا حتى الآن.

فقال «خالد»:

- لا شيء جديد، فقط ما أخبرتك به.. دعينا نتبادل الحديث عن هذا اللقاء الجميل، أنا لا أصدق أنّي أراكِ.. أنا سعيد جدًا.

ثم قام بإمساك يدها؛ فزادت حمرة وجنتيها وارتعش قلبها قائلة:

- لمَ لَمَ تقم بمصافحتي حينما التقينا للوهلة الأولى؟!

تبسم «خالد»:

- كنت مرتبكًا ومحرجًا، وهذا أمر لم أعتَد عليه؛ فأنا أشعر معك بأحاسيس لم أشعر بها من قبل.

ضحكت «نورسنا»، وقالت:

- هل هذا أمر جيد؟

تبسم «خالد» قائلًا:

- جيد جدًا؛ فانا أحببتكِ «نورسنا».

ثم طلب منها أن تقوم بتحديد موعد له مع والدها..

- فأنتِ تعلمين أنه ليس لديّ وقت كافي في مصر لإهداره دون

خطوات جدية؛ فأنا أريد أن أسافر وأنتِ بصحبتي.

فصمتَت قليلًا، ثم قالت له:

- أترغب في الجلوس على البحر؟ فأنا أريد أن أذهب معكَ، أريد أن يكون البحر شاهدًا على قصة حبي.

وذهبا إلى شاطئ البحر ليترك كلٌّ منهما الطفلَ النائم بداخله أن يستيقظ، وظلا يجريان ويضحكان ويلعبان.. إلى أن رن جرس هاتف «خالد» وكأنه جرس أيقظهما من الحلم، «نورسنا»:

- هل ستجيب؟

- لا ليس ضروريًا.

ثم نظرت له نظرة تملؤها الغيرة..

- هل تسمح لي أن أعرف مَن المتصل؟

فأجابها:

- إنها شقيقتي.

فتهجمت «نورسنا» قائلة:

- هل لديكَ شقيقة؟ ولمَ لَم تخبرني بذلك من قبل؟! حقًا لقد كنت محقة حين قلتُ لكَ إني أريد أن أعرف عنك كل شيء من جديد.

فتبدّلت ملامحه قائلًا وهو متلعثم:

- لم تأتِ الفرصة لأخبركِ بالأمر، تدعى «لوجين».. تبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، أي أنها تصغرك بستّ سنوات، تعيش معي في

فرنسا، ولكنها تقطن في حي آخر غير الذي أقطنه؛ فهي تعيش في سان جيرمان وتدرس مجال الأزياء، ومن المحتمل أن تأتي إلى مصر قريبًا.

فضحكت «نورسنا»:

- رائع.. من المؤكد أننا سنكون صديقتين.

ثم همهمت:

- إذَن لماذا لَم تُحِب عليها؟! فمن المؤكد أنها تريد أن تطمئنّ عليك.

فأنهى «خالد» الحديث قائلًا:

- لا بأس.. سأعاود الاتصال بها في وقت لاحق، أما الآن فأنا جائع، ماذا سنأكل؟ هيا يا فتاة اذهبِي بي لأفضل مكان للأسماك؛ فأنا في عروس البحر.

وبعد أن انتهيا من تناول الغذاء قالت «نورسنا»:

- سأعيد عليك السؤال مرة أخرى.. هلّا حكيتَ لي عن نفسك؟ يراودني شعور بالغموض حقًا.. من أنت؟!

أخذ خالد يقهقه:

- من أنت؟! أنا «خالد غازي» صاحب شركة عقارات كبرى في الشانزليزيه بفرنسا، تخرّجتُ من جامعة البوليتكتيك قسم اقتصاد وإدارة أعمال، لا ألتقِي بوالدي منذ سنوات؛ فبعد انفصالهما لم أعُد أعرف عنهما الكثير، قام جدي «غازي» بتربيتي، لم أكن طفلًا مدلّلًا، عشتُ طفولة قاسية إلى حد كبير، أردتُ البحث عن زوجة؛ لأني سئمتُ حياة الوحدة، ولم أكُن أريد الارتباط بامرأة فرنسية،

أحببتُ أن أتزوج من امرأة مصرية، وها قد عثرت عليها.. وماذا عنكِ؟ من هي «نورسنا» التي استطاعَت أن تسرق قلبي؟!

تبسّمَت قائلة:

- «نورسنا» إنسانة بسيطة، كل ما تحلم به هو أن تجد الحب، وأعتقد أني وجدته معك! أعيش مع أبي وأمي حياة هادئة خالية من المشاكل، لكنهما دائمًا كانا يخافان عليّ كثيرًا، هذا الخوف شعرتُ به أحيانًا كالطوق يخنقني، درست فنون جميلة.. وليس لديّ أخوة ولا أخوات.. وحيدة؛ لذلك قمتُ بالبحث عن زوج يملأ حياتي مثلك.

ثم نظرَت إلى ساعتها، وقالت:

- لقد تأخرتُ كثيرًا، يجب أن أذهب ولنا في الغد حديث آخر.. ستذهب إلى الفندق؟

قال «خالد»:

- نعم.. وأعتذر عن تأخركِ، لكن الوقت معكِ حقًا يمرّ سريعًا، أراكِ غدًا.

وبعد أن اطمأنّ كل منهما على عودة الآخر ذهبت «نورسنا» إلى فراشها، وفكّرَت في أن تقوم بإرسال رسالة إلى «خالد» عبر الواتساب؛ فكتبت فيها «حبيبي، أحتاج إليكَ كثيرًا؛ احتويني.. احتويني من شرور الناس وغدرهم.. احتويني في لحظات كبرِي وعنادي وجنوني.. احتوِيني في أضعف حالاتي.. حين يُزرَف الدمع من عيني دون سبب.. حين أرى الدنيا مظلمة بلا أمل احتويني.. كن اليد التي تطبطب على كتفي وتمسح دموعي وتملأ وحدتي.. احتويني فأنا لم أذق معنى الاحتواء، خذ بيدي وانْهَض بي حين لا أستطيع النهوض.. غازِل خصلات شعري

حين أعجز عن النوم.. ضمّ يدي ليدك لتمنحني القوة، أغرقني في بحر حنانك حين يجف حناني، اجعلني أراكَ في كل الرجال، وأرى كل الرجال أنت.. تصبح على خير.. أحبك».

إذا بخفقات قلبه تتزايد عند قراءتها والبرودة تتمكن من أنامله.. مبتسمًا: هل حقًا أحببتُها؟!

بينما هو غارق في تساؤلاته رن جرس هاتفه من قبل «لوجين»، لكن هذه المرة أجاب عليها قائلًا:

- نعم؟! لماذا تتصلين؟! هل هناك أمر هام؟

«لوجين»:

- وأخيرًا أجَبت، كنت قلقة وأحببتُ أن أطمئن عليك.

أجابها «خالد»:

- أنا بخير، وتعلمين جيدًا منذ الأمس أني بخير، أتمنى أن تكون المكالمة القادمة مسبَّبة..

صاحت «لوجين» قائلة:

- سأتصل وستجيب، وإن لم تفعل تعلم جيدًا ماذا يمكنني أن افعل.

لم يتأثر «خالد» بصراخها:

- أنتِ تعلمينَ لمَ أنا هنا؟ فليس هناك داعي للقلق وكل شيء يسير على ما يرام حتى الآن، وأريد أن أذهب لأستريح، تصبحين على خير.

وفي صباح اليوم التالي التقيَا في نفس الميعاد وذات المكان، وتناولا

قهوتهما والفطور، أراد «خالد» أن يشتري ثيابًا جديدة لـ»نورسنا» على ذوقه، وبالفعل أخذها إلى أكبر المحال التجارية، وهكذا قضيا يومهما، وفي أثناء العشاء نظرَت له «نورسنا» وقالت:

- أنا عاجزة عن الشكر يا «خالد»، لقد اشتريتَ لي أشياء كثيرة.

فنظر لها مبتسمًا قائلًا:

- على الرحب والسعة يا أميرتي.. لو أني استطيع أن أحضر نجمة من السماء إليكِ ما تأخرت.

وقبّلَ يدها بحنان سائلًا:

- أخذتي لي موعدًا مع والدك؟

فأجابته:

- نعم.. غدًا في الثامنة مساء ينتظرك في منزلنا.

فابتسم خالد فرحًا قائلًا:

- جيد جدًا.

*****

وفي الميعاد المحدد ذهب «خالد» لوالد «نورسنا» بكامل أناقته، واستطاع بلباقته وثقته أن يُقنِع والدها الأستاذ «نبيل» به وبحبه الشديد لابنته، وأنه سيحافظ عليها، وتم تحديد موعد الخطبة.. ومرت الأيام وجاء الموعد، اقتصرَت الخِطبَة على الأهل والأصدقاء، الجميع كان سعيدًا، وقام «خالد» بتقديم خاتمٍ من الألماس وسط دهشة وذهول من الحاضرين.

لم تكن السعادة تسع «نورسنا»؛ فقد رفرف قلبها محلّقًا بالسماء، وعاشت أجمل أيامها معه؛ فكل يوم يقضيانه مع بعضهما البعض يزيد من حبها له وتعلقها به، خاصة وأنه كان يعاملها كأميرة حقًا.

عادت «لوجين» من القاهرة متجهة إلى الإسكندرية، وقام خالد بدعوتها لمشاركتهما الفطور، وهنا ارتطمت براءة «نورسنا» بدهاء «لوجين»، لم يحدث ارتياحٌ نفسيّ من الوهلة الأولى بينهما.

تبسّمَت لها «نورسنا» قائلة:

- مرحبًا كيف حالك؟

أجابتها «لوجين»:

- بخير أشكرك.. تهانينا لكما بحياة سعيدة.

ثم تهجّم صوتها:

- يا له من فستان جميل! هل هو من اختيار «خالد»؟ أعلم ذوقه جيدًا، لقد قام بشراء أشياء كثيرة لي من قبل.

نظرت لها «نورسنا» بدهشة مبتسمة:

- ألستما أخوة؟ إذن لابد وأن يشتري لكِ كل شيء.

فضحكت «لوجين» بصوت مرتفع:

- نعم أخوة.

ثم قامت بوضع يدها على يد خالد؛ مما أثار غضب «نورسنا»، وأخذ الصمت يسود، حتى قطعه «خالد» قائلًا:

- أين سنذهب اليوم؟ ما رأيكما أن نذهب إلى السينما؟

قاطعته «لوجين»:

- لا.. اذهبا أنتما؛ فأنا لديّ الكثير من الأعمال لأقوم بها، أراكما في المساء.

وبعد أن غادرتهما قالت «نورنسا»:

- خالد، لديك شقيقة تحبك كثيرًا، أعتقد أنها تشعر بالغيرة عليك مني!

أخذ «خالد» يضحك:

- أنا رجل محظوظ حتى أقابل فتاة جميلة وطيبة مثلك.

وفي المساء تقابلوا مجددًا وتبادلوا الحديث، وماذا كان يوم كل منهم؟ حتى قام والد «نورسنا» بمهاتفتها وأخبرها بأنه يدعوهما غدًا لتناول الغداء معهم.. ذهبَت «نورسنا» إلى منزلها حاملة علامات استفهام كثيرة؛ فلوجين تنظر إلى خالد نظرات غريبة، غير أنها تقوم بمعانقته دائمًا! حتى خالد شعر أنه يخاف منها.. ربما يكون هذا أمر طبيعي بين الأخوة، وظلت هكذا حتى داعب النوم عيناها فنامت، أما خالد فلا زال مستيقظًا، فقد ذهب مع لوجين إلى النادي الليلي لقضاء سهرتهما.

وفي اليوم التالي وأثناء تناولهم الغداء قال خالد:

- عمي نبيل، كنت أريد أن أحدد معك موعد الزفاف؛ فأنا لم يتبقّ لي غير أسبوعين فقط في القاهرة.

فقال والدها:

- ولمَ السرعة؟ فلنتمهل قليلًا.

فقال خالد:

- ولمَ الانتظار وكل شيء جاهز؟!

ضحكت «نورسنا»؛ فعلم الأب أن ابنته تريد إتمام هذا الزواج، وأنه لا يريد أن يقف في طريق سعادتها، وتم تحديد موعد الزفاف.

وعندما عادا «لوجين وخالد» إلى الفندق قامت مشاجرة بينهما بدأتها لوجين بالسؤال:

- هل تحبها؟! هل أحببتَ نورسنا يا خالد؟!

فتلعثم قليلًا:

- نعم أحبها لمَ لا أحبها وهي نقية وحنونة؟ لمَ أؤذي مشاعرها وهي لم تؤذِني؟ يكفي أنها سوف تقوم بعمل ما أريد.

تعجّبَت لوجين:

- تؤذي مشاعرها؟ ألم تؤذِني؟. أصدّقتَ حقًا أننا أخوة؟ أنت مِلكٌ لي يا خالد ولا أريد إتمام هذا الزواج، وأنا من سيسافر ويقوم بعمل ما تريد، لتكونَ أنا العروس!

صاح خالد في وجهها غضبًا:

- مستحيل!

اشتعل الغضب منها:

- مستحيل؟ سأجعلك تندم وسترى.

ثم خرجت وطرقت الباب وراءها وهي تتوعّد أن تحرق قلبه مثلما أحرقَ قلبها وجرح كبرياءَها.

وفي صباح اليوم التالي ذهب خالد لغرفة لوجين ليتفاجَأ أنها قد غادرت الفندق وأغلقت هاتفها، جُنّ جنونه وذهب إلى غرفته وهو يصرخ:

- مجنونة مجنونة.. من سيذهب إلى القاهرة اليوم؟!

وظل يحطم كل ما في الغرفة، هدأ قليلًا ثم هاتف نورسنا:

- حبيبتي، سأضطر إلى الذهاب إلى القاهرة اليوم، هناك أمرٌ ضروريٌّ قد طرأ للوجين، ولابد من عودتها إلى فرنسا، سأتغيّب يومين لا أكثر، ولا تقومي بشراء فستان الزفاف؛ لأني قمت بشرائِه لكِ من الخارج، وسأحضره معي حين عودتي.

****

- يبدو رائعًا كم هو جميل هكذا!

كان رد فعل كل من يرى فستان نورسنا الأبيض المرصع باللؤلؤ والفصوص التي تتلألأ وكأنها حبات ألماس، تبدو فيه حقًا كالأميرات.

رآها «خالد» فلم يتمالك نفسه، همس بأذنها:

- كم أنتِ جميلة اليوم وكأن القمر يقف بجواري!

وقبّلَ جبينها.. مبتسمًا هامسًا لنفسه:

- لقد أحببتُ تلك الفتاة كثيرًا.

بينما هو منشغلٌ في حواره مع نفسه كان والد نورسنا يقف على

باب القاعة ليستقبل المدعوين؛ فجاء أحد الأشخاص يحمل باقة من الورود قائلًا:

- أريد أن أسلّم هذه إلى العريس شخصيًا.

فقال والدها مترددًا:

- أنا أنوب عنه.

واستلم الباقة ومعها بطاقة، أثار الفضول غريزته لقراءتها؛ ففتحها ليجد فيها كلمة واحدة.. «ستندم».

ظل الأب حائرًا ماذا يفعل؟! وأخذ يدعو «يا إلهي، احفَظ لي ابنتي»، وذهب لإعطاء البطاقة لخالد ليراقب ردة فعله، ثم انحنى إلى ابنته قائلًا:

- نورسنا، هل حقًا تريدين هذا الشاب زوجًا لكِ؟!

نظرت له في تعجب:

- ماذا بكَ يا والدي؟! بالطبع نعم أريده.

ذهب الأب صامتًا وقد لاحظ الحيرة والقلق يظهران على خالد، والكل منشغل بالفرح جاءت مجموعة من ضباط الشرطة قائلين:

- أين العريس؟ وأخيرًا يا «أشرف»!

نظرت نورسنا لضابط الشرطة في ذهول:

- «أشرف»؟!

ليستكمل الضابط حديثه ساخرًا:

- نعم.. إنه تاجر ألماس شهير، وكان ينوي استخدام فستان زفافك لتهريب قطع الألماس من مطار القاهرة لفرنسا.

سقطت على الأرض مغشيًا عليها، ونُقلَت إلى المشفى، وعندما استيقظَت قالت:

- حقًا كانت التجربة أليمة، لكني تعلّمتُ منها الكثير، وأعترف أنني ركضتُ وراء المظاهر، ونسيتُ أن الجوهر أهمّ من المظهر، وأدركتُ أن تسعة وتسعين بالمائة ممن يجلسون وراء الشاشات هم مرضَى نفسيون يعشقون الكذب ويبرعون في التنكر، وإن القلب لابد وأن يتروّى في اختياره، وأن صوت العقل لابد وأن يُسمَع، وأن شريك العمر لابد وأن يكون شخصًا مرئيًّا له جذور.

تمت بحمد الله.

الفصل الثاني
الملاذ الأخير

١- بدايات جديدة..... دينا عيد.

٢- السحر الخادع..... ندى الساعي.

٣- الملاذ الأخير..... أسماء حمودة.

٤- لعنة جسد..... منى إبراهيم.

٥- خاتم سليمان..... أميرة الكيكي.

١ـ بدايات جديدة

دينا عيد رأفت

كنتُ أعيش في بلدة صغيرة مهمشة، وأنا في الثامنة من عمري اعتقدتُ أنها ليسَت على خريطة الدولة، اعتدتُ الذهاب إلى مكتبة المدرسة لأقوم برسم أغلفة الكتب، كم عشقتُ تلك القصص.. دائمًا ما كنتُ أحلم بأن حياتي ستصبح مثل هذه القصص، لا.. بل أجمل بكثير.. هه! كم كنتُ حالمة ورومانسية! دائمًا ما شعرتُ أني أعيش داخل ألواني ولوحاتي، لم أفهم إحساسي نحو المكان الذي عشتُ فيه، ولكن وعند إتمام عامِي السابعَ عشر انتقلتُ مع عائلتي للعيش في بورسعيد.

وحيدة تائهة أبحث عن ذاتي.. وفي ليلة من تلك الليالي التي نهشَت بها الوحدَة جدران عقلي بعد أن انتقلت إلى هنا وبقيت دون أصدقاء خرجتُ من باب المنزل في ليلة شديدة البرودة والشوارع مليئة بمياه المطر، أدَرْتُ محرك السيارة وبدأتُ بالسير وحيدة، ولا أدري إلى أين أذهب؟! بدأتُ بالتجول في الشوارع وحبات المطر تتساقط عل الزجاج الأمامي للسيارة، قررتُ السير نحو البحر.. أشعر بالغربة والوحدة والبؤس، أوقفتُ السيارة أمام إحدى الكافيهات المطلّة على البحر.

أثارني هدوء المكان؛ فجلستُ أحتسي القهوة وأفكر في حياتي.. أشعر أنها بلا قيمة.. لا أحد يفكر فيّ! ماذا سيحدث لو اختفيتُ عن الحياة؟! فقط بعض الحزن والسواد الذي سيتّشح به ثوب الأقربين؟ ثم؟ لا شيء.

أشعر أن البؤس تمكّن مني وأصبح جزءًا من حياتي، بدأت أستمع إلى صوت موسيقَى هادئ؛ فأُنصِتُ إلى كلمات الأغنية، كلماتها جذبت انتباهي.. «بدايات جديدة»، هكذا كان مطلعها وعنوانها، بدأتُ أفكّر في كل كلمة وأشعر أنها موجهة إليّ، وفور انتهائها نظرتُ إلى شاشة التلفاز رأيت فيلمًا تركيًا.. كانت البطلة تودّع مدينتها وهي تقول: «ابدأ اليوم كل شيء من جديد».

شعرتُ أن هذه رسالة من الله لأَن أبدأ كل شيء من جديد، نعم.. عليّ البدء من جديد واتخذت قرار أن أعود للرسم من جديد.. الرسم الذي من وقت ما تركته وأنا اشعر ان روحي قد فارقتني، ثم قررتُ العمل على نفسي وتنميتها في أشياء كُثُر، كان هذا يجذبني منذ وقت، ولكني كنتُ أؤجّله دائمًا، اكتشفتُ أن لولا معاناتي لما وصلت لِمَا أنا عليه اليوم، أدركتُ أن السعادة قرار وأن النجاح قرار، أمضيتُ وقتًا في حب القراءة التي كنت أكرهها، هل هي من ضمن هواياتي وأنا كنت لا أدري؟! كنت أتصفّح «فيس بوك»، ثم وجدتُ كتابًا اسمه جذبني، ارتديتُ ملابسي ونزلتُ لأشتريه دون تفكير، تمشّيتُ نحو ديلسبس.. وصلتُ إلى متجر الكتب، أصبحتُ أقول في نفسي لماذا أنتِ هنا الآن؟ لماذا تشتري كتابًا؟! سوف تقرئينَ فعلًا؟! أم أنه الخريف ونوباته التي كانت تصيبني من قبل؟! أصبحتُ أسأل نفسي والبائع يتكلم معي وأنا لا أسمعه.

ثم قررتُ أن آخذ كتابَين، وأنا لم أحب القراءة يومًا، ولستُ أدري ماذا سوف أفعل بهما؟ ثم عدتُ إلى المنزل وبدأتُ بالقراءة.

انتهيتُ من الكتابين في شهرين، وهذا كان إنجازًا بالنسبة لسوابقي مع القراءة بدأتُ أسأل نفسي:

- انتِي ليه ماعملتيش كده من زمان؟!

القراءة أكثر شيء بعد الرياضة أخرجَنِي من حالة البؤس التي كنت أعيشها، وأصبحَت الكتب أوفَى أصدقائي، وها مرَّت سنة وأنا على ممارستي الرياضة والقراءة، ثم وجدتُ نفسي أجلس على نفس الطاولة في نفس الكافيه وأقوم بكتابة هذه القصة، وأنا لم أتخيل يومًا أني سأصبح كاتبة، وبدأتُ في تعلم الرسم بإتقان لأُثقِل موهبتي بالتعلم، وعن قريب سوف يصبح لديّ علامة تجارية في عالم الأزياء، أدركتُ أن لديّ الكثير لأعطيه، أصبحتُ أسأل نفسي لو لم أنتقل إلى هنا وأعاني من الوحدة ما كنتُ مارستُ الرياضة، ولا طوّرتُ من مواهبي ولا أحببتُ القراءة... أحيانًا الأزمات تخرج أجمل ما فينا.

تمت بحمد الله

٢ـ السحر الخادع

ندى الساعي

المشكلة كلها بدأت عندما جاءَني خبر زواج بنت خالتي غدًا..

ترن ترن..

أنا: ألو يا ماما، ازيّك يا حبيبتي عاملة إيه؟

ماما: الحمد لله بخير، أخباركم إيه؟

أنا: كويسين الحمد لله.

ماما: دايمًا يا حبيبتي بخير، بُكرَة إن شاء الله فرح بنت خالتك.

أنا: إيه ده ازّاي؟ حضّرتُوا كل حاجة؟ امتى؟ ومش مفروض أعرف من بدري؟

ماما: أنا فكّرتها عرّفتك، واستغربت إنك مش موجودة، ولما سألت خالتك قالتلِي لا ماعرّفنَهَاش والكل كان مشغول، هستنّاكي بُكرَة إن شاء الله.. سلام.

فصُدمتُ، وخصوصًا أن بنت خالتي بمثابة أختي وأكتر، ولكن منذ فترة والجفاء عنوانٌ لتعاملها معي، ولم أكُن أعلم لماذا هي تفعل هكذا؟!

وظللتُ في حيرة من أمري، هل أذهب لأساعدها وأكون بجانبها أم لا؟ وعندما سألتُ زوجي فأجابني بأن أذهب، ثم قال: أنا عارفكُم من زمان، وعارف إنها أختك، وانتِي مش محتاجة دعوة.

ذهبتُ إلى بيت خالتي وألقيتُ عليهم التحية، ثم ذهبتُ إلى غرفة بنت خالتي لكَي أهنئُها؛ فأنا في قمة سعادتي من أجل سعادتها، وعندما كنتُ أتحدث إليها في أغلب الأوقات لم تُجِبني، وفي البعض الآخر تبتسم باصطناع.

فلم أعد أبالي بهذا، وقمت بواجبي نحوهم وتمّت حفل الزواج على خير.

أخبرني زوجي بأنه يريد أن يقوم بزيارة بنت خالتي وزوجها؛ حيث أنّ زوجها صديقُ زوجي المقرب، وعندما ذهبنا وجدنا معاملتهما سيئة للغاية، وأكّدَ لي زوجي بهذا، وأخبرني أن صديقه أيضًا يعامله سيئًا منذ فترة.

فقلت له: «ألم أخبركَ أني لا أريد أن أذهب؟»

وذات مرة وجدتُ زوجي يعود إلى المنزل وهو في غاية الغضب، وعندما أسأله ماذا بك؟! يجيبني: اتركيني الآن، تركته حتى يهدأ، ثم سألته: ماذا حدث؟! وكانت الصدمة عندما أخبرني: «بنت خالتك بتقول إنك عملتي سحر ليها، وانتِي السبب في جميع المشاكل التي كانت تحدث بينهم»

فقلت وعيني ممتلئة بالدموع: من أخبركَ بهذا؟

قال: أخبرني زوجها بهذا عندما سألتُه عن سبب تغيّر معاملته.

ذهبت مسرعة إلى خالتي، وعندما فتحَت لي الباب قلت لها: إيه

اللي بنتِك بتقولُه عليّا ده؟

خالتي: قالت إيه؟ مش فاهمَه حاجة.

أنا: يا سلام! يعني انتِي مش عارفَه إن بنتك متّهماني بالسحر؟ واللي أنا مش قادرة أفهمُه هي ازّاي تقول كدا عليّا؟

خالتي: أنا ماكُنتش عايزَه أصدّق، بس الشيخ قالّها كدا، انتِي السبب في كل المشاكل اللي حصلت دي، واللي بسببها جوازه بنتي ماكانِتش هتّم.

أنا: شيخ مين؟! ومن امتى واحنا بنصدّق الناس دي؟ وانتِي مش عارفَه إنهم كدابين؟ أنا اللي هيجنّني ازاي تصدّقي عليّا ده؟ انتِي اللي مربّياني وعارفَه أخلاقي كويس، أنا مش هضيّع وقت معاكي أكتر من كده معاكي، بس ربنا كبير وحقي هيرجعلي، وافتكري الكلمة دي كويس.

خرجتُ من منزل خالتي وأنا في قمة الانهيار وأردّد حسبي الله ونعم الوكيل، وعندما ذهبتُ إلى بيتي وجدتُ أمي بالمنزل؛ حيث أخبرها زوجي بما حدث، ارتميتُ بين أحضانها وهي ظلّت تواسيني، وقالت لي أنّ الله دائمًا بجانبك وحقك مش هيروح.

وبعد مرور عدة أشهر..

قال زوجي: جوز بنت خالتك عازِم نفسه على الغدا بُكرَة.

أنا: عازم نفسه ليه؟ هو ناسي إيه اللي حصل منه آخر مرة؟!

زوجي: بصراحة أنا وافقت جدًا؛ لأني حسّيته إنه عايز يحكيلنا على موضوع مهم.

جاء ثاني يوم وحان وقت الغداء، وأتى صديق زوجي (زوج بنت خالتي)، وسأله عن أخباره وأخبار زوجته، فلم يقُل سوى «الحمد لله».

وبعد انتهاء الغداء جلسنا نحتسي الشاي.

قال صديق زوجي: احنا اتطلقنا.

أنا: إيه؟! إيه اللي حصل؟

قال: حدث الكثير من المشاكل بينا، وقلت لها: أنا دلوقتي اتأكّدت إنك السبب في كل المشاكل اللي حصلت ومش بنت خالتك؛ لأن دي مش أعراض سحر، إنها واحدة من ألاعيبِك لتوريط بنت خالتك.

بنت خالتي: هي دائمًا أحسن مني في كل شيء، ودائمًا ما تكون مصدر لسعادة العائلة وبيحبّوها أكثر مني.

زوجها: إيه إحساسِك دلوقتي بعد ظنّ العائلة في بنت خالتك.. هل تقدري تجاوبيني؟ هل تقدري إنك تواجهيها بإن كل ده كان لعبة منك؟ أكيد مش هتقدري تجاوبيني، ومن المستحيل أن نكمل حياتنا معًا.. مع الأسف.

قال لي صديق زوجي: أنا آسف.. أنا أسف إني صدّقت عليكِي، عرِفْت إنك مظلومة وأرجوكِي سامحيني.

قال ذلك ثم خرج.

عندما علمتُ بهذا لم أعلم أحزن أم أفرح؟! ولكنني تيقّنتُ بأن حقي قد ظهر.

تمت بحمد الله.

٣ـ الملاذ الأخير.

أسماء حمودة.

استيقظ من نومه مسرعًا وارتدَى ثيابه الجديدة التي أعدها لذلك اليوم؛ ليسافر وأهله معًا من مدينة بورسعيد إلى مدينة القاهرة، بالنسبة له هذا سفر الأحلام الذي لطالما تمناه.

حلم هذا الشاب الذي يبدو في أوائل العشرينات أن يصبحَ مطربًا عظيمًا مثل الموسيقار محمد عبد الوهاب؛ فهو مثله الأعلى وصديقه الذي يستمع له كلما ضاقَت دنياه، عندما طلبَ من والده أن يسافر ليحقق حلمه وافق على الفور، ولكن شرطه كان أن يكمل دراسته؛ فعمل جاهدًا حتى يصل لأعلى مراتب النجاح في تعليمه، وبالفعل وصل لما أراده، واليوم سيذهب والداه معه ليحقّق حلمه الحقيقي ويلتقي بمحبوبته وشهوته الوحيدة؛ وهي الموسيقى والغناء.

دخل عليه والده غرفتَه ليستحثه على السرعة حتى يذهبوا في الموعد المحدد، دخل فرآه في حلّتِه الأنيقة وطربوشه المنمق؛ فابتسم واقترب منه وأمسك بكتفه، ثم قال:

– ما شاء الله يا يونس! شكلك وسيم وجميل.

– ربنا يخليك يا بابا.

نظر له والده بنظرة جادة في عينيه قائلًا:

- يونس، انتَ رايح تحقق حلمك اللي ياما سعيت عشانه عايزك تلعلع، عايزك يا بني تورّيني إنك قَدّ حلمك وتمشيني في البلد هنا مرفوع الراس، وبقول ابني هيبقى مطرب كبير ونجح في الإذاعة، عايز أتباهَى بيك قُدّام الخلق.

ابتسم يونس ابتسامة واسعة وقبّلَ يدَيْ والده، وقال وعيناه تشع بالأمل:

- أوعدك يا بابا إنك هتشوفِني على مسرح الأوبرا ومسارح عربية وعالمية إن شاء الله.

- طب يلّا يا حبيبي عشان مانتأخرش.

خرج الاثنان معًا ليجدا والدة يونس تقف أمام ابنتيها وتوصيهما بالبقاء معًا، وتوصي الأخت الكبرى فيهِن –والتي تبلغ اثني عشرة عامًا– أن تهتم بالصغرى ذات التسع أعوام، ثم رفعَت رأسها ونظرت ليونس بإعجاب وفخر قائلة:

- اللهم صلِّ على النبي.. ابني قمر يا ولاد، ربنا يوفّقك يا حبيبي.

قبّلَ يونس يد أمه داعيًا لها:

- ربنا يخلّيكي ليّا يا ست الكل.

ثم ذهب الجميع في طريق سفر الأحلام.

وصل الجميع للقاهرة حيث مبنى الإذاعة المصرية؛ ففي ذلك الوقت كان هذا المبنى هو حلم كل من يريد الغناء ويحترفه، ذلك المبنى الشاهق

الذي ما إن رآه يونس حتى رجع خطوة للوراء من شدة هول المبنى الذي يراه أمامه، سأل نفسه لوهلة هل أنا أستحق دخول هذا المبنى الرائع؟! بدأَت تتصبّب حبات العرق من جبينه، رغم أن الجو كان شديد البرودة! ظل في توتره حتى استحثّه والده على الدخول.

سيقابل هذا الشاب لجنةً من كبار الموسيقيين بالقاهرة، وبالتالي سيهتزّ ويتوترّ، وكلما خرج أحد الموهوبين من مكان اللجنة خائب الأمل كان يتوتّر أكثر، شعر وقتَها أنه لن يستطيع فعل أي شيء، سأل والده وقتها:

- بابا، انتَ شايف إن أنا هقدر أعملها وأغنّي كويس؟ هو أنا صوتي حلو؟

نظر الأب ليونس بابتسامة، وأمسك يديه يشد عليها ويقول:

- لو ماكانش صوتك حلو ماكُنتش جيت معاك لحد هنا، توكل على الله يا بني وادخل.

استعان بالله كما قال والده عندما جاء دوره، وأخذ آلته الموسيقية (العود) ودخل على اللجنة.

بالفعل كان مشهدًا مخيفًا حينما رأى تلك اللجنة؛ فهم ثلاثة رجال يبدو عليهم الوقار، يرتدون زِيًّا موحّدًا.. حلة سوداء أنيقة وطربوشًا، قرّر أن يبدأ بغناء الأغنية التي اختارها لليوم، وهي أغنية من تأليف صديقه الشاعر وتلحينه؛ فآلته التي اشتراها له والده علّمته كيف يلحّن أيضًا.

لم تعجب اللجنة بذلك؛ فهم يريدون أن يستمعوا للأغاني الطربية القديمة ولا يعترفون بأي جديد مهما كان جيدًا، وعندما رفض ذلك؛

لأنه أراد أن يغني لنفسه فقط لم ترضَ به اللجنة، وخرج لوالده ولكن ليس منكسَ الرأس أو محبط، بل على العكس تمامًا، عندما رآه والده وهو يسأله بتوتر بالغ:

– ها؟ عملت إيه يا يونس؟

رد وكله ثقة في نفسه:

– الحمد لله يا بابا محدش قال إن صوتي وحش.

– يعني إيه اللي حصل بالظبط؟

– بابا أنا ماتقبَلتش، بس مش عشان صوتي ماعجبهُمْش، لا عشان اللي غنيته خلّى ثقتهم في نفسهم تهتز، ده لون جديد عليهم وسريع شوية، وهما عايزين الحاجات القديمة، بُصّ يا بابا.. أنا مش هسيب حلمي، بالعكس.. أنا هاجي تاني، بس لما تتغير اللجنة العقيمة دي، وأنا وعدتك إني هشرّفك ومش هخِلّ بوعدي ليك أبدًا.

احتضنه والده عندما سمعه، وشعر أنه أنجبَ رجلًا حقيقيًا لا تهزه الصدمات، بل على العكس تعطيه القوة والأمل، وهذا ما زرعه فيه منذ طفولته.

ذهب يونس مع والده ووالدته في طريقهم للرجوع إلى مدينة بورسعيد.

****

عاد من الخارج قُبَيل الفجر، وقبل أن يدخل حجرته التقَى بوالدته التي قالت له في لهفة:

– حمد الله ع السلامة يا عمرو، قولّي اتبسطّت في الرحلة؟

رد على والدته، ولكن كلامه الذي يقوله لا يتطابق مع نظرة عينه:

- الله يسلمك يا أمي.. الرحلة كانت لطيفة والله.

تعرف هذه الأم نظرة عين ولدها، فسألته:

- انت متأكد إن الرحلة كانت لطيفة؟ عينك بتقول إن فيه حاجة.
- ماتقلقيش يا أمي، أنا بس تعبان من الرحلة ونِفْسِي أنام.

ما زال القلق يعتريها، ولكنها أرادت ألّا تطيل عليه الحديث؛ لأنه متعب.

- طيب يا حبيبي، خش نام انت.

دخل إلى حجرته، جلس على مكتبه ليكتب أحداث يومه كعادته منذ أن كان بالمرحلة الإعدادية، وبدأ بكتابة تاريخ اليوم (٢٠٠٠/٧/١٥)، ثم يروي ما حدث في يومه فيقول:

(لقد أخطأتُ اليوم!

في بداية يومي كنت سعيدًا؛ فبعد فترة الدراسة الجامعية والامتحانات المرهقة أخيرًا ذهبتُ في رحلة مع أصدقائي إلى القاهرة؛ فالقاهرة بالنسبة لي مدينة الأحلام التي أتمنى بعدما أتخرج أن أعملَ بها؛ فالإسماعيلية صغيرة ولا أستطيع فيها أن أحقق طموحي وأبني مستقبلي، وبالطبع إذا أراد لي الله السفر خارج مصر تمامًا فهذا سيكون أفضل.

رحلتي إلى القاهرة كانت مليئة بالمرح المعتاد مع أصدقائي، ولكن أهم مكان بالنسبة لي هو الذي ذهبت له في المساء، هذا هو المكان المحبب لقلبي الذي كلما جئتُ للقاهرة ذهبتُ إليه؛ فهو مكان له سحره الخاص؛ فهو يعبّر عن مصر الحقيقية الساحرة «منطقة مسجد الحسين»،

ذهبنا للمسجد وتجوّلنا في شوارع هذا المكان الساحر، واشترينا بعض التذكارات ثم ذهبنا لإحدى المقاهي (مقهى المعلم سيد) هناك لنستريح قليلًا.

بعد فترة قليلة من جلوسنا بذلك المقهى رأينا رجُلًا كبيرًا بالعمر قام من مجلسه محبطًا، تتدفّق الدموع من عينيه، حاول المشي ولكن جسده الضئيل لم يساعده؛ فانهار، وبانهياره قام كل من يعرفه بالمقهى يساعده، أما صاحب المقهى فساعده وهو يبكي وبنفس الوقت يتصل بسيارة الإسعاف، ويصيح في وجهِهم حتى لا يتأخروا كعادتهم.

ذهبنا به للمستشفى وذهبت معهم، حتى أن صاحب المقهى بعدما دخل هذا الرجل ليُفحَص قال لي:

- انتَ إيه اللي جابك هنا؟ مش كفاية اللي حصل منك!

وظل يدفعني وهو يصيح بي:

- امشي من هنا.. امشي، انتَ يا عيّل انتَ تعمل في راجل قَدّ أبوك كده؟ الله ياخدك يا شيخ.. الله ياخدك.

لم أرد عليه؛ فهو لديه حق! ما فعلته لا يغتفر، وظلَلْتُ أعتذر فقط، ثم جاء لي شاب من أحد الشباب المتردّدين على هذا المقهى، سألني سؤالًا لم أستطع الرد عليه، قال لي:

- بذمتك لو ده أبوك كنت ترضَى يتهان كده؟ ده أبونا كلنا هنا ومحدش يقدَر يدوسلُه على طرف مهما عمل.

- للدرجة دي؟!

- أيوَه للدرجة دي، انت ماتعرَفش بالكلمتين دول عملت فيه إيه!

- أنا مش فاهم بقى كدَه، ممكن تفهّمني إيه حكاية عمنا ده بالظبط؟

- عمي يونس ده راجل مكافح، اتفرغ لتربية اخواته الصغيرين، كانوا بنتين، ربّاهم أحسن تربية وصرف عليهم بعد ما والده ووالدته اتوفّوا، اشتغل كل حاجة هنا وعاش حياته بالطول والعرض وجوّزْهم جوازات محترمة جدًا، والله لحد دلوقتي لسّه بيساعد اخواته البنات لما يحتاجوا أي حاجة، لدرجة إنه ما اتجوّزش لحد ما كِبِر، واهتم باخواته وبس، واحنا دلوقتي اللي أهله وناسُه.

- أيوَه، بس أنا مش فاهم هو ليه بييجي يعمل كدّه في القهوة؟

- ده حلمُه!

- حلمُه؟! ازّاي؟ ده صوته ضايع خالص.

قلت في عقلي وقتها ما هذا الرجل؟! كيف يحلم بالغناء؟! فقد كان صوته في الغناء لا يُسمع، كيف ذلك؟

- الراجل ده مطرب محترم، انت ماشفتهوش زمان، كان صوته بيلعلع في القهوة وكانوا كل الناس بييجوا القهوة بتاعة المعلم سيد بس عشان يسمعوه، لما سألته في يوم من الأيام انت ليه ما احترفتش الغُنا بدل ما انت بتغنّي ع القهوة كده مقابل قرشين حكالي حكايته.. الراجل ده فعلًا راح الإذاعة بس اترفض، مش عشان صوته وحش لأ بالعكس.. عشان ماعجبْهُمش يغنّي غناه هو ومايقلدّش حد، احنا كدَه الكبار مايحبوش يبقى فيه حد متفوق عليهم أبدًا مهما كان كويس.

- وهو ليه استسلم؟ ليه ماراحش تاني وتالت؟

- مين قالّك إنه استسلم؟ بالعكس.. ده قرر إنه يروح تاني ويقدم في الإذاعة، بس قُدّام ناس بتفهم مش ناس مابتسمعش غير صوتها وبس، لكن للأسف وهو راجع بلده حصلتلُه حادثة وهو مع والده ووالدته، الدنيا كانت ليل وبتمطّر، والعربية اللي كانوا راكبين فيها اتقلَبِت، الحادثة دي ضيّعت والده ووالدته، والحمد لله هو نجا منها ورجع، يمكن عشان أخواته الصغيرين دول ربنا نجاه، ولما جات الحرب والهجرة جِه تاني القاهرة، بس عشان يشتغل.. مش يغني.

باللليل كان ييجي هنا القهوة يغني، القهوة دي المكان الوحيد اللي مارس موهبته فيه، عارف؟ أبويا حكالي إن أول مرة المعلم شافُه استهوِن بيه وقال هيعمل إيه يعني؟ لكن لما زادوا الزباين عنده اتفائِل بيه وحَبّه، ومع الوقت بقوا أعزّ أصدقاء، شايف المعلم واقف ازاي على باب أوضة الكشف مش عايز يتحرك وقاعد يعيّط قَدّ إيه؟ بيحبه وبيقول إنه لو ماجاش القهوة يوم يحسّ إن فيه حاجة ناقصاه، انتَ شايف دلوقتي إن كلامك وتريقتك كان ليهم لزوم؟

لم أرد عليه، ولكن ردَّت عيناي بدموعي التي تسلّلَت إليهما، يا الله! ماذا فعلتُ اليوم؟ إذا حدث شيء له سأكون أنا الجاني.

جلست وأرجعتُ رأسي للوراء، وظللتُ أفكّر لماذا فعلتُ هذا بعم يونس؟

لقد قلتُ له جملة واحدة حينما سمعتُ صوته السيئ.. جملة واحدة اليوم، ولو أنّنِي تحسّستُ كلماتي معه لمِا وصل لهذه الحالة، كيف فعلتُ

ذلك يا الله؟! لم أكن يومًا قاسيَ القلب، ولكن من أين أتَتْ تلك القسوة من فمي فجأة.

عندما غنّى هذا الرجل للسيدة أم كلثوم بهذا الصوت لم أستطع تمالك نفسي؛ فأنا أحب سماعها كثيرًا؛ فهي تأخذني لعالم الخيال والحب الذي لم يعد موجودًا الآن، فقلت له:

- إيه يا جدي عشق إيه وبتاع إيه؟! انت تروح تريّح في البيت كدَه بدل ما تيجي وتغنّي بصوتك ده، جرَى إيه يا عم؟! ده انت رجليك الاتنين برّا.

أضحكتُ وقتها كل من بالأرض، أصدقائي لم يستطيعوا أن يوقِفُوا الضحك، ولكن بالتأكيد هذا الضحك كان مثل السهام التي تخترق جسده؛ فقام من مجلسه وانهار على الأرض.

لقد كانت هذه المقهى ملاذَه الأخير كما فهمتُ من صاحب المقهى، وأنا اليوم بغبائي جعلتُه يفقد هذا أيضًا بعدما فقدَ حلمَه للأبد.

لقد كان لي حلمٌ وأنا طالب بالإعدادية، وهو أن أصبح عالمًا وأخترع شيئًا يرفع رأس مصر أمام العالم، وعندما كنتُ أقول هذا لأصدقائي ويضحكون عليّ كنت أشعر بالغضب الشديد والحزن والإحباط، ولكني اليوم دخلتُ إلى كلية العلوم لأحقّق ذلك الحلم، ولكن هذا الرجل لم تتسنّ له الفرصة للتمسك بحلمه، ما فعلته اليوم بالفعل أستحق عليه القتل.

انتشلني من أفكاري خروج الطبيب من غرفة الفحص؛ ليقول لنا أن ضغط دمه قد ارتفع كثيرًا، ولكنه استفاق الآن ويريد أن يرى أصدقاءَه،

ودخلتُ مع ذلك الشاب وصاحب المقهى الذي حاول منعي، ولكن استوقفَتْهُ إشارة من عم يونس، دخلتُ عليه وأمسكتُ يده وحاولت الاعتذار منه، ولكنه ابتسم وسألني:

- شكلَك بتحب الغُنا وتقدّر الصوت الحلو، وطبعًا ماقدِرْتِش تستحمل صوتي.
- يا حاج صوتك أكيد جميل، أنا بس اللي ماسِمِعْتش كويس، والهزار في القهوة مع أصحابي عمَا عيوني وسَدّ وداني كمان.
- روح يا بني في طريقك ربنا يوفّقلَك ولاد الحلال، ومتشكر إنك جيت مع سيد هنا للمستشفى مع إنه انت مش مُجبَر.
- العفو يا عمو، سامحني أرجوك.
- توكل على الله يا بني.

قبل أن أخرج طلبتُ رقم الهاتف الأرضي لذلك الشاب الذي حدّثنِي عن عم يونس حتى أطمئن عليه من حين لآخر، وذهبت في طريقي وأنا لا أعرف هل سامحني بالفعل أم حدِيثِي ما زال عالقًا في ذهنه؟

تعلمتُ اليوم من عم يونس شيئًا أقوى ممّا أتعلّمه في الجامعة، أو تعلمته بالمدارس على اختلاف مراحلها، تعلمتُ أن الكلمة تحيي وتميت، وأننا لا نعرف ما بداخل الأشخاص حتى نحكم عليهم من أشكالهم ومظاهرهم.

تمت بحمد الله

٤- لعنة جسد.

منى إبراهيم

كان تزاحم الأفكار داخل رأسها يفوق الازدحام المروري الذي علِقُوا به كعادة شوارع القاهرة، وفجأة عادت من تشابك الأفكار برنين هاتفها، نظرت إليه بضجر.. يبدو أن الاتصال غير مرغوب به!

نورهان:

- ألو

هو:

- ازّيّك عاملَه إيه؟

نورهان:

- الحمد لله، انتَ عامل إيه؟
- أنا تمام الحمد لله، بقولّك إيه.. وحشتيني، مش ناوية تيجي ونرجع ليالي زمان؟

تصمت وتفكر في الحلقة الأصعب؛ فهذه المرة الأولى التي لم تحضّر كلمات لتبدأ بها الحلقة، ولقد اعتادت تحضيرَ كلمات من تأليفها تتماشى مع موضوع الحلقة، ولكن هذه المرة تعلم أن مهما كانت

كلماتها قوية لن تستطيع أن تعبر عن الحالة.

هو:

- سكتِّي ليه مش بكلّمك؟

نورهان:

- باسم، هكلّمك تاني.. يلّا سلام.

تصل إلى السجن وهو المكان الذي ستقابل فيه ضيفة حلقتها، تمشي بخطوات مترنّحة وقلبها يخفق كلما اقتربَت من الباب، تجلس على الكرسي المخصص لها، وتجلس أمامها شابة في أواخر العشرينات من عمرها وجهها شاحب، يمتد السواد تحت عينيها الشاردتين ليصل إلى أذنيها.

المخرج:

- واحد.. اتنين.. تلاتة.. هوا.

نورهان:

- مساء الخير أعزائي المشاهدين، كما وعدناكم النهاردَة احنا على ميعاد مع عزة، أو سفاحة الرجال كما أُطلق عليها، قوليلنا ياعزّة إيه حكاياتك؟ وليه أخدتي لقب سفاحة الرجال؟

عزة:

- أنا حكايتي طويلة شوية، بس هحاول أختصر..

أنا بنت تربت في منزل بسيط، الأب والأم يعملوا لتوفير حياة كريمة لبناتهما، كبِرْت على الحب والترابط بين أفراد العائلة، وخاصة عائلة

أمي، كنا دائمًا متواجدين معًا في السفر أو التنزه خارج المنزل.

كبرت على حب خالي الأكبر، وتعلقت به لأنه كان مصدر فرحة وأمان لي، دومًا يأتي محمّلًا بالحلويات ويعطينا من أحضانه ما يجعلنا ننتظر قدومه بين المرة والتي تليها، بدأَتْ تظهر علامات الأنوثة على جسدي؛ فلقد أصبحتُ صاحبة العشرين عامًا، لاحظتُ تغيّرًا في تصرفات خالي؛ ففي كل مرة يأتي إلى منزلنا يتصل هاتفيًا ويسأل على أمي مستيقظة أم لا!

في تلك اللحظة شعرَت نورهان وكأن بركان اشتعل بداخل قلبها، وسُحبَت عيناها إلى دوامة الذكريات.. لتردّد نورهان بصوت متهدج:

- كملي يا عزة... وبعدين؟

تنهيدة سبقَت استكمال عزة لحديثها قائلة:

- في البداية ظننتُه يطمئن عليها، ولكن في ليلة.. تلك الليلة التي انهارت بها كل المفاهيم والثوابت داخلي، كنت قد ارتديتُ ملابس صيفية خفيفة، ودخل ذلك المسمى بخالي إلى منزلنا، وكعادتي استقبلته بالأحضان المليئة بالفرحة، لم أكُن أعلم أن تلك الأحضان ستكون لعنة فيما بعد، وحوّلَتْني من فرحة إلى جمرة من نار!

بدأ يتحسّس جسدي بحركات ونظرات مليئة بشهوة، وعيناه تنظران نظرة لم أعتَدْها، خفق قلبي ولكن عقلي لم يكن يستوعب ما يحدث!

قاطعتها نورهان بصوت واهن، وجسدها كله ينتفض من الداخل:

- وعملتي إيه؟

لتكمل عزة الحديث:

- لم أنم تلك الليلة، وفكّرتُ كثيرًا كيف أخبر أمي بهذا الفعل..

قابلتني أمي صباحًا بتساؤلها:

- يبدو أنكِ لم تنمِي الليلة السابقة؟

- نعم.

- ولماذا يا صغيرتي؟

- هناك شيء مزق قلبي وشتّت عقلي أودّ إخبارك به!

- ماذا هناك يا عزة؟

- لقد تحرش بي خالي ليله الأمس!

- بماذا تنطقِين؟! أأنت على استيعاب بما يلفظه لسانك؟!

- نعم! إنه فعل ذلك.

- إنه الحاج الذي لم نرَ منه سوى كل شيء جميل، ذلك الأخ الذي طالما تحمل مسؤوليتنا.

- كنت أعلم أنكِ لن تصدقي؛ لذلك لابد أن تسألي باقي أخوتي؛ لأنه فعل ذلك بهن أيضًا!

ظهر على وجه نورهان التوتر، وتساقطت حبات العرق من جبينها؛ فابتلعت ريقها وكأنه حجر، تغيرت نبرة صوت نورهان وهي تتساءل:

- وماذا فعلَت أمك؟

ابتسمت عزة بسخرية وأجابت:

- كأي أم.. خافت إذا عرف زوجها سيطلقها وستخسر بيتها؛ فما كان منها إلا أنها قالت إذا جاء وأنا نائمة أيقظوني.

أكملت حياتي وحاولتُ أن أتناسَى تلك الليلة وعواقبها، وفي يوم سعدي، أو كما أطلقتُ عليها ليلة عمري تعرّفتُ على شاب عن طريق عملي، تقاربنا جدًا وأصبح صديقًا، وسريعًا تحول إلى حبيب بعد أن كنتُ كرهت جسدي وكنتُ أتجنب أي شخص يحاول التقرب مني.

أخبرته بما حدث من خالي وكيف كان يتحرش بي؟ انزعج جدًا بما أخبرته، وأخذ يُطمئِن قلبي ويقول: كيف يفعل ذلك ومن المفترض أن يكون هو السند؟!

شعرت حينها بحلاوة الحب وتذوقتُ معنى الأمان الذي غاب عني لفترات طويلة.

لاحظ المخرج علامات الشرود على وجه نورهان، وحدثها في الـ air pods (نورهان، انتي كويّسه؟ تحبي ناخد بريِك لو عايزَه، شاوريلي وناخد بريك)

وكأنها لم تستمع إلى كلامه إطلاقًا؛ فلقد ذهب عقلها في رحلة وقلبها هو الذي يتحدث مطالبًا عزة بإكمال قصتها، وهو ما فعلته الأخيرة:

- حادثني ذات يوم وأخبرني أنه مريض ويحتاج لأدوية، ولا يوجد أحد معه بالمنزل، وبدون تفكير أو مناقشة اشتريت الأدوية وذهبتُ إلى منزله..

فتح لي باب المنزل ويبدو عليه علامات التعب والإرهاق..

- لقد أرعَبَنِي صوتك، هل أنت بخير؟

- نعم يا حبيبتي.. تفضلي بالدخول.

- حمدًا لله أنك بخير.

- لكِ أن تقتربي مني! أم أنكِ خائفة مني؟!

- لماذا أخاف؟! فأنت مصدر أماني وسند دنياي.

وحدث الذي لم يكن بالحسبان لقد واقعَني وأصبحتُ لستُ عذراء!

انهرتُ وكنت أضربه بكل ما أوتيت، وكان صوت عقلي يقول: «لماذا تنهار كل مصادر الأمان؟ لماذا تتغير الوجوه والوعود؟!»

- لماذا أنت منفعلة كذلك؟ سنتزوج.

- أحقًا ما تقول؟ هل ستتزوجني؟

- بالتأكيد.

ارتديتُ ملابسي وقلبي ممزّق غير قادر على فهم ما يحدث، حتى وصلت إلى منزلي وارتميتُ علي سريري حتى الصباح.

ظللتُ أتواصل معه لأيام وأهاتفه، ولكنه لم يُجِب على مكالماتي.

قررت أن أذهب إليه.. صعدتُ إلى المنزل وقلبي موجوع مهزوم، وعقلي يحدثني: «ماذا ستفعلين عندما يفتح لكِ باب المنزل؟!»

فتح وكأنه تفاجَأ بوجودي.

- ماذا تريدين؟ لماذا جئتي إلى هنا؟

- أحقًا تتساءل لماذا جئت؟ لقد جئتُ لكي تتزوّجَنِي كما وعدتني.
- أتزوج مِن مَن؟ منك أنت؟!
- نعم أنا!
- أتزوّج مَن تحرّش بها خالها ولا أعلم ماذا حدث بينهما؟
- تعلم جيدًا أني كنت عذراء قبل أن تواقعني!
- لا أدري ماذا حدث دون علمي؟!

شعرتُ وكأن العالم يضيق عليّ وعقلي توقف تمامًا عن التفكير وروحي مغيبة، بل إنها انفصلَت عن جسدي، لم أدري بنفسي حتى سحبتُ السكين الموجودة على الطاولة المجاورة له وطعنته في صدره طعنات نافذة، وكأن الوقت توقف في تلك اللحظة! غياب تام للإحساس بالزمن، لم أكن أدري هل هذا نهار أم ليل؟! تخلل جسدي كل الأحاسيس وعكسها تمامًا في نفس اللحظة، شعرتُ بالحر الشديد لدرجة التعرق، وكان ينتفضُ كل جزء بداخلها من البرودة.. فكرتُ كثيرًا وقررتُ أن أنتقم ممّن كان سببًا في كل هذا الخراب الذي تخلّل روحي..

ذهبتُ إلى منزل خالي، وبدون تفكير أو تردّد طعنتُه بنفس السكين.

******

أنهت عزة سرد قصتها، لتتناول نورهان راية الحديث وتتحدّث بعينين مليئتين بالدموع، لتقول تلك الكلمات التي لم تعدّها من قبل، ولكنها شعرت بها تنهمر من جوفها كالسيل:

- بدلًا من أن يصونوا شرفهم وأعراضهم استسلَمُوا لغرائزهم ونهشوا عرض بناتهم وأخواتهم، ونسوا أنهنّ من لحمهم ودمهم، جنس مقزّز وقصص مؤلمة انهارَت بها الحدود بين الحلال والحرام، فعندما يصل الأمر إلى أن يجامع الأب ابنته أو يسلب الأخ عذرية أخته؛ فلابد من صرخة تحذير.

هكذا اختتمَت نورهان حلقتها.

عادت نورهان إلى سيارتها وكل ما يدور في عقلها هل من الممكن أن يعيش إنسان آخر نفس قصتها؟

نعم! فحكاية عزة تشبه حكايتها التي لم يعلم بها أحد سوى ذلك الشخص؛ فأخرجت هاتفها وكتبت رسالة مقتضبة إلى باسم:

- لم يعد هناك شيء أخاف منه ولا حتى أنت، انتهت الحكاية.

إن السجن ليس فقط الجدران الأربعة وليس الجلاد أو التعذيب، إنه بالدرجة الأولى خوف الإنسان ورعبه حتى قبل أن يدخل السجن، وهذا ما يريده الجلادون، وما يجعل الإنسان سجينًا دائمًا!

تمت بحمد الله

٥ـ خاتم سليمان

الكاتبة الكبيرة: أميرة حسن الكيكي.

هل تخيلتَ يومًا أنك ملكتَ خاتم سليمان؟ تخيل أنه واتتْك الفرصة وملكتَه يومًا؛ لتجد أمامك في لحظة خادم الخاتم يصيح بك: (شُبّيك لُبّيك. عبدك وبين إيديك)!

تخيل إحساسك في هذه اللحظة، هل خوف ورعب؟ أم فرح وسعادة؟!

أنا شخصيًا أتخيل أنه سيكون رعبًا في البداية، لكن سيتحول..

وهذا ما حدث معي بالفعل، أجل! فلا تتعجبوا، لقد وجدتُ خاتم سليمان، أو بمعنى أدق لقد وجدني الخاتم! أجل، وتبدأ الحكاية عندما بدأتُ في تنظيف شقتي واتجهت للباب الخارجي ومدخل البيت، وانحنيت لجمع بعض القاذورات، إلا أن بريقًا لامعًا اصطدم بعيني؛ فظننتُ للوهلة الأولى أنه مجرد قطعة من الزجاج، وخوفًا من أن تؤذي أحدًا ما قررتُ أن أجدَها، ومددتُ يدي لأبحثُ عنها، وفي لحظة شعرت بشيء ما يأسر أصبعي؛ فنزعتُ يدي بفزع لأجد خاتمًا غريب الشكل يحيط بأصبعي، كان أصفر اللون، وإن لم يكن من الذهب! يتوسّطُه فص أحمر اللون له بريقٌ لامعٌ، حاولتُ أن أنتزعه من أصبعي، ورغم أنه لم يكن من الضيق

على أصبعي، إلا أني لم أتمكّن من نزعه، وبعد عدة محاولات كنت أشعر أن الخاتم يقاومني، واستسلمتُ ويأستُ، وقربتُ الخاتم من عيني لأتأمله، كان الإطار الخارجي مزيّنًا بنقوش غريبة الشكل، وحدّثتُ نفسي:

– يا سلام لو كان الخاتم ده ذهب، يا عيني ده كان هيبقَى تحفة، بس أعمل إيه بختى دايمًا أسود ومايجيش إلا مع الصفيح!

وشعرتُ بالحزن، ووجدتُ بريق الفص الأحمر يختفي ويصبح الفص باهتَ اللون؛ فحدثت نفسي بحسرة:

– يا خسارة! إيه البخت ده، حتى في دي ماليش بخت.

وفجأة سمعتُ صوتًا يهمس ليس بعيدًا، بل قريب جدًا!

– انتي السبب.. انتي اللي موّتّيه بحزنك.

أُصبْتُ بالذعر والفزع، ونظرتُ ذات اليمين والشمال وأنا مرعوبة، وصرخت:

– موّت مين؟! والله ما موّت حد، انتَ مين؟!

والتفتّ حول نفسي فلم أجد صاحب الصوت.

رجعت لشقتي وأنا في حيرة، أشعر أن الخاتم وراءَه سر غريب، وحاولت أن أخلعه بلا فائدة، وفجأة وأنا أشد بقوة سمعتُ نفس الصوت يصرخ:

– إيه؟ إيه بس بقى يا شيخة؟! حرام عليكي كسّرتي عضمي.

– لا بقى كده كتير قوي عليّا، انت مين؟ مين اللي بيكلمني؟!

ورد الصوت الغريب:

- أنا خادم الخاتم اللي في إيدك.. ارحميني بقى وبطّلى شد في الخاتم وخرجيني.

- يا نهار أسود، الله يهدّك هو أنا ناقصة جنان! ده أنا فاضل لي فيوز وأفرقع تقولّي خادم! وانت فين يا سي خادم؟

- لا هي مش طالبَة غباء، بقولّك خادم الخاتم هبقى في الجزمة بتاعتك!

- لا ده انت اللي جزمة، هتقِلّ أدبَك ولا إيه؟!

- يا ستي ارحميني وخرّجيني.

- يا لهوي عليّا وعلى سنيني! أخرّجك منين؟! مش لما ألاقيك أبقى أخرّجَك.

- ادعكي الخاتم أبوس إيدك.. ادعكي الخاتم.

- إيه شغل إسماعيل يس ده؟ ماشي يا سيدي لما نشوف أخرتها إيه معاك؟ يا لهوي هو انت واقف على باب الخاتم؟ وإيه كل الدخان ده؟!

وتجمع الدخان بعيدًا، وظهرَ لي رجل مدخن بهيبة... طويل القامة ضخم الجثة، وله شعر حريري طويل.

لن أدّعي الشجاعة؛ فلقد فزعت، ولكن لثوانٍ لم تطُل، واعتدتُ عليه وبدأتُ أدُور حوله أتفحصه جيدًا..

- إيه الشَّعر ده؟ ده مضروب بروتين، بس إيه حاجة غالية، مش زي بروتين أم شهد اللي بيفرد الشعر يومين وبعدها يشضّض، ولا الست المنتشيَة، آه يا بت لو عندي شوية الشعر دول! ده أنا كنت قلَبْت

الشارع والحي كمان، يا سلام لما أمشي كده وهو مفرود ورا ضهري والهوا يطيّره، وأنا قال إيه بعدلُه بضهر إيدي.. يا سلام!

وفجأة شعرتُ بفوران في راسي، مددتُ يدي لأجد شعري طال وفُرِد وأصبح ناعمًا مثل الحرير، كانت سعادتي لا توصف؛ فها قد أتى فارسي الذى يحقق أحلامي دون أن أطلبها؛ فيكفي أن أحلم فقط، ولم تطل فرحتي؛ لأجد نفسي في وسط الشارع وشعري يطير كما تمنيت، ولم يعنِني في هذه اللحظة شعري؛ فصرختُ وأنا أبحث عما أستر به شعري وأسب وألعن ابن العفاريت الذي لم أعرف له اسمًا!

- يخربّيتك يا ابن العبيطة، الله يهدّك.. روّحني روّحني إيه ده؟! وشّك اتقلّب واتغيّر أحمر أصفر أزرق كده ليه؟!

- بني آدمة نمرودة، من ٥ آلاف سنة وأنا بقول مابحبّش أشتغل مع الصنف ده، أنا كنت شغال مع سمكة وأنا في بطنها كانت عِيشَة بغْددَة.. فرحة الدنيا لما أجيب لها دودة مقلبظَة.

- سمكة ودودة مقلبظة! بقولّك روّحني يا أهبل، سايبني بشعري في الشارع وأنا محجبة!

ضرب ابن العفاريت يده في رأسه، وبسرعة وجدتُني في البيت، تنفستُ براحة وأنا أهز رأسي.

- يا بختي الأسود.. يوم ما يطلع لي عفريت يبقَى عفريت أهبل!

زمجر ابن العفاريت وهدّدَني:

- احترمي نفسك وبلاش غلط.

شوّحتُ بيدي في الهواء:

- يا شيخ اتلهي على عينك، وبعدين انت مين وجايلي ليه وعايز إيه؟!

زفر بغضب:

- أنا سوريدان خادم الخاتم، وأنا ماجتلكيش.. الخاتم اللي اختارك، وأكيد مش عايز من بني جنسكم حاجة، وأكيد انتي اللي عايزَه، بدليل إنك طلبتي أول أمنية قبل ما نتعرف.

شعرتُ بالغيظ وحدّثتُ نفسي:

- ما هو باين أهو إنه جاي ينفذ لي اللي هتمناه، يقوم يضيّع أول أمنية بسهولة كده.

وصرخت بقلة ذوق:

- نعم نعم يا ابن العفاريت؟! بتضيّع لي أول أمنية على شعري؟! هو أنا كنت طلبت منك تفردهولي؟! إيه فيه إيه؟! هو انت هتاكلني ولا إيه؟ انت بتشيط! أيوَه الْحَق فيه دخان طالع من مناخيرك ووشك استوَى.. قصدي اتحرق، يادي النيلة قصدي احْمَرّ.

- بس بس بس بس اخرسي.. اسكتي اتهدي اتكتمي اصمتي.

- هي حصّلِت لاصمتي، لا بقى مش هصمت يا سودان.

- سودان مين؟ بقولك سوريدان.

- بذمتك.. بذمتك فيه واحد يبقى اسمه سوريدان؟

- آه فيه.. أنا اسمى كده، أمي سمّتني كده من ٥ آلاف سنة، تحبي أبعت أجيبلِك أمى عشان تناقشيها؟!

- لا يا خويا وعلى إيه؟! سوريدان سوريدان، ونتعب ستّ الحاجّة ويمكن المشوار يبقى تقيل عليها، وعلى ما تطلع السلم! لا يا خويا!

- يا ربي! يا ربي ليه كده يا ربي؟! بني آدمة وقبِلْتها ورضيت بقضاء الله، إنما تبقى لاسعة!

- يا حلاوة يا سي سوسو.

- سوسو! سوسو! آه ياني يا أما، تعالي لى يااما شوفي ابنك جرَاله إيه؟ ابنك زينة شباب الجن اتبهْدِل واتهان.

- ما قولنا سيب الحاجّة مكانها، وبعدين زينة شباب إيه؟! ده تلاقيك عيل فاشل وخايِب ومطلّع عينيهم عشان كده حبسوك في حتة خاتم؛ فاسكت بقى وماتشتغلنيش.

- أنا آسف لحضرتك، أنا بعتذر.. أنا مش فاشل وبس، أنا ساقط ابتدائية قديمة.

- إيييه يا قلب أمك ست الحاجة! وسقِطْت في إيه؟ علوم ولا دراسات؟ جرى إيه؟! دماغك يا خويا.. حاسب دماغك خلاص تولع.. دماغك حاسب الحيطة، أنا لسّه مبيّضة من خمس سنين.

- خلاص أنا مش هتكلم، أنا سوسو.. هصمت للأبد، اتكلّمي حضرتك.. اؤمريني سيادتك.

- أأمُر إيه انت بتستعبطني عشان تضيّع عليّا أمنياتي! مش تقولّي

الأول أنا ليّا كام أمنية!

- ليكي...

- لا استنّى.. هو استعباط ولا استعباط؟ اقَف عندك أنا ما اتمنّتش شعري يبقى حرير ولا الكلام الأهبل ده، قصدي يعني دي كانت أمنية بيني وبين نفسي إيش حشرك انت فيها، آه اصحَى كده وفوق.

- أبوس إيدك سيبيني أشرحلك عشان أغور، وأمنية شعرِك اعتبريها هدية مني ليكي.

- أيوَه كده يا غالي طمرت فيك العِشْرَة، بس يا جبان مش اللي يهادي حد يهاديه بحاجة عليها القيمة، مش شوية شعر، ده قيمتك برضُه؟

- معلش آسف.. أنا غلطان، ممكن أتكلم بقَى؟!

- ما تتكلم.. كنت حايشاك ولا حايشاك، ولا أكونش ماسكَة بُقّك، إيه انت نمت؟ طيب نوم العوافي بقى، بس هو انت يا خويا نايم زي الخفاش ليه؟! طيب ما يضرّش، ولا لأ معلش يا خويا أنا أخاف تاخد السقف وتقع، لا يا خويا أنا لسّه داهنة من خمس سنين، وبعدين معلش يعني أنا أعمل إيه لما جوزي فتُوح أبو كرش يرجع من شغله ويلاقي عفريت متعلّق له في السقف، ولا هوب تقع فوق نافوخُه تبطّطه وهو متبطّط خِلْقَة، لا يا خويا اصحَى كده وفوّق ازرفني بالكلمتين اللي عندك وخلّصنا بقى، وادخل نام في الفص بتاعك آه.

- خلاص خلصتي أتكلم؟

- ما تتكلّم... هو أنا مممممممممم إييه شيل إيدك كتمت نفَسِي هتموتني، انتَ مممممممممممم.

- مع نفسِك بقى، ما هو انتي هتسمعى يعني هتسمعي، انتي ليكي تلات محاولات بتحاولي تكوني فيهم سعيدة، لو قدرتي تحقّقي السعادة من المحاولة الأولى هكون في خدمتك سنة بحالها، ولو حقّقتي السعادة في المحاولة التانية هخدمك شهر بس، أما لو حقّقتِيها في المحاولة التالتة هخدمِك أسبوع بس، ولو التلات محاولات فشلوا هختفي وهيختفي الخاتم من حياتك.

- مممممممممممم.

- قصدِك إيه؟ آه لا مؤاخذة نسيت أشيل إيدي.

- آه نفَسي هتموتني، إيدك مِرْزَبّة، المهم.. ما أنا ممكن يا فالح مابقاش سعيدة من المحاولة الأولى وأضحك عليك وأمثّل السعادة.

- لا طبعًا سيادتك الخاتم هو اللي هيحدّد انتي سعيدة ولا لا!

- الخاتم! وهو هيعرف ازّاي؟!

- خاتم عفريت، هو كده لما هتبقِي سعيدة هتلاقي فصّ الخاتم بيلمع، فهمتي؟

طبعًا الموضوع يحتاج لتفكير.

ووقفتُ أمام المرآة أحدّث نفسي:

- أطلب إيه؟ إيه اللي ممكن يخلّيني سعيدة؟ فلوس.. قوة.. صحة.. راحة بال، إيه؟ ولّا يعني ممكن أطلب الجمال، أكيد إني أكون جميلة

هتبقى حاجة حلوة قوي قوي كمان، بس برضه مفيش أحسن من راحة البال والصحة، بس هو ممكن فعلًا يحققها لي، لا أنا مخي بيشيط، أنا محتاجة لسوسو.. لا مؤاخذة يا خويا لو قلَقْت حضرتك وانت نايم ولّا حاجة.

- لا أنا في خدمتك، وأنا مابنامش غير كل سنة.

- يا لهوي! تفضل صاحي مفنجِل عينيك سنة بحالها، وبعدين تفضل محبوس كده ومأزعَر جوّه فص الخاتم؟! طيب يا خويا ما استكبروش ليه وحطُّوك جوّه فانوس؟ لا والنبي ولا فانوس، ده راسك لوحدها عايزَه زير منفوخ وعنده تضخم.

- سمية.. سمية.

- يا حلولّي.. وعرفت اسمي كمان؟

- جن أنا ولا مش جن؟

- يا خويا بلاش زرزرة، ده الجيل الجديد من الجن ده صعب قوي، خليك طويل البال.

- حقك على أمي.

- ست الحاجة! والنبي وحشِتْني، سلملي عليها والسلام أمانة مممممم.

- اسكتي.. اسكتي.. اسكتي.. واخلصي وقولي عايزَه إيه بسرعة، أنا سايب كوباية اللبن وهتِبْرَد، وانتي ماتعرفيش أمي لو زعلت منك ممكن تعمل فيكي إيه؟

- يا باااي، حاسِب إيدك بقى، وبعدين تعالَى هنا، انت بتستعبط؟

وهي أمك كانت معاك في الفص؟!

- يا ستي أنا ما دام خرجت أول مرة على إيدك ببقى حُرّ، أروح وآجي براحتي، بس أول ما تدعكي الخاتم بسيب أي حاجة وأجيلك فورًا، وأنا سايب حوت مشوي وكوباية لبن فطاري.

- بتفطر حوت مشوي وكوباية لبن! إيه الفطار الغريب ده؟! سمك لبن.. وفين التمر هندي؟ طيب خلاص ماتزمْحَرش كده، كنت عايزَه اسألك ممكن تكون أول محاولة ليّا هي راحة البال؟

- انتي طيبة قوي يا سمية، بس راحة البال دي بإيدِك انتي مش بإيد حد غيرك.

- أنا قلت كده برضُه.. طيب الصحة؟

- ولا صحة ولا موت ولا حياة، دول مش بتوعي.

- تمام.. يبقى فاضل المال والقوة والـ...

- الـ إيه؟ سكتّي ليه؟

- مكسوفة.

- لا ماتتكسفيش، قولي بتفكّري في إيه؟

- الجمال يا خويا، أصل يعني زي ما انت شايفني كده خِلقة ربنا جميلة.

- يعني اخترتي الجمال.. ده اللي هيسعدك؟

- لا اصبر شوية، هو إيه اللهوجة دي؟! أنا بفكر، أصل المال ده حاجة قديمة، كل الأفلام العربي بتبدأ بالمال وتنتهي بمصيبة، والقوة

حلوة آه، بس أنا ست نفسي أتدلّع وأتغندر، لا يبقى خلاص الجمال، أنا اخترت ياسوريدان أول محاولة ليّا هتبقى الجمال.

- يبقى تعالِي يا سمية يا بنت دلال اقفي قدام المرايا وغمّضي عينك... ودلوقتي افتحي عينك وشوفي الجمال.
- إيه ده؟ مين دي؟! معقولة دي أنا؟! أنا خسِّيت يجي خمسين كيلو.
- يا شيخة أنا شايل يجي تسعين كيلو دهن بس.
- اسكت بقى بلاش فضايح، وإيه ده؟ دي عيني خضرا، لا لا دي زرقا، ولا دي إيه دي؟!
- ده أوبشن جديد أول مرة ينزل، كل يوم تختاري اللون اللي انتى عايزاه من خمس ألوان.
- يا حلاوة يا حلاوة، وانت اللي اخترت لي الشعر الأصفر ده؟
- لا بصراحة ده اللون اللي بيحبه بابا، بس ماما مش راضية تعمله.
- امال شعر الحاجّة لونه إيه؟ يا لهوي إيه اللون ده؟! هو فيه حد شعره أحمر دم الغزال؟ والله أبوك ده غلبان لما يصحى يلاقي عفريت قدامه.
- عفريت.. أمال أمي إيه؟
- آه لا مؤاخذة يا خويا، طيب بس أنا عايزَه شعري بنّي فاتح قوي، أيوه كده تمام.
- بس خلّي بالِك وافتكرِي إنِّك محجبة.
- آه آه فاكرَه، بس...

- بس إيه؟
- أصل يعني الجمال ده كله وهخبيه ورا الحجاب، أمال أنا بقيت جميلة ليه؟!
- هو انتي بقيتي جميلة لنفسك ولا عشان تفرّجي الناس عليكي؟
- لا مش قصدي، بس يعنى ما أنا هبقى سعيدة لما ألاقي الناس مبهورة بجمالي.
- انتي حرة، أنا ماليش إنى أتدخّل في اختياراتك.
- أنا هقولّك أنا هقلع الحجاب على ما أحقّق السعادة وأكسب المحاولة، وبعد كده أرجَع أتحجّب تاني.
- برضُه انتي حرة.. المهم الخاتم يرجع يلمع من تاني، ومع أول لمعَة يبقى كسبتي المحاولة.
- يبقى خلاص، أخْ.. بس أنا عندي مشكلة، فتُوح جوزي لو شافني كده هيطبّ ساكت.
- لو على فتوح مايهمكيش، أنا هخلّيه لما يشوفك يفتكرك طول عمرك كده.
- يا حلاوة يا حلاوة.. يا سلام يا فتّوحتي لما تدخل تلاقيني ولا نجوم السيما، وتحضنّي وتلف بيّا حوالين نفسَك.. يالهوي يالهوي على الرومانسية، بس هيلف بيّا بكرشه ده بس أعمل إيه؟ أنا هبلعه كده لغاية الفص ما يلمع، وأول طلب هطلبه ساعتها هو إنه يخليه جميل.

لكن الغريب أن فتوح عاد للبيت مثل أي يوم يحمل شنطة فاكهة

ويتدحرج هو وكرشه، وقفتُ أمامه، نظر إليّ نظرة خاطفة وألقَى السلام كأي يوم، حاولت أن ألفِت نظره بلا فائدة، مشيت وراه مثل ظله، وفجأة صرخ فيّ:

- هو فيه إيه؟! خيلتيني.. ماشية ورايا ليه؟!

كرامتي أُهينَت وقلبي انفطر، ووجدت نفسي أبكي، حاولتُ أقنع نفسي أن أكون سعيدة لكن فشلتُ، ونظرت للفص وجدتّه منطفئ وبهتان، زاد الحزن في قلبي.

وفجأة ظهر أمامي سوريدان..

- معلش.. كده أول محاولة ليكي فشلِت.

- طيب ليه فتوح ما اهتمّش بيّا؟!

- أنا قولتلِك إني هخلّيه يفتكر إنك بنفس الشكل ده طول عمرك، والعين ما دام اتعوّدِت على الجمال بقى شيء عادي بالنسبة لها، مش مبهر ولا مُلفِت.

- بس أنا كده اتخدَعْت.

- أنا ماخدَعْتكِيش.. بس تفتكري كنا هنقول إيه لجوزك لو رجع لقَى واحدة تانية في البيت غير مراته اللي سابها الصبح؟

- لا ما تظلمنيش وتضيّع عليّا فرصة فرحتي بجمالي.

- بس انتي مافرحتيش.

- لا هفرح.. أكيد لما أتعامل مع ناس أول مرة هتشوفني.

- وأنا هدّيكي فرصة كمان عشان ماتقوليش إني ظلمتِك.

وفعلًا قررت أني أتشيّك وأنزل للشارع، أكيد نظرات الإعجاب والإبهار هتسعدني، خصوصًا إن سوريدان قال لي إن ما حدث مع فتوح سيكون نفس حال أي إنسان يعرفني من أصحابي وأهلي وجيراني، إذًا لابد أن أتعامل مع شخص جديد.

وفعلًا نزلت الشارع ومشيتُ ونظرات الإعجاب تطاردني، لكني لست سعيدة!

دخلتُ السوبر ماركت، وطبعًا صاحب المحل كان مثله مثل فتوح، كان يعاملني وكأني ملكة جمال طوال عمرها، اشتريتُ أي شيء ووقفت أمامه لأحاسبه.

وفجأة أمسك يدي بالقوة.

- هو إيه؟ الجميل مش ناوي يرضَى عني؟ أنا قلبي خلاص مش قادر يتحمّل، معقول الجمال ده كله يبقى لأبو كرش؟!
- سيب إيدي بدل ما أصوّت وألِمّ الناس عليك.
- ومالُه؟ كل رجالة الحي هيعذروني، وكل واحد فيهم نفسه فيكي.
- انت راجل قليل الأدب.. ابعِد عني.

وفعلًا شددتُ يدي وجريتُ.. هربت.. تمنيتُ أن تنشق الأرض وتبلعني، حاولتُ أن أبحثَ عمّا أستر به شعري، ووجدتني أبكي أبكي.. أبكي، وبسرعة طلبتُ من سوريدان يرجعني بيتي وبسرعة، وصرختُ في وجهه:

- رجّعني زي الأول، عايزَه شكلي الأول.

وفشلَت أول محاولة وضاعَت فرصة خدمتِه لي سنة كاملة، والآن

المطلوب أن أفكّر وأختار صح حتى لا تضيع المحاولة الثانية.

هذه المرة يجب أن أختار صح، تبقّى القوة والمال؛ فحدثت نفسي:

- أنا مش هغلط وأختار المال، القوة ممكن تجيب المال، بس المهم القوة دي جسمانيًا ولّا نفوذ وسيطرة؟!

وطبعًا القوة الجسمانية أبعَد عن أحلامي؛ فأنا بطبيعة الحال قوية البنية..

- جسمانيّة إيه؟! ما أنا قوية طبيعي، ده أنا بهبد فتوح الهبدة بيروح فيها، يبقى الاختيار الأمثل هو النفوذ.

وفعلًا طلبتُ سوريدان وأبلغتُه قراري، الحق يقال.. حاول سوريدان أن يلفتَ نظري أن النفوذ غدّار...

- ممكن نفوذِك يسيطر عليكي ويتحكّم هو فيكي.. هتشوفِي إنّك بقوتك ونفوذك ممكن تسيطري على الكون.

سمعتُه، لكن كلامه جعل قلبي يرقص من الفرحة.

- يا سلام! هو فيه أحسن من كده يا جدعان؟

وصمّمتُ على قراري، وفعلًا فجأة وجدتني في مكتب فخم كبير..

- ده مكتب إيه ياسوريدان الله يهدك؟

- بطّلي طولة لسان.. ده انتي بقيتي وزيرة!

أنا لا أعرف كيف انتفضتُ من على مقعدي وهرعتُ أجري ناحية الباب، وأنا اصرخ:

- يخربّيتك، بيتك إيه! يخرب خاتمك يا شيخ هتوديني في داهية! فجأة كده أبقى وزيرة، بتلعب مع الحكومة يا ابن المضّايقة؟!
- قولتلِك مليون مرة مالكِيش دعوة بأمي.
- انتَ وأمك في ساعة واحدة هتودّيني في داهية.

وفجأة انفتح الباب، ودخل رجل بهيبة، نطقتُ الشهادة..

- خلاص روحتي في داهية، واللي كان كان، يا حبيبتي يا سمية، روحتي في شربة ميّه بسبب ابن الجنية.

وفجأة وجدت ذا الهيبة يقدّم لي ملفًّا يحوي عدة أوراق:

- البوستة يا سيادة الوزيرة.

طلبتُ منه الانتظار بالخارج وأنا في ذهول، وما أن خرج:

- يا حلاوة.. يا حلاوة يا ولاد، وبقيت وزيرة خلاص.

نظرت لسوريدان الغالي وأنا أرقص من الفرحة..

- أنا وزيرة.. أنا وزيرة.
- اصبري بس.. مش تعرفي وزيرة إيه؟
- وهي هتفرق يعني؟
- آه طبعًا، مش تعرفي مسئولياتك!
- نعم نعم! مسئوليات إيه يا مخبول؟ هو أنا أفهم حاجة في الشغلانة دي، أنا معرفش إلا أني بقيت صاحبة المعالي.
- وصاحبة المعالي بقت وزيرة التموين.

- يا زيتَك وسكّرَك ورزّك.. أيوَه كده خلّيني أخزّن البيت.

- تخزّني البيت؟! ده كل اللي جِه على بالك؟!

- لا طبعًا، ده فيه حاجة مهمة قوي قوي.. هي دي اللي هتخليني سعيدة وأكسب المحاولة.

وبسرعة فتحتُ الباب، وبكل كبرياء أمرتُ الرجل ذا الهيبة:

- أنا عايزَه عربية فورًا، أنا هعمل حملة تفتيش!

ووجهتُ الحملة للسوبر ماركت المجاور لبيتي، وقررتُ أن أنتقم من صاحبِه، واقتحمت المحل انتفضَ الرجل من مكانه، تجولتُ بالمحل.. واتجهتُ من فوري لأحد الأركان البعيدة والمعروفة لكل المترددين، إنه ركن يجمع به ما فسد من بضاعته حتى نهاية اليوم؛ لتحملها سيارة القمامة إلى النفايات.

ورغم علمي وعلم الجميع بذلك إلا أني اتهمتُه ببيع بضاعة فاسدة، وقف يصرخ ويستشهد بالناس، لكني أخذتُ قراري بتشميع المحل، لن أخبركم عن سعادتي التي لا توصف وهو يصرخ أنه بريء، وبسرعة نظرتُ لفصّ الخاتم انتظارًا أن يلمع، إلا أنه ما زال على حاله، وحدثت نفسي:

- لا بقى.. أكيد الخاتم ده عايز يتظبّط، أنا فرحانة جدًا.. أنا فرحانة، بس هو أنا ظلمته صح؟ هو إنسان غبي وبتاع ستات، بس مش غشاش، هو أنا ضرِّيته في أكل عيشه؟ ازّاي أنا أعمل كده؟! ازاي أشمّع المحل اللي بياكل منه ولاده؟ ازّاي أستغلّ نفوذي لمصلحة شخصية؟! أنا حتى ماحاولتش أعرف واجباتي، لا النفوذ ده لعنة، أنا حزينة جدًا على اللي عملته.

وطبعًا خسِرتُ المحاولة الثانية، لكن المهم أني أصلحتُ خطأي قبل أن أفقد نفوذي.

ورجعتُ بيتي بالخيبة والويبة، وضاعت محاولة الشهر، ولم يتبقّ إلا محاولة واحدة، وفرشتُ على الأرض وجلستُ أندب حظي، وفجأة وجدتُ سوريدان واقفًا أمامي ينفخ نارًا.

- حاسب يا عم هتحرقنا، هي ناقصاك!
- ولا نقصاكي... خلّصيني بقى زهقت.
- إيه العفريت المختل ده؟! ما هو يا أغبى عفاريتك المفروض تكون مبسوط مش مخنوق، ما هو لو أنا كنت كسبت كنت هفضل في خلقتك يا سنة يا شهر، إنما دلوقتي مش فاضلّي إلا أسبوع.. ولو فلحت.
- تصدقي آه.. أنا ازاي غابت عن عقلي؟
- طب سيبني في حالي خلّيني أفكّر أعمل إيه؟

ما هو مابقاش فاضل إلا المال، وأنا عارفَه إن الفلوس عمرها ما كانت بتجيب سعادة، طيب أعمل إيه؟!

- بقولّك إيه.. أنا كده كده خسرانة، يبقى أطلب الفلوس، أهو لما أخسر يبقى على الأقل كسبت حاجة.

وفعلًا طلبت المال، ووجدت أمامي رُزَم رُزَم، وفكرت أن أُسعدَ نفسي، واشتريت كل ما تمنيته يومًا، ولم أنسَ طبعًا فتوح، ولا حتى كرشه! وأعددتُ له وليمة، واشتريت مجوهرات، وتماديت؛ فاشتريتُ سيارة.

وكنت أراقب الفص، إلا أنه ما زال على حاله!

وقررتُ أن أنتقل لشقة فاخرة على البحر، واتجهت لجمع أغراضي من بيتي القديم، وقررتُ أن أودّع جيراني، وبدأتُ بأفنان حبيبة قلبي، كانت عيناها متورمة من كثرة البكاء على طفلتها شذا، وبرقَت في ذهني خاطرة..

– آه صحيح.. أنا ازّاي مافكّرتِش أساعد أفنان؟

وبسرعة أخذتُ أفنان وشذا لأكبر دكتور، وتم إنهاء الإجراءات لإجراء العملية، وعملَت شذا العملية وانتقلت للعناية الحرجة.

مرت الساعات بطيئة وأنا في انتظار أن تستيقظ شذا، وفي انتظار اختفاء الخاتم للأبد؛ فأنا لم أحقق السعادة بعد، ولم يختفِ الخاتم واستيقظَت شذا، وصرختُ بسعادة واحتضنتُ أفنان وأنا أبكي وأبكي!

وفجأة وجدتُ الخاتم يلمع ويضيء؛ فأيقنتُ أن السعادة أحسَستُ بها عندما قررتُ أن أسعد غيري، وهذه أكبر سعادة في الكون.. وفزتُ بالأسبوع.

وقررتُ أن الأسبوع سأكرّسه لأُسِعد أكبر عدد ممكن من الغلابة والمحتاجين.

وفات الأسبوع وسوريدان أتَى ليودّعني، وبضحكة من قلبي قلت:

– ضحكت عليك، أخدت منك أسبوع ادّاني دنيا وآخرة.

السعادة الحقيقية لما بتسعد قلوب حزينة.

تمت بحمد الله

الفصل الثالث
نقطة التقاء

١- افترقنا دون أن نلتقي..... نورهان عماد

٢- ما بين ليلة وضحاها..... إسراء شعبان

٣- نقطة التقاء..... آية أحمد

٤- شهد والوحش..... مروة أسامة

١ـ افترقنا دون أن نلتقي

نـــورهـــان عـــمـــاد «نور»

اسمها حبيبة.. فتاة في السابعة عشر عمرها.. محطمة من الداخل، لقد شابت قبل أن تشبّ، تعيش في إحدى الحارات؛ حيث تتعانق الأسر ولا تخفَى الأسرار، تحمل مسؤولية أكبر من سنها أحيانًا، وتدلَّل أحيانًا أخرى.

ففي الثالثة عشر من عمرها، وبينما كانت ذاهبة لاقتناء طلبات المنزل، مرَّت على محل لشراء الجبن، دقّ فؤاداها حين التقَت به في المحل الذي يعمل به، كان يقف بابتسامته الرائعة وعيونه اللامعة وكأنها عينَيْ طفل صغير؛ فشعرت بذلك الصغير الكامن في صدرها يدقّ وكأنه استيقظ للتو من سبات عميق، ألم يقولوا أن النظرة سهم من سهام إبليس؟ ومن شدة خفقان قلبها لم تطِقْ الوقوف؛ فتلاقت عيناها بعينيه، ولتسرّعها أخذت طلب الفتاة الذي كانت تقف بجوارها، ولكنه ناداها حيث قال:

– مش ليكي.. مش ليكي.. مش ليكي.

فنظرت للوراء وفهمت المغزى من كلماته، أرجعَت له طلبها وانتظرت طلبها قائلة في نفسها:

- أنا ازّاي ماشُوفتهاش؟!

وذهبت لمنزلها ولم تُعِر الأمر اهتمامًا، ولكن شيئًا ما تغيّر بداخلها، أصبحت تذهب للمحل لا تعلم لماذا؟! لكنها تعلم أن يومها لا يكتمل إلا عند الذهاب إليه، اعتادت رؤيته يوميًا، ينتشي قلبها ويدقّ عند لقائه، وتلتفت لتراه وكأن روحَه تجذب روحها، وكانت ترسلها أمها للمحل يوميًا لشراء الطلبات، وكانت تمر من أمامه لتذهب لمدرستها، وكأن العالم تآمر عليها لتعشقه؛ فعشقته!

مرت فترة دون رؤيته؛ فاشتاقت له كثيرًا، وحلمت به بنومها ليتأكد قلبها أن الحب فرَضَ سلطانه عليه، حكَت عنه لصديقتها، وكتبت عنه الأشعار، تحلم به بنومها وتتخيله في يقظتها، قد تخطئ في اسم أحدهم تنادي إياه باسمه «أحمد»، يقفز قلبها عند رؤيته، يُسقَم إن غاب عنها، تدعو الله في الليل وأطراف النهار أن يكون من نصيبها.

فذات يوم -وبينما تجلس مع صديقتها يتحدثان سويًا- قالت صديقتها:

- مالِك يا بنتي مبلّمة كده ليه؟!

فقالت بنبرة يكسوها الحزن:

- وحشني.. وحشني قوي يا فاطمة، مش عارفَه هو مختفي فين؟

فقالت:

- يا بنتي ما تكلميه بدل ما انتي عاملَه في نفسك كده.

فقالت حبيبة:

- ازاي يعني؟! أنا لا يمكن أعمل كده.

فقالت فاطمة متحدية إياها:

- أُمّال هتفضلي تحبيه بينك وبين نفسك كده؟ بطّلي عبط.. لازم يعرف عشان نشوف إن كان بيحبّك ولا لا؟

فاتسعت حدقة عينيها، وقالت:

- بيحبني؟! بيحبني ازّاي يعني؟

فقالت فاطمة وقد نفد صبرها:

- مش انتي قولتي ساعات بتحسي إنه بيحبك؟

أغمضت عينيها في ألم، وقالت:

- آه.. بس مجرد إحساس أو كذبة بضحَك بيها على نفسي.

فقالت فاطمة:

- بس.. سيبيني وأنا هجيبلك رقمه.

ذهبت حبيبة إلى منزلها، وفتحت مذكراتها وكتبت «أحبه، بل أعشقه، ولكن ماذا أفعل؟!

هل عليّ أن أحدثه؟

لكن لا.. ذلك حرام؛ فالحب لا يكون محرمًا إلا عندما يتحوّل لأقوال وأفعال، لكن أنا لن أحدثه طويلًا، فقط لأعلم إن كان يحبني أو لا، لكن لو لم أعجبه؟!»

ومن ثم ذهبت للمرآة.. تحسّسَت ملامحها أنها فتاة عادية ليست

بملكة جمال، وليست بقبيحة! لا تملك الملامح التي يطلقون عليها «مسمسمة،» ونزلت دموعها حارة هادئة من فكرة أنه من الممكن أن يخذلها، ستفعل للمرة الأولى وتُحادِثُ شابًّا بعد حب طال لثلاثة أعوام.. حبٌّ صامت.. إنه الحب من طرف واحد، ذلك الحب النقي؛ حيث يحب شخصٌ شخصًا ما لا تكتمل حياته إلا به، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، يدعو له في السراء والضراء دون أن ينتظر منه شيئًا.

قطع صوت أفكارها دقُّ جرس الباب؛ فذهبت لتفتحه.

وكانت فاطمة من دقته؛ فاستقبلتها، فقالت فاطمة بحماس:

- جِبْتلك الأكونت بتاعه.

فقالت وهي تتلعثم من فرط التوتر:

- يعني هكلمه؟

فقالت فاطمة بنفاد صبر:

- يا رب ارحمني.. طبعًا هتكلّميه.

فقالت حبيبة:

- بس.. بس... بس...

فقالت فاطمة:

- بسّة ما تبسّك.. يلّا كلميه.

فترددت؛ فأرسلت فاطمة الرسالة الأولى.. «أنا حبيبة.. ١٦ سنة، وانت؟»

تحدثا كثيرًا عن طريق المراسلة وعلى الهاتف، حتى جاء ذلك اليوم حين اعترفت له بحبها، قالت بكل بساطة:

- أحبك.

فطلب منها أن يراها قائلًا:

- عايز أشوفك.

- لا.

- طيب قوليلي انتي مين طيب.

أغلقت حسابها وفكرت مع نفسها..

«وفيها إيه يعني لما يعرفني؟! ممكن يفكّرني بنت مش كويّسة! بس لا يعني.. هو أكيد عارفني وعارف أخلاقي.. لا افرض ماعجبتهوش، لا بس أنا مش وحشة، بس مش جميلة، على الأقل الجمال اللي هو عايزُه.»

رفضَت رفضًا تامًا أن يتعرف عليها، وظلَّا صديقين لا أكثر ولا أقل، حتى قال لها مرة:

- أنا بحب واحدَة.. بحبها قوي مش عارف أوصلّها.

صمتت وسمعته، والدموع تسقط من عينيها بهدوء، وأكمل هو قائلًا:

- هي بتعدي كل يوم على المحل.

خطر ببالها أنه من الممكن أن يكون يتحدث عنها، ولكن كيف؟ بالتأكيد هو لا يحبها.

وهو يسترسل قائلًا:

- بس مش عارف.. هي أكيد مش بتحبّني.. ألو.. ألو.

أُغْلِق الخط!

مرت الأيام وخطب أحمد دون أن يخبر حبيبة؛ فغضبت وانهارت، بكَت كثيرًا وحذفَت حسابها وأغلقت هاتفها، وذات يوم من فرط الشوق والحنين فتحَت هاتفها؛ فوجدت رسائل كثيرًا منه تحمل الكثير من الأسف؛ فاتصلت به وقالت بنبرة يكسوها الحزن:

- مبروك.. عرِفْت إنك خطبت البنت اللي بتحبها.

فقهقه قهقهة تحمل من قهر الرجال ما تحمل، وقال:

- لا أنا ماخطَبتش البنت اللي بحبها، أنا عرِفْت إني مش هعرف أوصل للبنت اللي بحبها فخطبت.

فتألمت ألمًا، وقالت:

- طب هي مين دي؟

فقال:

- بنت بتعدي على المحل كل يوم بتلبس عباية سودة وطرحة زرقا، وبتشتري بيض ولبن وعيش وفول وعجينة.

اتسعت حدقتا عينيها، ووضعت يديها على فمها.. إنه يتحدث عنها.

- ألو.. ألو..

قُطع الخط!

ولكنها لن تعود له على أية حال؛ فلن تقبل بجرح أية فتاة أخرى؛

فهي وحدها تعلم كيف يكون الألم، فهذا قدرها وقد آمنت به.

هي الآن تبكي عيناها وتئنّ روحها، جسد ملقى على الأرض تسير الرعشة فيه بأكمله، شهقات متلاحقة يقف الماء في حلقها؛ فيسد مجرى التنفس، تكاد تختنق، ولكن حتى الموت لم تنله، تتساءل في نفسها أكان يجب عليكِ أن ترفعي نظرك يا حبيبة؟! ألم يوصينا الرسول بغض البصر؟ أكان عليكِ أن تحادثي شابًّا ضاربة بأحكام الاختلاط عرض الحائط؟ لمَ لَمَ تصبري أكثر؟ لمَ لم تستميتي في دعائِكِ أكثر أن يجمعكما دون أن تعصي ربك؟ لمَ؟!

تمت بحمد الله

٢ـ ما بين ليلة وضحاها

إســـراء شـعـــبـــان

فجأة وفي وسط الزحام كانت تسير الفتاة الجميلة (تُقَى)، قابلَت بطلها، أو لنقل من كان سيصبح بطلها (أمير).

وهنا فتح الستار... وتلاقيا من جديد، لتبدأ هي الحديث:

- السلام عليكم.
- وعليكم الس..... وع.... وعليكم السلام.

هي:

- من فضلك هنا يوجد محل الإحسان للقماش؟

قالتها وقلبها ينتفض وانعدمت القدرة علي النطق؛ ليجيب هو:

- أيوه يا فندم.. تفضلي.

بابتسامة خفيفة.

شعر بقلبه وهو يهرول إلى عقله ليوقفه، ويقول له: «كُفّ عن هذا! نحن مشغولان ولا يوجد مكان لأشخاص آخرين..»

قاطعت شروده بصوتها العذب:

- هناك أشخاص دلوني عليكم، وقالوا لي أن القماش هنا جميل.

هو:

- تفضلي ماذا تفضلين؟ أنا تحت أمرك.

وفجأة مرت كل تلك السنوات السعيدة أمامه، وكيف كانت لديه القدرة على تركها؟ هل أنا أحمق لهذه الدرجة؟! أنا كنت أحبها لدرجة الجنون! أنا تخلّيت عن كل أحلامي واتجهت إلى أحلامها؛ كي نحققها سويًا!

وبدأت التساؤلات تدور في ذهنه..

وفجأة يقول لها:

- هل يوجد شيء لفت انتباهك؟

فتنظر هي له بكل لهفة، ولصوته الذي لم يغادر أذنيها وتقول:

- بشوف!

قالتها بابتسامة حزينة، وبداخلها مليئة بالخوف والتأنيب وتتساءل:

- كيف سمحتُ له أن يتركني بكل سهولة؟! هل أنا لهذه الدرجة حمقاء؟ هذا الشخص جاء لي وغيّر كل حياتي بكل ما أوتي من حنين ولهوٍ ومزاح!

وفجأة!

دخل صاحب المحل (الحاج عبد الله) ليقطع كل الماضي الذي هُما فيه قائلًا:

- كيف حالكم يا شباب؟ كيف حالُك يا أمير؟

نظر إلى أمير مستعجبًا شحوب وجهه ونظراته الزائفة.

ليقول أمير:

- نحمد الله يا حاج.

وينادي المعلم للعامل الثاني ويقول:

- يا محمد، هاتلي كوب شاي.

كان من الواضح أن نظراتهما (أمير وتقى) تفضحهما، هل يعقل أن يتقابلا بعد هذه السنوات؟ وبعد أن تعلّق كل منهما بشخص آخر؟ كيف للماضي أن يعود؟!

ثم تغادر تُقَى المكان دون أن تشتري وكل تفكيرها في أن لو تعلم أن هذا المكان بداخله ماضيها الكامل ما كانت أن تدخله؛ فقد انتفض بداخلها حنين ومشاعر وفاض الدمع من عينيها، وقلبها ينبض إلى الخارج.

وفي هذه اللحظات استأذن أمير من الحاج عبد الله وقال:

- إنني متعب للغاية وأود أن أذهب كي أرتاح.

قال الحاج:

- تفضل، ولكن طمئنّي عليك كي يرتاح قلبي.

وذهب لائمًا نفسه.. كيف كنتُ قاسيًا لهذه الدرجة معها؟ كيف كانت لي لآخر لحظة وتصونني وأنا خذلتها؟ هل معنى أنها فعلَت خطأ

مرارًا وتكرارًا أن أتركها؟ أنا لا أرَى مثيلًا لها تلك الفتاة التي أراها وسط عشرات، بل وآلاف البنات بالطرقات، وفي العمل، وفي كل مكان...

وفجأة وكل منهما يسير في اتجاهه تزامنًا مع إعادة الذكريات وهي تبكي، أما هو فكادت عيناه أن تنزف دمعًا، ليتصادفا وينظرا لبعضهما البعض! ويقول لها:

- أنتِ مرة أخرى؟! لماذا تركتِيني؟ ولماذا جعلتيني أُصبِحُ قاسيًا لهذه الدرجة معكِ؟ وأظهر بأنني فاقد ماضيك؟ وأنا في كل امرأة أرى عينيكِ وأتلفظ لها باسمكِ!

قالت تقى:

- أنا لستُ بحاجة لتبرير موقفي، ولكن أنت الذي تخلّيتَ عني وتركتني وحيدة للزمان، وجاءني رجل أخذ بيدي إلى الجحيم، واضطررتُ أن أحبه، ولقد رزقني الله بولد وأسميته أمير و.....

ثم أشار بيده إلى فمها باستعجاب وقال:

- اصمتي، اسمه أمير؟!

وكانت تلك نظرات التعجب تظهر على حاجبيه وأعينه، وهو يقول:

- هل بالفعل أنا ببالِكِ؟ وتركت فيكِ أثرًا؟ اعتقدتُ بأنكِ أهملتيني من ذاكرة الوقت، وعرفتُ الحقيقة ولكن بعد أن فات الأوان!

وهو نظراته بها عتاب لنفسه.

فنظرت له وهي تشير بأصبعها السبابة وبعصبية، وقالت:

- لسنا الآن في وقت الحقيقة أو الزيف، كل منا تخلّى عن الآخر،

وبداخلنا بركان من الحنين وينابيع من الحب والاشتياق، ولكن يجب أن أكون قاسية أو أتظاهر بذلك، حتى أوقِف عقلي وقلبي عن التفكير، وأنت يجب عليك أن تفعل مثلي أيضًا.

ثم كادت أن تغادر؛ فأمسك بيدها وضمها إلى صدره وقال:

- أنا لا أرى غيركِ في وجوه جميع البنات، هل تعلمين؟! كل ليلة أذهب إلى ذلك الكافيه التي كانت بدايتنا فيه ومعي حقيبة حاسوبي النقال لأدون عليه مذكراتي، ثم أخلد إلى فراشي منهك من التعب، وأبدأ في التفكير بمحادثاتنا والمشاكسات كل ليلة بعد منتصف الليل.....

ثم قالت وهي في حالة من التوتر:

- كُفّ عن هذا! أنتَ لا تعلم مدى حنيني، ولكن تلك هي الظروف الملعونة تمنعنا.

وقالت:

- اذهب وعُد إلى مكان عملك، وأنا ذاهبة إلى ابني أمير الصغير أحتضنه وأعلمه كيف يحافظ على من ملكَت قلبه ويصون حبها، ويعلّمها أن الأشياء الجميلة لن تمر علينا كثيرًا.

فقال:

- اذهبي إلى أمير وقولي له أنه ابنٌ لملكة ملكت قلب والده...

ثم دمعت عيناه ودمعت عيناها وانفجرا في البكاء، وذهبا بعد أن قبّلَ يدها حتى يبقى رائحة العطر التي كانت تفضّله في يدها!

وكان (أمير) كل ليلة ينتظر (تقي) تعود إليه، ويذهب ويبحث في

وجوه المارة في الشوارع ويقول:

- يا ليتني احتفظتُ بتلك الجوهرة، هي بالفعل ليسَت حبي الأول ولكنها حبي الأخير، وأي امرأة تأتي بعدها سوف أعتبرها سدًا لخانة في قلبي ليس أكثر.

أما (تُقَى) تجلس في شرفتها واضعة يدها على خدها وتنظر إلى النجوم في السماء تنتظر (أمير) وهو يمر من تحت منزلها، وهي تعلم أنه لا يعلم عنوانها، ولكن القلب حين ينبض ليس بيد إنسان أن يوقفه!

ثم يبكي ذلك الملاك الصغير (أمير) بكاءً شديدًا، وتحاول (تُقَى) أن توقفه، ولكن دون جدوى... وفجأة نهضَت (تُقَى) من نومها وتكتشف أن كل هذا مجرد حلم!

وتنظر إلى ابنها إذا به نائم في فراشه ملاك صغير.

فتثق بأن (أمير) البطل يفكر بها ولن تذهب من خياله مثلما لم يذهب من عقلها.

تمت بحمد الله.

٣ـ نقطة التقاء

آيـــة أحـــمـــد

في يوم مثل كل يوم تقود «روح» سيارتها مسرعة إلى عملها، وبدون انتباه منها كادت أن تصطدم بالسيارة المقابلة لها في الطريق المعاكس، ترفع عيونها محاولة تفادي السيارة الأخرى، وبالفعل تتفاداها، ولكن ما شعرت به مجرد ما نظرَت إلى سائق السيارة الأخرى والتقَت عيونهما لم يكن في الحسبان، شعرَت بنبضة قلب ساخنة وكأن حياة طفل وليد تتغَلْغَل في عروقها، لم تفهم «روح» ما شعرت به، وحاولت تجاهله مدعية داخلها أنها مجرد أوهام.

«روح» مهندسة ديكور تبلغ من العمر ٢٥ عامًا، تم خطبتها إلى حسام علِي؛ الطريقة التقليدية، تصل روح إلى عملها وتبدأ في العمل محاولة تفادي التفكير في الإحساس الغريب الذي شعرَت به، يقطع تفكيرها اتصالٌ من حسام، وبعد الترحاب التقليدي بينهما يسألها عن موعد الزفاف؛ لترد عليه يوم ٢٤ ديسمبر دون سابق تفكير في الوقت أو تحديد!

في الجهة المقابلة يصل آدم إلى مكتبِه؛ حيث يعمل مهندسَ طرق يسرح بخياله محاولًا تفسير ما شعر به عندما التقَت عيونه بعيون قائدة

السيارة التي كادَت أن تصطدم به؛ فما شعر به شعور يفُوق الوصف، وكأنها روح تدبّ في دماءِه من جديد، يشرد مبتسمًا مفكرًا وكأنها هدية القدر له، هذا اليوم يصادف يوم ميلاده ٢٦؛ ليقطع أفكاره اتصالٌ من مروة خطيبته تذكره بتحديد موعد الزفاف؛ ليؤكد آدم عليها نبرة صوته الهادئة المعتادة أنه سوف يكون يوم ٢٤ ديسمبر.

يوم أن تشعر بشعور مفاجئ يحتل عروقك ويسري في دماءك صدِّق إحساسك لا تقاومه، الإحساس هو الفطرة.. هو الحقيقة في الحياة، ولكننا لا ندرك ذلك إلا بعد فوات الأوان.

بعد مرور يومين..

ترى روح منامًا أنها على شاطئ بحر صافٍ، وهناك تجلس فتاة غجريّة بشعر أحمر وفستان أبيض، ويَشَمْك يغطي ملامح وجهها، تقترب الغجريّة منها.. تمسك يديها وتبتسم لها، وتضع يديها علي رأس روح، ودون أن تحرّك شفتيها تنظر إلى عيونها وكأن روحها تتحدث إلى روح، بدأ الخلق روحًا.. بدأ الخلق آدم.. دوّري على آدم هتلاقي الروح، هذا ليس طريقك ولا مكانك، سوف تخسرين كثيرًا إذا استمريتِ في طريقك، انظري الجهة المعاكسة سوف ترين بداية الطريق وتختفي مثل السراب، تستيقظ روح من نومها في حالة ذهول محاوله تفسير ما رأته في نومها محدثه نفسها:

- إيه الحلم الغريب ده؟! أكيد دا عقل باطن.. آدم مين؟!

وفي مكان آخر يستيقظ أدم بسبب منامٍ غريبٍ رآه محدثًا نفسه:

- روح مين؟! أنا معرفش بنت اسمها روح!

بعد مرور أسبوعين..

تتحدث روح مع والدتها عن ترتيبات منزلها النهائية..

روح:

- أنا استقرّيت على لون البيج الكريمي عشان يكون لون الحوائط، أما الموبيليا كلها فاخترت لون البني الغامق.

والدة روح:

- أنا عارفَه إن طول عمرك بتحبي الألوان دي يا روح، ربنا يفرح قلبك يا حبيبتي.

وفي أثناء انشغالها بالحديث مع والدتها ينكسر منها كوبٌ كانت تحمله في يديها، ويجرح أصابعها لتنزف الدماء وتصرخ من الألم.

وفي مكان آخر.. وفي نفس التوقيت تحديدًا في منزل آدم الذي سوف يقطنُه بزواجه من مروة؛ حيث يغلب عليه لون البيج الكريمي..

مروة محدثة آدم:

- لون العفش بني غامق مع لون البيج الكريمي، طلع عندك حق يا آدم لايقِين على بعض.

ليقطعها صرخة ألم من آدم؛ حيث جُرِحَت يده من قطعة زجاج مكسورة لم ينتبه لها.

وكأن دماء روح وآدم على عهد للخروج في نفس اللحظة؛ لتعبّر ما تكتمه القلوب ولا أحد منهما يدري!

ويأتي اليوم المنتظر يوم الزفاف، آدم في سيارة الزفاف مع مروة.. الشارع مزدحم لوجود سيارة زفاف أخرى في الطريق المعاكس، ينظر آدم للسيارة الأخرى لتملأ عيونه نظرة ذهول محدثًا نفسه:

- دي نفس البنت.. نفس البنت اللي شوفتها في الإشارة! إيه الصدفة العجيبة دي؟! معقول فرحها يوم فرحي.

لتقع عيونه في عيون روح ويشعر نفس الشعور الذي شعره من قبل، وكأنها جزء من دمائه، وفي وسط شروده يسمع ذلك الصوت الغريب في عقله الذي لم يفارقه منذ طفولته، وكأن أحدًا يتحدث له.. لو كان فيه شويّة وقت، لو جات بدري شويّة.. ليكمل كلام ذلك الصوت العقلي: كنا رجِعْنا من الطريق.

يفوق آدم من شروده محدثًا نفسه: أنا أول مرة أسمع الصوت بيتكلم بوضوح زي ما يكون حد بيكلمني، ويكمل كلامه: أنا مش فاهم حاجة.

ليقطع تفكيره ما رآه أمامه، ويحدث نفسه مرة أخري: زي ما تكون خرجت من الحلم!

وفي الجهة المعاكسة تكمل روح حديثها الذاتي مع نفسها: لو كان فيه شويّة وقت كنت رجعت من الطريق، أنا حاسَّه إني بغلط، أنا اتسرّعت من جوازي من حسام، بس جايّه أقول دا دلوقتي؟! فوقي يا روح انتِي فرحك النهاردَة.

ليقطع تفكيرها ما رأته.. الفتاة الغجرية تعبر الطريق وتنظر لسيارتين الزفاف بعيون ممتلئة بالدموع، وتختفي وسط الزحام!

بعد مرور أسبوع على يوم الزفاف تسبح روح في البحر؛ حيث تقضي شهر العسل مع زوجها، وفي وسط المياه تشرد روح لتتذكر منامها والفتاة الغجرية، وفي غمرة شرودها تجرفها الأمواج بعيدًا إلى وسط البحر؛ فتصرخ محاولة الاستنجاد؛ ليسرع زوجها ورجال الإنقاذ لها.

وفي مكان آخر آدم نائم في غرفته ليرى منامًا كأنه في مياه عميقة ومظلمة؛ ليستيقظ صارخًا: بغرَق.. بغرق، ينظر آدم حوله ليجد أنه في غرفته، تأتي زوجته مروة مسرعة على صوته.

مروة:

- مالَك كنت بتصرخ وانت نايم؟!

آدم يتحدث بصوت منهك وخائف:

- حلمت إني بغرق، حسّيت كأني روح بتتسحِب مني، زي ما أكون بين الحياة والموت.

مروة:

- أكيد كابوس يا آدم.

ليرد آدم عليها:

- آه أكيد.

تمر الأيام وكل من آدم وروح يعيشان في عالم مختلف لا أحد منهم يعرف شيئًا عن الآخر، ولا حتى اسمه، كل منهما لا زال يسمع هذا الصوت العقلي ولا يحاول تفسيره اعتقادًا منهما أنها أوهام عقلية منذ الطفولة.

وفي يوم ترى روح منامًا لنفس الغجرية تمسح دموعها وتعطيها نصف وردة بيضاء وتختفي؛ لتستيقظ روح في حالة ذعر محدثة نفسها:

- دي نفس البنت الغجريّة وبتمسح دموعي.. حلم غريب!

وفي مكان آخر يشرد آدم مفكرًا في الوردة البيضاء التي أعطتها له الغجرية في منامه محدثًا نفسه:

- أنا مش فاهم حاجَة، الحلم دا أكيد فيه رسالة ليّا، أو ممكن إشارة لسكّة أمشي فيها.

بعد مرور ثلاثة أشهر..

روح جالسة مع والدتها؛ لتقطع والدتها شرودها قائلة:

- روح، رجعتي تسرحي تاني ليه؟ على طول لما بتبقي مضايقة أو مش مرتاحَة في مكان بتسرحي، والدك الله يرحمه كان بيقول روح بتسرَح وتبص للسّما وكأنها بتتكلم مع روح ضايعَة منها.

روح ترد بابتسامة هادئة:

- لا يا ماما مفيش حاجة، أنا فعلًا مش مرتاحة مع حسام، احنا مختلفين في كل حاجة، محدش فينا مبسوط ومش عارفين نتأقلم مع بعض.

وتعود لشرودها لدقائق لتسمع هذا الصوت الذي دائمًا ما تسمعه منذ طفولتها: وأنا جوايّا غربة مالهاش آخر، زي ما أكون في مكان مش مكاني، وتعود لتكمل كلامها مع والدتها:

- أنا حاسّه بغربة..

ليقطع كلام روح بائع الفل:

- فل وورد أبيض يا مدام.

روح:

- عاوزَه عودين فلُ..

وقبل أن تكمل حديثها تقع عيونها على الورد الأبيض في يده، وتشرد لثواني: دي نفس الوردة بالضبط اللي شوفتها في الحلم.

وتكمل حديثها مع بائع الفل:

- أنا عاوزَه الوردة دي.

يقوم بائع الفل بإعطائها الفل والورد، ويتحدث لها:

- دي كانت آخر وردة معايا، الوردة اللي قبلِك أخدها شاب كان باين عليه ريحة الحزن زيِّك كدا يا هانم، أصل الحزن لِيه ريحة زي الورد بيتحسّ من نظرة العين.. سلام عليكم.

تنظر له روح وهو يختفي دون أن تنطق بكلمة، ولكنها تسمع الصوت العقلي الذي يلازمها مردّدًا: وكأنه شاف في عيوني الحزن والغربة.

تعلق روح الورد في سيارتها وتقود في طريقها للمنزل.

على الطريق المعاكس يقود آدم سيارته معلّقًا الوردة البيضاء وعود الفل الذي قام بشرائهما من بائع الفل شاردًا في حياته مع زوجته مروة، وكيف أنه لا يشعر بالسعادة محدّثًا نفسه:

- كنت فاكر لما أتجوز مروة هلاقي السعادة، مروة إنسانة كويّسة بكل المقاييس، بس للأسف لا هي عارفه تفهمني ولا أنا عارف أراضيها.

ليخرج من شروده على السيارة في الجهة المعاكسة من الطريق؛ ليصرخ

محدثًا نفسه:

- نفس البنت.. معلّقة نفس الوردة البيضا، أنا لازم أكلّمها.. حاسِس جوايّا إني أعرفها من سنين.

ويستدير بسيارته سريعًا محاولًا اللحاق بسيارتها، ولأنه لم يكن موعدهما ولم يكن مقدّر لهما أن يتقابلا حتى تلك اللحظة، لقد اختارا من البداية ألّا يستمعا إلى إحساس الفطرة الذي دبّ في قلوبهما، فلم يستطِع اللحاق بها بعد أن اختفت في وسط الزحام.

بعد مرور ما يقرب من شهر.. يستيقظ آدم بدوار شديد وألم في رأسه، وما أن يستفيق من نومه حتى يتذكر ما كان يراه في منامه.. رسومات ديكور يتحدث إلى نفسه:

- أنا كنت نايم أحلم بالشغل! شغل إيه؟! أنا مهندس طريق.. أنا كنت بحلم برسومات ديكور، أنا مابعرفش أعمل رسومات ديكور، أكيد أنا بَهَلوِس من كتر التعب، أنا حاسِس إن قلبي وجعني ومش عارف ليه، زي ما تكون روحي بتروح مني!

وفي مكان آخر روح تحديدًا في حفل صباحي خاص بصديق زوجها.. تشعر روح بصداع شديد، تتحدث إلى نفسها:

- ماكانش لازم أسهر امبارح أخلص الشغل.. بس ديكورات كانت لازم تخلَص، أنا تقريبًا مانمتش من امبارح.

وبعد دقائق لا تعرف كم عددها تشعر وكأن الدوار يزيد عليها؛ لتغيب عن الوعي وتفِيق على صوت زوجها، والجميع يحاولون إفاقتها، تحاول روح تجميع تركيزها وتذكّر ما سمعته في غيابها عن الوعي، لقد

سمعَت أحدًا ما يحدثها في عقلها.. أنا روحي بتروح مني! وكأنه يَصِف ما شعرت به في تلك اللحظة.

يمر اليوم والثاني والثالث بعد هذه الحادثة..

لا شيء يتغير.. الحياة تسير بشكل روتيني ممل لا حياة فيه ما بين روح وزوجها، وفي يوم تتفاجأ روح بكلام حسام يقطع شرودها:

- روح، أنا مش عاوز أكمل.

روح:

- مش عاوز تكمل إيه يا حسام؟

حسام:

- روح، أنا مش مرتاح، وانتِي مش مرتاحَة، أنا شايف إننا اتسرّعنا في زواجنا، انتِي طبيعتك جميلة، بس انتِي ليكي طبيعة خاصة أنا مش عارف أتعامل معاها، هيبقى ظلم ليّا وليكي لو استمرينا في الحياة بالشكل دا.

روح تصمت قليلًا وكأنما ما قاله حسام أزاح من على قلبها حِملًا تكتمه في صمت:

- عندَك حق يا حسام، أنا مواقفه إننا ننفصِل، اختيارنا لبعض من البداية كانت غلطة.

وفي مكان آخر يتفق آدم ومروة على إجراءات الانفصال بعد أن اكتشفا استحالة استمرار الحياة بينهما.

بعد مرور شهر على انفصال كل منهما عن زوجه تستمر الأصوات

العقلية في عقل كل من آدم وروح.

وفي ليلة ترى روح في منامها نفس الفتاة الغجرية تضع في شعرها نفس الوردة البيضاء التي وضعتها في شعرها على شاطئ بحر فيروزي صافٍ ورمال ناعمة، ولكن هذه المرة لم تكن بمفردها، كان معها شاب تعرّفَت عليه روح عندما رأته، تمسك العرافة يدها لكي تضعها في يد الشاب وتحدّثَت العرافة لهما:

- آدم وروح، أنتما عهد الحب.. الحب عهد، من قبل الميلاد وفيه عهد بين قلوبكم وأرواحكم.. عهد مهما مرّ السنين راح تتجمعوا من تاني، روحكم أصل الحب والصفاء، آدم أصل الروح والروح هي بداية الحياة، وضلع منك يا آدم، لقد ضلّ كل منكما الطريق، ولكن الله أرفَقُ بقلوبكما منكما، وأراد أن يحيي قلبَكَ يا آدم بروح الحب، وأنتِ يا روح لقد شعر الله بغربتك وأراد أن يحاوطك بروح آدم.

تستيقظ روح من الحلم على أحدٍ ينادي اسمها في عقلها نفس الصوت العقلي: روح..

لترد عليه روح كأنها تبحث عنه: آدم.

وهي في الحقيقة تتذكر اسم الشاب الذي في الحلم.

تقرر روح في تلك اللحظة أن تحزم حقيبتها وتسافر إلى راس شيطان، وهي لا تعلم في داخلها لماذا اتّجَهَت إلى هذا المكان تحديدا؟ وفي تلك الدقيقة؟! تتذكر أنها تلاقَت مع الغجريّة في الحقيقة في طفولتها عندما كانت تلهو على البحر في طفولتها، وكان يلهو معها طفل تذكّرَت في تلك اللحظة اسمه.... آدم!

في راس شيطان في نفس الدقيقة يجلس آدم شاردًا بعد ما رآه في منامه، وهنا يتذكرها صارخا بصوتٍ عالٍ:

- الغجرية.. أنا افتكرتها أخيرًا، الغجريّة كانت بتتفرّج عليّا وأنا بلعب مع البنت الصغيرة من ٢٠ سنة على البحر.. البنت دي روح!

تسافر روح إلى راس شيطان بعد أقلّ من ساعة، وبعد ما تصل تتجه مباشرة إلى البحر؛ حيث المكان التي رأته في منامها لتتفاجَأ بهِ واقفًا على الشاطئ، وفي هذه اللحظة يخرج صوتها ممزوجًا بالحياة، وبنرة طفلة تنادي عليه: آدم؛ ليراها، وفي لحظةٍ رسمها القدر لتعود الحياة إلى القلوب، وتكون البداية تتحوّل عيون آدم إلى نظرة السعادة، وكأنها عيون لم تعرف الحزن يومًا، يجري نحوها:

- رُوح.. انتِي روح، صح؟

ويمسك يدها لترتمي في أحضانه وكأنهما عاشقان اجتمعا بعد قرون من الفراق، ولم يفترقا منذ هذه اللحظة.

النهاية والبداية

تمت بحمد الله.

٤ـ شهد والوحش

مـــروة أســـامـــة

لو عُرِضَت أقدار الإنسان أمامه لاختار ما اختاره الله.

استرجعَت هذه الجملة في ذهنها وهي تبتسم باطمئنان تام، تنظر إلى ذلك الرجل أمامها بابتسامته الخلابة، يركد وراء طفلة صغيرة تضحكُ هي الأخرى وتصرخ فرحًا، وبعد فترة ترك الرجل الفتاة وجلس بجوارها، التفتَت له في حب ولم تتكلّم؛ فسألها عن سر هذه النظرة.

ردت عليه مبتسمة قائلة:

- هذا المكان هو بداية رحلتي.

نظر إليها مستفهمًا؛ فأكملت قائلة وهي تحاول احتواء كفّيه في كفيها الصغيرين الحاملَين بعض آثار الجروح:

- ونهاية رحلتي أيضًا.

اقترب منها قليلًا وقال:

- ماذا تقصدين بكلامك؟

ردت هي بثقة تامة:

- أحبك.

****

تحاول منذ أكثر من شهر أن تجيد ركوب الدراجة، وها هي الآن أصبحَت أكفأ من أي شاب في سنها، كانت تشعر بالفرحة والثقة لقيامها بشيء ليس متداول بين فتيات سنها، كانت تشعر بأنها تطير بمجرد ركوبها الدراجة، تعشق رائحة الهواء المحمل بقطرات البحر بجوارها، تُشعِرُها بالسكينة والاطمئنان، كانت تنتظر اختفاء قرص الشمس بين موجات البحر، ثم تعود لمنزلها، كان هذا روتين أسبوعيّ بالنسبة لها، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي غيّر مجرى حياتها الهادئة تمامًا.

- شهد.. شهد، أسرعي أيتها الحمقاء.. أسرعي.

شهد:

- ماذا هناك؟! لماذا تصرخين يا مجنونة.. اصمتي.

مطَّت ليلى شفتيها باستهزاء قائلة:

- أنا مجنونة؟! حسنًا لن ترَيْ الصدفة التي وجدتها.

صرخت شهد قائلة:

- لا لا أنا المجنونة الوحيدة هنا، أرجوكِ أرِيني إياها.. أرجوكِ.

ليلى بنظره انتصار:

- حسنًا حسنًا، لقد صعبتِي عليّ.

كانت ليلي تخبّئُ الصدفة بين كفيها، وكادت أن تُرِيها لشهد، إلا أنهما انتفضا على صراخ امرأة بجوارهما.

كانت تنتفض بصراخ، تهتف وتقول:

- ابني.. أين ابني؟! يا علي، أريد ابني أرجوكم.. لقد اختُطِف.. يا علي.

التَفّ حولها الناس، وسألها احدهم ماذا يرتدي؛ فردت الأم مسرعة:

- قميص بيج.

أسرعَت شهد بالوقوف على شيء مرتفع يمكّنها من العثور على هذا الطفل، رمَت ببصرها بعيدًا في جميع الزوايا تحاول أن تلمح أي طفل يرتدي نفس الملابس، كانت الشمس على وشك الغروب والرؤية شبه واضحة، التفَّت حول نفسها عدة مرات، إلى أن انتفضت في مكانها عندما لمحته، لمَحَت في آخر الشاطئ رجلًا ضخمًا يحمل على كتفه فتي صغيرًا نائمًا يرتدي قميص بيج، لم تدري بحالتها إلا عندما وجدَت نفسها تُسرع خلفه بالدراجة على رمال الشاطئ الذهبية، كان الجميع يتّجه نحو الصراخ عكس اتجاه شهد، كان الرجل مسرعًا في خطواته، وكانت هي غير متأكدة من هوية هذا الطفل، إلا أنها شعرَت بأنه، هو وعندما بات بينهما مسافة قصيرة لمحَت لون القميص، وفي هذه اللحظة صرخَت في الرجل وهي متّجهة نحوه:

- اترك هذا الطفل أيها اللعين.

وبمجرد أن سمع الرجل صراخها ركض بسرعة متجاوزًا أسوار الشاطئ متجهًا للطريق العام، ارتفع صوت شهد:

- أمسكوا هذا الرجل.. أمسكوه.. إنه خاطف هذا الفتى.

ولكن الرجل كان أسرع منهم؛ حيث أنه ألقى بالفتى في إحدى السيارات، والتي من الواضح أنها في انتظاره، وثم انطلَقَ السائق مسرعًا.

كانت هنا وصلت للطريق العام، وما زالت تصرخ وهي تشاور على السيارة، وتقول برعب:

- لقد اختطفوا الصغير من أمه على الشاطئ، أمسكوه.. فليوقفه أحدٌ أرجوكم.

نظرت هنا للسيارة، كانت تبتعد عنها وهي تتجاوز جميع السيارات أمامها، ولم تجد من الجميع حولها ردّ فعلٍ إيجابي؛ فركبت الدراجة وأسرعت هي خلف السيارة، حاولَت تفادي جميع السيارات أمامها بسرعة، إلى أن اقتربت جدًا من السيارة.

صرخت بالسائق بعنف:

- اترك الصبي في الحال.. اتركه.

كانت في تلك اللحظة بجوار السيارة، ظلّت تصرخ به إلى أن وجدته يميل بالسيارة ناحيتها، ارتعَبَت هي مما يفعله، ولحظات قليلة فقدَت السيطرة على الدراجة، وسقطَت على الرصيف المجاور لها، وارتطمت من فوقها الدراجة.

أسرعت السيارة في اتجاهها، أما شهد فقد الْتفّ حولها الناس، كانت تبكي بألم، وتصرخ بعنف وخوف:

- أوقفوا السيارة.. أرجوكم.

وفجأة سمعت صوتًا قويًّا لفرملة سيارة، التفَتَ إليها الجميع؛ ليجدوا الرجل بداخلها يهتف لها قائلًا:

- اركبي بسرعة لنلحق بهم.

لم تفكر شهد، وبصعوبة استطاعت الوقوف بمساعدة الناس، وركبت مع ذلك الرجل وانطلقوا مسرعين.

التفَتَ إليها الرجل وقال:

- أأنتِ متأكدة أنهم مَن خطفوا الصبي؟

ردت هي بألم:

- نعم.. نعم متأكدة، فقط أسرع، لونها أسود ورقمها***.

لحسن الحظ أن هذا الطريق اتجاه واحد، وليس له اتجاهات أخرى، وبمهارة فائقة تفادَى السيارات من حوله باحثًا عن سيارة الخاطفين.

وبعد فترة صرخت شهد بجواره:

- إنها أمامنا.. أنا أراها.. أسرع أسرع.

أسرعَت السيارة في اتجاهها إلى أن وصلت إلى سيارة الخاطف.

صرخ الشاب المجاور لشهد في السائق:

- أوقف السيارة.. قُلتُ لكَ توقف.

وعندما لم يجد استجابة منه أسرع هو بسيارته بجانبه، وبمهارة قام بعكس اتجاه السيارة؛ فأصبح أمام السيارة الأخرى، فما كان من السائق إلا أنه توقّفَ بالسيارة تجنبًا الاصطدام.

همسَت شهد برعب وهي تنظر للسيارة أمامها:

- والآن ماذا؟

نطق هو بسرعة:

- هما اثنان فقط، سوف أشغلُهُم وأنتِ خذي الصبي من السيارة.

انتفضَت هي أثر صفق باب سيارة أمامهما؛ فقد خرج منها السائق

وقادم في اتجاههما، كان طويلَ القامة أصلع، حاولت البحث بعينها على أي سلاح في يده، ولكن كان مجرّدًا منهم، لحظة بعدها وتواجَد مَن كان يجلس بجوارها أمامه.

– أنت مجنون لكي تقف لمواجهتي.. ارحل ومن معك، وإلا سوف تواجه...

لم يكمل جملته؛ إذ ضربه الشاب في وجهه ضربة أسقطته أرضًا، لم يعطِ له الفرصة ليقف؛ إذ هجم عليه بالضرب المتتالي في الوجه.

كان الثاني يصرخ لكي ينجده الآخر، ولكنه لم يتحرك.

نظرت هنا للسيارة أمامها؛ لتجد مَن في السيارة يتجه نحو مقعد السائق، أدركَت هي أنه على وشك الهروب؛ فقفزَت من السيارة متحاملة على آلامها باتجاه السيارة الأخرى، وما هي إلّا لحظات حتى وصلت إليها، فتحت بابها على وشك إخراج الصبي، لكنها وجدتها تتحرّك؛ فما كان منها إلّا أنها أسرعت بالقفز بداخلها، وبسرعة تحرّكَت السيارة وهي بالداخل.

نظر الشاب باتجاه صوت السيارة؛ ليجدها تتحرك وبداخلها الفتاة، فانتفض مسرعًا تاركًا الآخر طريح الأرض.

– يا لها من مجنونة! لقد أصبح الأمر أكثر تعقيدًا.

قالها صائحًا بغضب وهو يتحرك بسيارته خلفها.

في الناحية الأخرى كان الضخم على وشك الاختناق أثر شالها القابض حول عنقه، كان يحاول هو القيادة بذراع والآخر يحاول الإمساك بشهد من خلفه؛ حيث أنها كانت تثبّت عنقه بالمقعد الجالس هو عليه.

صرخت شهد به وهي تشد على عنقه:

- أوقِف السيارة حالًا وإلا سأقتلك.

ولكن الآخر لم يهدّئ حتى من سرعته، وبقوة وعنف قام بجذب الحبل من حول عنقه؛ فاندفعت هي إثر الحركة القوية تلك في اتجاه الفراغ بين المقعدين الأماميَّيْن، لحظة ووجدَت كفّه ينغرس بقوة في عنقها مانعًا إياها من التنفس.

- أتلعبين معي أيتها الصغيرة؟! حسنًا لكِ ذلك.

قال تهديده ذلك، وبعنف قام بضرب رأسها في التابلوه أمامه، أغمضَت شهد عينيها أثر الألم الشديد الذي شعرَت به، لحظة ووجدتْهُ يضرب رأسها مرة أخرى تتبعُها أخرى مثلها، رفع رأسها إليه وهو يضحك بغلّ قائلًا:

- لم أعد أرى ملامح وجهك القوية من كثرة الدماء، أين تلك القوة التي كانت لديك من لحظات؟!

كان يتوقع أن تتوسل إليه أن يتركها، أو حتى لا تنطق، ولكنه تفاجأ بها تبتسم وهي تهمس له:

- الخنازير لا يدخلون الجنة!

وبحركة مباغتة منها قامت بتحريك عصا الاتجاهات أمامها بقوة شديدة، فاجأه هو ما حلّ بالسيارة فجأة؛ فترك رأسها تسقط محاولًا التحكم في حركة السيارة، ولكنه لم يُفلِح؛ فارتطم بشدة مع سيارة أخرى أمامه.

*****

أصوات كثيرة حولها لم تستطِع تمييزَ أيّ منها، تشعر بأنها تطير في الهواء بسرعة، تحاول أن تحرك قدميها أو ذراعيها، ولكن لا تستطيع؛ فالألم يجتاحها من جميع النواحي، صراخ صراخ صراخ يجعلها تستفيق رغمًا عنها.

- افتحوا غرفة العمليات.... هيا بسرعة.

باب يُفتَح بعنف؛ لتجد بعدها جسدها ممدّدًا على شيء ما، ثم تسلّل إليها صوت هامس مطمئن:

- كل شيء سيكون على ما يرام... اطمئني.

وبعدها لم تشعر بشيء.

******

- شهد.. شهد.. صغيرتي.

فتحَت أخيرًا عينَيها بوهَنٍ شديد مرة بعد الأخرى؛ لتجد نفسها على صدر أبيها، هتف هو فرحًا:

- حمدًا لله على سلامتِك.

همست هي بضعف قائلة:

- أين أنا يا أبي؟

رد هو بحنان:

- في المنزل يا صغيرتي... لا تخافِي.. أنتِ بخير الآن.

شهد:

- ماذا حدث؟!

الأب باستغراب:

- أنا من يجب عليه أن يسألكِ وليس أنتِ... ألا تتذكّرين ما حدث؟

أغمضَت هي عينيها محاولة تجميع ما حدث، وبسرعة استطاعت ذلك.

فسألته بخوف قائلة:

- الصبي... الصبي المخطوف ماذا حلّ به؟ لقد اختطفه الرجل وأنا حاولت مساعدته، ولكن...

لم تكمل كلامها؛ فقد شهقت بفزع عندما تذكّرَت ماذا حدث بعدها؛ فصرخت ببكاء:

- هل مات إثر اصطدام السيارة؟ هل مات؟ يا إلهي! ماذا فعلت؟

ولكن والدها قال مطَمْئِنًا إياها:

- لا... لا لم يحدث له شيء، كان في المقعد الخلفي وهذا خفّف عنه أثر اصطدام السيارة.

شهد ببكاء:

- وهل عاد لأهله؟

- نعم عاد، وأهله يشكرونكِ كثيرًا على ذلك.

نطقت هي براحة:

- الحمد لله.... الحمد لله.

احتضنها والدها بحنان، وقال لها:

– لقد كدتُ أن أموت قلقًا عليكِ.... إياكِ وتعريض نفسك للخطر مرة أخرى.

*****

بعد فترة تعافت شهد من جروحها الكثيرة، كانت تحاول نسيان أمر تلك الحادثة بشتّى الطرق؛ فبعد اطمئنانها على عودة الصبي الصغير إلى أهله لم تحاول معرفة ما حدث للخاطفين، أو حتى ذلك الشاب الذي كان يساعدها، اعترفَت لنفسها أنها تكرهه أكثر من الخاطفين نفسهم؛ لتخليه عنها في أكثر وقت كانت في الحاجة إليه، ما زالت تتذكّر شكله، وكيف لها أن تنساه حتى ولو شاءَت؟! فقد كان مختلفًا.. مختلفًا تمامًا عن باقي الشباب في سنه، كان وجهه مليئًا بالندوب والحُفَر، الأصح كان مشوّهًا، كانت تقول عنه صديقتها ليلى، ولكنها كانت تنهرها بمجرد وصفها له بهذا الاسم، كذلك ذراعاه الاثنان ورقبته لم يسلَمَا من تلك الجروح العميقة، ولكن على الرغم من هيئته الغريبة تلك كان يملك جسدًا رياضيًا صَلبًا، وقد تأكّدَت من هذا عندما رأته يطرح أحد الخاطفين ضربًا رغم فَرْق الحجم بينهما، أقسمَت لليلى صديقتها أنه يعيش في حزن شديد! وعندما سألتها ليلى عن ثقتها العمياء بذلك الأمر قالت لها:

– إن عينَيه وصوته كانا يفوحان بذلك، بل يصرخان من الألم والحزن.

حاولا الفتاتان أن يخمّنا سر هذا الحزن، ليلى بهيام ساخر:

– ربما حب قديم!

ولكن شهد قالت بألم حقيقي:

- أو ربما يتيم مثلي أنا!

وأخيرًا قررت شهد إغلاق هذه الصفحة من حياتها، وتركت صديقتها تضع اللمسات الأخيرة.

أخذ ذلك الشاب لقب الوحش الحزين، أما هي فأخذت لقب المجنونة الكبرى؛ لأنها مع كل تلك الصفات التي وصفتها شهد لذلك الشاب لا تعلم كيف وثقت به وركبت معه؟!

*****

عادت شهد لركوب الدراجات مرة أخرى في مكانها المفضّل، ولكن كان أغلب الوقت كان بمفردها؛ لأن صديقتها كانت منشغلة في أمور زواجها، كانت شهد تساعدها من حين لآخر، وعندما تجد نفسها متفرغة تذهب لركوب الدراجة على رمال الشاطئ الذهبية.

*****

وبعد خمسة أشهر كانت تقف شهد فرحَةً خلف ليلى صديقتها تساعدها في فرد فستان زفافها.

كانت في غاية الجمال وهي تتعلق بيدِ زوجها ترقص وتغني معه بحب، كان عُرسًا رائعًا في إحدى القاعات الجميلة، ظلَّت بجوار صديقتها حتى أتت فترة الاستراحة للعروسين؛ فتركتها متجهة لمقعد والدها، ولكنها تسمّرَت في مكانها عندما وجدَت تلك العيون تحدق بها، سرعان ما وجدته يركض باتجاهها، لم تستطِع هي الحركة! تقسم أنها حاولَت ولكن لم تستطع.

تكلم الشاب بلهفة واضحة:

- إنها أنتِ.. أليس كذلك؟

لم تنطق شهد وحاولت تجنبه، لكنه سدّ عليها الطريق مكررًا سؤاله لها:

- أنتِ الفتاة التي قابلتها في الحادث.. أليس كذلك؟

تكلّمَت هي بغضب وهي تجز على أسنانها:

- ابتعد عن طريقي.

صرخ هو أمامها بفرح:

- نعم إنها أنتِ.... يا إلهي لا أصدق! هل أنتِ بخير؟ لقد بحثتُ عنكِ كثيرًا، كيف خرجتِ من المشفى؟! ومع من خرجتِ؟! هل حقًا كان والدك؟ يا إلهي! لقد اعتقدتُ أنهم العصابة... أعتقد أنهم أرادوا الانتقام منكِ، أأنتِ بخير الآن؟!

اقترب أكثر من وجهها، وعند هذه اللحظة بالتحديد أفاقت هنا منتفضة من موجة الأسئلة التي انفجرَت في وجهها!

صرخت هي به غير آبهةٍ بمن حولها:

- مَن أنت لتسألني كل هذه الأسئلة؟ أنت إنسان جبان لا قيمة لك في هذه الحياة.

اندهش هو بما تقوله؛ فقال بهدوء مستفز:

- جبان؟! من؟! أنا؟!

صرخت به:

- هذه الكلمة قليلة في حقك، أنت نذل حقير، تركتني أواجه الخاطف بمفردي.

صرخ هو بغضب أمامها:

- أنا؟!

صرخت فيه بغضب مماثل:

- نعم أنت.

أكمل هو بعصبية:

- لولا وجودي يا آنسة لكُنتِ الآن في عداد الموتى... ألا تدركين ذلك؟! أنا من أخرجَكِ من السيارة وهي تحترق قبل أن تنفجر، أنا من تبرّعَ لكِ بالدم في المشفى.. أنا الطبيب الذي أجرَى لكِ العملية وأنقذ حياتك، بعد كل ذلك وتقولين أنني جبان!

تفاجأت هي بما يقوله؛ فهي لم تهتم بمعرفة ما حلّ بها بعد العودة سالمة للمنزل.

اخترق هو أفكارها بصوته قائلًا:

- من خمسة أشهر وأنا أدعو أن أقابلَكِ مرة أخرى لأطمئن عليكِ، وخصوصًا أنكِ اختفيتِ فجأة من المشفى بعد ليلة من الحادث، ولكن الآن لم يعد الأمر يهمني، وآسف أني أزعجتك.

قال كلامه ذلك ثم تركها وذهب، لم تستطع هي التحدث، ولكنها تتبّعتْه بعينها إلى أن جلس بجوار امرأة وفتاة.

انتفضَت من مكانها عندما وجدَت من يربت على كتفها.. كان

والدها، وسألها ما الأمر؟ ردَّت هي بأن كل شيء على ما يرام؛ فقال إنه كان في الخارج يستنشق بعض الهواء.

لم تعرف هي ما عليها فعله! وخصوصًا أنها أهانته، تعلم أنها تسرّعَت، ولكنها لم تكن تعلم بكل هذا؛ فاستجمعَت شجاعتها وذهبت باتجاهه، اعتذرَت منه كثيرًا عن سوء الفهم الذي حدث.

شهد بكامل الاحترام:

– أنا مدينة لكَ بحياتي أيها الطبيب.. شكرًا لكَ على كل شيء.

وفي تلك الأثناء توجّهَت كاميرا القاعة في اتجاههما؛ فقام هو بالابتعاد عنها محاولًا تخبئة وجهه عن عدسة الكاميرا، فهمَت هي ما يفعله، ثم استغلَّت تلك الفرصة وقامت بالاستئذان منه بالذهاب، وما كادت أن تبتعد حتى وجدته ينادي عليها ويسألها عن اسمها؛ فردَّت هي بابتسامة هادئة خجولة:

– شهد.

وجدته هو بتقديم نفسه لها:

– اسمي هو آسر.

*****

قابلته صدفة مرة أخرى في منزل صديقتها؛ فقد كان يزور زوجها، وهنا تعرّفَت عليه أكثر.

علمَت أنه طبيب قسم جراحة عامة، يمتلك أختًا توأم له، كان والده ضابط شرطة توفّي في أحد الأيام أثر انقلاب سيارته في الطريق

الصحراوي في حادث يشبه الحادث الذي تعرّضَت له؛ فقد كان خارجًا للتنزه مع أبيه، ثم تفاجأ بعملية خطف مثل تلك، وعندما حاول هو التدخل وملاحقة الخاطفين فَقدَ السيطرة على السيارة وانقلبت بهما؛ فتوفيّ والده على الفور، أما هو فتشوَّه جسده بالكامل كما ترى.

******

تعرّفَت عليه أكثر من خلال استغلال صداقته بزوج صديقتها المفضل؛ فقد كانا يجتمعان في ذلك المنزل.

وبعد فترة اعترفَ لها بحبه وطلب منها مقابلة والدها، ولكنها سألته عن سبب حبّه لها! وخصوصًا أن ذلك الحادث أثّرَ على جسدها وجمالها؛ فقال لها إنه لم يرَ نظرة خوف أو شفقة في عينيها لحظة لقائهما للمرة الأولى.

تمت بحمد الله

الفصل الرابع
ملائكة وشياطين

١- الملاك الذي أحب الشيطان..... سارة شَهبو

٢- شيطان ذو قلب نابض..... لُجين كريم

٣- وثالثهما الشيطان..... بسملة محمود

١ـ الملاك الذي أحَبّ الشيطان

سارة أشرف شَهبو

فُتح المحضر اليوم ٢٠١٩\٦\٢١ الساعة ٧,٣٠ م من سراي النيابة...

نحن: أحمد فادي محمد وكيل النيابة، مصطفي محمد سكرتير التحقيق..

س- ما هو اسمك؟!

ج- سيف عبدالله محمد أشرف.

س- ما هو سنك؟!

ج- ثلاثون سنة.

س- ما هو عملك؟!

نظر له مبتسمًا بسخرية تحملُ من الأسى ما تحمل، قبل أن يقول:

ج- اكتب ظابط، أو اللي انتَ عاوزه، بس أنا وأنا صغير كان نفسي أكون ظابط.

صاح وكيل النيابة غاضبًا:

- اتكلم كويس.. انت في نيابة.

- حاضر.

- س- ما هو عملك؟!

- ج- حرامي.

أراح رأسه متنهدًا وكأنه يعبر السنوات، همَّ وكيل النيابة بالسؤال، إلا أنه سبق سؤاله بالحديث:

كنت ذلك الطفل الصغير النائم على الأرض ذا الملابس المتسخة يبدو عليّ الفقر والجوع أيضًا، هربتُ من البيت وأنا في الخامسة عشر بسبب اكتشاف والدي تعاطي المخدرات، في ذلك اليوم الذي كُشِف فيه أمري وعرف والدي ذلك كنتُ أنوي التوقف عنها، ولكن أبي لم يعطِنِي الفرصة حتى لأتحدث كلمة واحدة أو أدافع عن نفسي! أتذكر كلماته لي وصراخه بي، كان شديد القسوة حتى بعد انفصال أمي عنه، انفصَلَت أمي عن أبي وأنا في سن السابعة بسبب شدته وقسوته عليها.

تركَتنِي وحدي، وبعد فترة عرفتُ أنها تزوّجَت، أتذكر ذلك اليوم الذي هربتُ فيه من المنزل، أتمنى الآن إذا لم أهرب وكنت تحمّلتُ تلك الكلمات التي كان يصرخ بي ويتهمني بأنني «وقح» مثل أمي!

كان دائمًا يعايرني بها، أتذكر كلماته وأنا أهرب من المنزل وهو ينادي عليّ ويقول(أتمنّى أن تذهب ولا تعد)، حسنًا لقد سمعتُ كلامك ونفّذتُ طلبكَ يا أبي.

كنتُ مثل الضائع في كوكب كل شخص فيه يبحث عن مصالحه

الشخصية، كوكب بلا منطق الشفقة.

ذهبتُ إلى أمي في تلك الليلة، وظننت أنها من ستطلب مني الجلوس معها..

طرقتُ باب الشقة التي كانت تعيش بها هي وزوجها، عندما رأتني احتضنَتْنِي باشتياق..

سيف:

- وحشتيني يا أمي.. عاملة إيه؟!

الأم:

- وانتَ كمان وحشتني جدًا يا سيف، أنا كويّسَة، قولِّي انت إيه اللي جابك هنا؟! ادخل بس نتكلم جوّا البيت.

دخلتُ ذلك البيت.. كان جميلًا جدًا من الداخل، وواضح عليهِ أنها تزوّجَت من رجل ثري، دخلت البيت وجلستُ على الأريكة، وسردتُ لها عمّا حدث بيني وبين أبي، ولكن كان حديثها مفاجأة بالنسبة لي، سألتني:

- وماذا ستفعل؟!

- أنا كنت عايز لو أعيش معاكِي هنا ومش هضايقك.

- سيف، انتَ بتطلب مني طلب صعب، أنا مش بإيدي حاجة، أنا أصلًا مش قايلة لزوجي إني كان ليّا أطفال من زوجي الأولاني، بص.. أنا هساعدك.. خد الفلوس دي ولما تخلَص ابقى تعالالي، أو ابعتلي حد غريب يكون أحسن؛ عشان ما يحصلش مشاكل مع زوجي.. معلش.

كنت أنظر إليها باستغراب مستنكرًا تخليها عني، ولا أستطيع التحدث بكلمة واحدة، كدتُ أن أفقد النطق.

حاولت التكلم..

- ماما..

قبل أن أتحدث كان زوجها قد أتَى من العمل، دخل إلى البيت ثم نظر إليّ باستغراب، وقال سائلًا أمي:

- مين الطفل ده؟!

قالت أمي بارتباك:

- ده طفل بيقول إنه غريب عن المدينة وعايز مساعدة.

نظرتُ إلى أمي وعيني مليئة بالدموع، ولكن حاولتُ التماسك حتى لا ينكشف أمرها أمام زوجها، ثم قال لي زوجها:

- فين أهلك! فين أبوك وأمك؟!

نظرتُ إليه نظرة طويلة، ثم نظرت إلى أمي وكانت تنظر أرضًا في ارتباك.

ثم عاود ذلك السؤال:

- فين أبوك وأمك؟!

سيف:

- ماتوا هما الاتنين.

ثم قال لي:

– طيب خد الفلوس دي.

وعرض عليّ بعض المال، لم أنظر إليه وذهبتُ في صمت من المنزل مسرعًا قبل أن ينهمر الدمع من عيني، كانت تتردّد تلك الكلمات التي قالها والدي قبل ذهابي من المنزل (اذهب إلى أمك.. ستتخلّى عنكَ مثلما تخلَّت عني).. كنتُ أتجول في الشوارع وأنا أفكر «وجهٌ تخلّى العالم عني هكذا».. (ملعونة تلك الحياة ذات الألف وجه).

مرت الأيام وأنا كالمتسول بالطرقات، وبعد ذلك رآني رجل يُدعَى الرّيّس.. أخذني معه إلى مكان به مجموعة من الأطفال في سني وأصغر، ثم نادَى على طفلٍ منهم يسمّى طارق، وقال له: خذه علّمه ماذا يفعل بالضبط، ذهبتُ معه وعلّمني عملي الجديد.. «السرقة»، ثم أصبحتُ أنا وطارق صديقَيْن حميمَيْن مثل الأخوة حتى الآن؛ فأنا أبلغ من العمر ٣٠ سنة وهو يبلغ ٢٦ سنة.

وها أنا الآن..

– سيف.. سيف، سيف اصحَى.

سيف:

– إيه؟! فيه إيه يا طارق؟

طارق:

– اصحَى الريس عايزك.

– يا ابني الساعة ستة الصبح، مفيش حرامية بينزلوا يسرقوا الصبح كده، مفيش ناس ماشية أصلًا.

- طيب يلّا يا ظريف.

- ازّيّك يا ريس؟!

الريس:

- أهلًا يا ولاد، بصوا بقَى.. انتوا من طلعِة امبارح وأنا مبسوط منكم؛ عشان كده قرّرْت أرقيكم، ماعُنتوش الحراميّة الصغيرين بتوع زمان، بصوا.. انتوا خلاص بقيتوا هجّامة، النهاردَة هيكون أول اختبار ليكم، هفهمكم هتعملوا إيه؟

انصرفتُ أنا وطارق حتى وصلنا إلى ذلك الحيّ المرموق الذي أشار إليه الريّس.

سيف:

- هجّامة؟! ليه يا عم ما كنا كويسين، على الأقل لما نتمسك في الشارع هنجري، لكن في الشقق هنعمل إيه؟! الموضوع متعب.

طارق:

- هنجري برضُه، ثم يا ابني أكيد هتزيد نسبتنا وهنكسب أكتر بكتير، طيب بص.. إيه رأيك في الشقة دي؟ شكلها فاضية!

سيف:

- طيب ما تيجي ندخل الفيلا اللي هناك دي، عتمة وشكلها كدَه مفيهاش حد.

طارق:

- أيوَه يا عم كده.. بحب دماغك لما تشتغل.

دخلنا الفيلا.. كانت رائعة ومليئة بالصور الفوتوغرافية.

طارق:

- شكل كده الناس صحاب الفيلا دي خارجين وراجعين تاني؛ فشدّ حيلك ونسرّع شوية.

سيف:

- طارق بص! الله حلوة قوي.
- آه شكلها غالي كمان... هاتها.
- هو إيه ده اللي غالي؟!
- الفازة.
- فازِة إيه؟! أنا بكلّمك على صورة البنت اللي فوق الفازة.

كانت تشبه عروسة البحر، تلك الفتاة التي لا تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها ذات الابتسامة الغير مصطنعة والأعين البريئة والنظرة المتلهفة، كنتُ أشعر بشيء يجذبني إلى تلك الصورة، كنت أريد التأمل بوجه تلك الفتاة السمراء صاحبة الأعين السوداء.

طارق:

- لا ما هو احنا مش جايّين نحب صور دلوقتي، أنا عايز فلوس.. يلّا انت رُوح على الأُوَض وأنا هاخد بالي من الطريق.

صعدتُ أنا السلم لأذهب إلى الغرف، وظل طارق يراقب الطريق.

سيف:

- يادي النحس.. الأُوَض فاضية، مفيش غير أوضة واحدة اللي فيها حاجات.

طارق:

- اِلْحَق.. فيه حد جاي على هنا! سيف.. سيف.

ولكن لم أسمعه، كانت المسافة بعيدة وكبيرة.

سيف:

- أنا أخدت كل حاجة غالية.

ثم تفاجأتُ بضربة قوية على رأسي من الخلف أدَّت لفقداني الوعي لدقائق، وعندما استيقظتُ رأيتُ تلك الفتاة التي كانت في الصورة وهي تتحدّث بنبرة تعتريها الخوف وتقول:

- ماتتحرّكش، ولو اتحرّكت هضربك!

سيف:

- أتحرّك ازاي وانتي مكتفاني في الكرسي؟!
- آه.. يعني ماتفكّرْش برضُه.

سيف:

- ما فكّرْش إيه؟ ده انتي اللي معوّراني في راسي!
- امم أنا آسفة، آه.. انت بتعمل إيه هنا؟! انت حرامي وعايز تسرق بيتي؟!

تلك الفتاة السمراء كانت تشبه الطفلة الكبيرة، حتى حديثها كان نابعًا من طفلة.

سيف:

- أنا.. آه، بس لو أعرف إن دي فيلتك ماكُنتش فكّرت أسرقها.
- ليه؟ فعلًا انت عندك حقّ.. هي فيها حاجات كتير عايزَه تتغير شبه قديمة شويّة، استنّى.. أنا هجيب شاش عشان الدم اللي في راسك.

نظرتُ إليها باستغراب..

سيف:

- نعم! انتي هتعالجيني ولا إيه؟!
- شششش اسكت، استنّى أنا هصوّرك قبل وبعد العلاج.
- صور إيه؟! آه انتي دكتورة.
- لأ يا جاهل أنا مصوّرة، وحابّه أصوّرك، حقي انت كنت هتاخد حاجات غالية أغلى من الكاميرا بتاعتي نفسها.
- بس انتي هتعالجيني وتصوّريني وبعد كده هتسيبيني أمشي طبعًا!
- لا، بعد كده هسلّمك للبوليس.. ده الصح.
- إيه ده؟! انتي حتى شكلِك طيب.
- بس بقَى، انتَ رغّاي قوي، سيبْنِي أعالجَك.

سيف:

- أنا برضُه! طيب انتي عالجتيني خلاص أهو، ممكن أمشي بقى؟

- مش قبل ما أصوّرَك.
- ماشي.. وهتسيبيني أمشي؟!
- حاضر هسيبك.

سيف: كنت عارف إنها هبلة.

- اضحك يلّا! انتَ اسمك إيه؟!

ابتسمتُ لها وقلتُ:

- سيف.. اسمي سيف، وانتي؟
- أنا ملَك.
- حلو ملك، ملك ممكن تفكّيني وأنا مش هعملّك حاجة والله.

رأيتُ في أعينها نظرات خوف وقلق مني، ثم قالت:

- امم، طيب اوعِدْني إنك مش هتأذيني!
- أوعدِك عمري ما هأذيكي.
- ماشي.

شكرتُها، وفجأة انطلق صوت جرس الباب، شعرتُ بالقلق حين سماعي لتلك الرنات.

سيف:

- بقولّك إيه.. لو حد عرف إني هنا ولّا نطقتي بكلمة أنا سهل عليّا قتلِك.

ملك:

- كده بعد ما فكيتك؟! خلّيك.. ده الدليفري.

ذهبَت ملك وأخذَت الأكل ورجعت لي..

ملك:

- يلّا عشان ناكل!

كنتُ أنظر إليها باستغراب؛ هل هي مختلّة أم هي بريئة؟! أم تتصنع البراءَة؟! ثم قلت لها:

- هو انتي بجد؟! يعني ازّاي كده بجَد؟! انتي طبيعية؟!

ملك:

- ده أنا اللي غريب؟ كنت عايزني أسلّمك للبوليس يعني! يا أخي أنا مسامحاك.

أخذتُ أفكر لدقائق في تلك الكلمة «التسامح»، لم أسمع تلك الكلمة منذ فترة طويلة، ولماذا لم أسمعها من والديّ؟! هل أخيرًا وجدتُ ذلك الشخص الذي يتسامح معي؟! شعرتُ حينها بذرة أمل.

سيف:

- شكرًا.

بعد ذلك أكلنا سويًّا على الطاولة، ثم استأذنتُ للذهاب، ثم ناديتُ على ملك من الخارج وقلت لها سآتي لسرقتك مرة أخرى، ثم ذهبتُ إلى طارق في المكان المعتاد، اندهَشَ طارق عندما رآني..

طارق:

- إيه ده؟ أنا فكّرتَك اتمَسَكت!

سيف:

- فكّرتنِي اتمسكت وقاعد ولا علَى قلبك خبر!

طارق:

- خرَجت ازّاي؟! من الشباك ولا إيه؟!
- من الباب، ده كان يوم جميل.
- نعم! انت بتقول إيه؟! ههه هُمّا شرّبُوك شاي ولا إيه؟
- لا.. كَلْنا بيتزا!
- بيتزا، بيتزا إيه؟!
- خلاص خلاص.. هحكيلَك اللي حصل..

****

وفي صباح اليوم التالي ذهبتُ إلى الفيلا، وكانت ملك خارجة من الباب ومعها الكاميرا خاصتها..

ملك:

- إيه ده؟! انت جاي تسرق تاني ولا إيه؟!

سيف:

- لا جيت عشان أشوفك، ممكن أتمشّى معاكي شويّة، انتي رايحَة فين؟!

ملك:

- هروح أصوّر عيد ميلاد، شغل يعني، لو حابب تيجي معايا تعالَى.

ذهبنا إلى عيد الميلاد، وجلستُ أشاهدها وهي تصوّر، ثم أتَت..

سيف:

- انتي بتشتغلِي مصوّرة ليه بقى؟

ملك:

- عشان بحب التصوير، بحب أشوف الضحكة على وشوش الناس، بحب أشوف اللحظة دي!

سيف:

- تعرفي إيه الفرق اللي بيني وبينك؟ إن انتِي بترسمي الفرحة على وشوش الناس، أما أنا بسرق الفرحة دي.
- مفيش حد بيحبّ الغلط، انت أكيد عندك ظروف مخلّياك تعمل كده، ده مش معناه إني بشجّعك على كده، تعرف مشكلة البلد دي مش في الحراميّة الصغيرين الفقراء اللي بتسرق، المشكلة الحقيقية في الحرامية الكبار اللي بتسرق وهي مش محتاجة، يلّا عشان نروّح الوقت عدّى، تعالَى اتغدّا معايا، فيه أكل في البيت.
- ماشي.
- آه صحيح... انتَ بتسرق ليه؟

كان ذلك السؤال كالصاعقة لي.

سيف:

- ياااه! دي قصة طويلة قوي، هحكيلك واحنا بناكل.

سردتُ لها قصة حياتي، كنت أرى في عينيها الشفقة التي لم أرها في أعين أحد من قبل.

ملك:

- طيب تعرف إن أنا كمان ليّا حكاية، بس صغيرة شويّة، كنت عايشَه مع أبويا بس، أمي ماتت وأنا صغيرة قوي، بابا كان بيحبّني قوي ومعاه فلوس كتير، عمل مصنع والمصنع خسر وبابا أعلن إفلاسه، مافْضِلْش من ثروتنا غير الفيلا والعُقد، وبعدها بمفيش بابا مات وسابنِي لوحدي، واشتغلت مصورة عشان أصرِف على نفسي.

كنت أسأل نفسي كيف تكوّنَت تلك الملاك في تلك الظروف؟! كيف استطاعت البقاء في عالمها الصغير؟! تلك الفتاة التي كلما قسيت عليها الحياة ازدادت ابتسامتها!

سيف:

- الله يرحمه، الفيلا اللي هي دي صح! بس عُقد إيه؟!

ملك:

- امم ماشي بس!
- ماتخافيش.
- خلاص هقولّك.. ده عُقد أثري غالي كان جايبُه بابا كتحفة وبيحبُّه قوي، وهو فعلًا شكله حلو، بص.. أنا هاوريلَك صورته أنا مصوّراه.

وبعد حديث طويل مع ملك ذهبتُ إلى مكان معيشتي بعد أن

أعطتني تلك الصورة كهدية.

طارق:

- إيه يا عم كل ده؟ أيوَه محدّش قَدّك.

سيف:

- تعرف يا طارق؟ أنا مبسوط قوي.. حاسِس إن فيه أمل أعيش حياة غير حياتي دي.

طارق:

- طيب يا عم عيش، بس حاسب اللي وقع منك.. إيه الصورة دي؟!
- ده العقد بتاع ملك.
- شكله غالي قوي.
- حلو.. صح؟

وبعد أيام عديدة من مقابلتي لملك... عاودتُ لقاءَها مرة أخرى..

سيف:

- ملك أنا خايف!

ملك:

- خايف من إيه؟!
- خايف تبعدِي عني، خايف أقرّب أكتر تخافي مني وتبعدي.
- اوعدني الأول إن انت تبطّل سرقة.

- يعني أفهم إن انتي موافقة؟!
- تبطل؟
- طبعًا.

بعدما رجعتُ إلى طارق..

سيف:

- طارق، الريس فين؟

طارق:

- ليه؟!

سيف:

- أنا هبطّل سرقة خلاص.
- وانتَ بقى رايِح تقول للريس كده؟! انت مجنون؟ مش هيسِيبَك في حالك!
- اوعَى أنا رايحلُه.

سيف:

- ريس!

الريس:

- تعالَى يا سيف.

سيف:

- يا ريّس أنا عارف إن انت اللي مربِّيني وبتعتبرني زي ابنك، أنا كان ليّا طلب!

الريس:

- قول يا سيف!

كانت نظرتُه حادة وصوته أجَشّ، يحمل نبرة تهديدية وكأنه يعلم ما الذي أريده، كنت أشعر بشيء من الرهبة والكثير من الإصرار على بداية حياة جديدة مع ملك.

سيف:

- أنا عايز أبطّل سرقة.

الريس:

- حلو.. ما انتَ اللي قولت بلاش هجّامة زي طارق.
- يا ريس أنا عايز أتوب عن الشغلانة دي خالص.
- انتَ فاكر إنك بتشتغل في الحكومة يا روح أمك هتقدم استقالة؟... لا فُوق!
- بقولّك إيه.. أنا قررت واللي عايزُه أعمله.

بعد تلك الليلة ذهبتُ إلى الفيلا، كان باب الفيلا مفتوحًا، دخلتُ أنظر حولي كانت الأشياء محطمة، أخذتُ أنادي على ملك، ثم دخلتُ الغرفة لأرى ملك على الأرض والزجاج منشور والدماء حولها في كل مكان! كانت حبيبتي تموت أمام عينيّ، حملتها ووضعتها على الأريكة وقلتُ لها: ملك ماذا حدث؟ كنتُ أنظر إلى عينيها البريئتين وأردّد: كل

شيء ضاع، حبيبتي تموت.. لا تتخلّي عني.. لا تتركيني، كانت تلفظ آخر أنفاسها المعلّقة بقلبي، وتقول:

– أنا بلّغت الشرطة.

كنتُ أردّد: من هو؟!

كيف لكِ أن تتركيني مثلما فعل الآخرون، وكانت آخر كلمة قالتها «أحبك»، وهنا كانت وفاة تلك الملاك، الملاك الذي أحبني (الملاك الذي أحبّ الشيطان)

تركت الفيلا وذهبتُ وأنا أحترق إلى الريس، كان لا يخطر ببالي غير تهديده لي، بالطبع هو من قتلها! هو من دمّر حياتي قبل أن تبدأ، لم أفق إلى وعيِي غير وأنا أطعنه في قلبه مثلما طعَنَ حبيبتي، بعدها ذهبتُ مسرعًا قبل أن يراني أحد، كنتُ أشعر بالهزيمة من تلك الحياة السوداء التي ظلَمَتْني من الصغر ولم تعطني الفرصة لبدء حياة جديدة مع حبيبتي، ثم شعرتُ بخطوات سريعة نحوي، وصوت ينادي عليّ:

– سيف.. سيف..

لقد كان طارق، أتى وهو مرتبك..

طارق:

– عرِفْت اللي حصل؟ الريس اتقتَل!

سيف:

– عارف.

– عارف! عارف ازّاي؟!

كان ينظر إليّ ونظرات الشك تملأ عينيه.

سيف:

- قتَل ملك وأنا قتلته.

طارق:

- ملك اتقتَلِت؟!

انهرتُ أنا في البكاء، لم أفق من بكائي غير على سؤال طارق:

- أكيد قتلها عشان العقد الأثري!

نظرت له بأعين تتطاير منها الشرر متسائلًا:

- وعرفت منين إن العُقد أثري؟!

وفي تلك اللحظة أدركتُ مَن القاتل الحقيقي!

أغلق المحضر اليوم ٢٠١٩\٦\٢١ الساعة ٨,٣٠ م من سراي النيابة.

تمت بحمد الله

٢ـ شيطان ذو قلب نابض

لُـجين كريم عرابي .

رجلان في منتصف العمر.... يجلسان في معرض سيارات خاص بهما، يضحكان بصوت عالٍ ويشربان الشاي، ثم يدخل عليهما رجل عجوز تجاوَزَ الستين من عمره بملابس مهلهلة ولحية طويلة، فينتبه له أحدهما في اندهاش ويتجهّم وجهه!

ويقول الرجل العجوز:

- مرحبًا يا ولدي.

فقال أحدهما:

- من أنت؟
- ألا تتذكرني؟! هل نسيتَ ملامحي؟!

فدقق النظرَ إلى العجوز مرة أخرى، وقال وهو مصدوم:

- هل أنت...؟
- نعم.. أنا والدك يا «عمر»، ولقد أتيتُ لأطلبَ منك أن تسامحني.

فنظر له عمر نظرة اندهاش، وضحك ساخرًا قبل أن يقول:

- أسامحك! على ماذا؟! على عمري الذي ضاع؟ هل تتوقع أن أنسى كل هذا لمجرد أنّكَ جئتني بعد كل هذه السنين؟! لا أعتقد ذلك.

ثم هَبّ عمر من على المكتب في غضب، وتوجّه نحو باب المعرض وفتحه في عنف، ونظر للعجوز بحدة:

- والآن اخرُج ولا تعد إلى هنا مرة أخرى، وانساني كما نسيتَنِي طوال الثلاثين سنة الماضية.

قال والده:

- أرجوك سامحني يا ابني.

قالها الوالد وهو يبكي، ولكن عمر أدار وجهه بعيدًا عنه؛ فهَمّ الرجل بالخروج، إلّا أن صديقه لحق به قائلًا:

- لا تغضب يا عم محمد؛ فأنت لا تعلم ما عاناه عمر في هذه السنين، أعطني رقمك وسوف أتصل بكَ بعد أن أتحدث مع عمر وأُقنِعُه بتغيير رأيه.

فأعطى له الرجل رقمه وانصرف، وذهب إلى عمر.

قال له صديقه في غضب:

- ماذا فعلت؟! هذا والدك الذي حُرمْت منه سنينًا، وأنت نفسك قلت لي إنه كان يعاملك بحنان حتى قبل وفاة والدتك.

فنظر عمر إلى الأرض لصديقه، ثم قال:

- ولكنك لا تعلم كم كرهته بعد أن تزوّج على والدتي وتسبّب في قهرتها ووفاتها.

- راجِع نفسك يا صديقي قبل فوات الأوان.

ثم أخرج ورقة من جيبه:

- وهذا رقم والدك، خذه معك وفكّر جيدًا.

فأخذ منه عمر الرقم.

ذهب عمر إلى المنزل وجلس يفكّر وهو يتحرك بين أركان غرفته مشعلًا سيجارة تلو الأخرى، ويجلس تارة ويقف تارة، حتى اتّخذَ قراره وأمسك بالهاتف واتصل على الرقم، فرد عليه والده؛ فقال له:

- سأنتظرك غدًا في المعرض يا والدي.

****

وفي اليوم التالي توجّهَ الأب إلى المعرض ودخل عليه وارتمى بين أحضان ابنه دامع العينين.

ويقول:

- سامحني يا بني أرجوك.

قال عمر بعدما احتضنَ والده:

- بالطبع أسامحك يا أبي، لم يعُد لي أحدٌ في الدنيا إلا أنت.

كل هذا وصديقه ينظر لهما ولم يتدخل؛ فنظر عمر لوالده وهو يشير إلى صديقه قائلًا:

- «رشاد» كان زميلي في الزنزانة، والآن شريكي في العمل.

وجلسوا جميعًا يتحدثون، إلى أن شعر رشاد أن عم محمد منهكٌ

قليلًا، ثم قال لعمر:

- اذهب أنت ووالدك للمنزل لكي يرتاح، وتكلّما معًا بحرية.

ركبا السيارة معًا، وطول الطريق عمر ينظر إلى والده ويبتسم له، حتى وصلا للمنزل وفتح عمر النور، ودخل والده وهو يتأمل أثاث المنزل الفاخر، ويتلفت حوله في اندهاش، ثم قاطعه عمر وقال:

- أهلًا بكَ يا أبي في منزلك الجديد.
- ولكن.. من أين لك هذا؟
- بعدما ماتت أمي بحثتُ عن عمل كثيرًا ولم أجد إلّا عند ميكانيكي سيارات، وأخذني وربّاني عنده، وقبل أن يموت كتب لي كل أملاكه والشقة والورشة وكل شيء يملكه.

ربت الأب على كتفه، ثم قال:

- هذا الرجل بالتأكيد كان طيّبًا جدًا.
- نعم بالفعل، كان طيبًا وحنونًا.

وسكت قليلًا وهو يبدو عليه الحزن، ثم قال:

- حسنًا.. لنعد إلى موضوعنا...ما رأيك أن تعمل معي بدءًا من الغد؟

قال الأب في سعادة واضحة:

- بالطبع.. أنا أريد أن أساعدك، كما تعرف أنّ لديّ خبرة كبيرة في الإدارة؛ فأنا كنت مدير فندق وأفهم جيدًا أيضًا في الحسابات.

فنظر له عمر وقال:

- صحيح، ولكن ماذا حدث لك؛ فمظهرك يُبدِي أن الأمور لا تسير على ما يرام.
- صحيح.. لقد ضاربتُ بمبلغ كبير في البورصة وخسرتُ أموالي وفقدت عملي وزادت ديوني، ولم يعد هناك من يقف بجانبي.

وسكت قليلًا، وتنهد:

- ولكن هذا ليس سببَ بحثي عنك؛ فأنا أتدبر أموري إلى حد ما، ولكني خِفْتُ أن أموت قبل أن تسامحني يا ولدي.

نظر له عمر طويلًا، وهز رأسه وقال:

- بالطبع يا والدي، ومن الغد سوف أجعلكَ مديرًا للمعرض لكي تدير معي ومع شريكي معرض السيارات، لحظة يا والدي.. سأقوم بمكالمة هاتفية مع المحامي، لحظات وأعود لك.

فقال والده:

- لا يا عمر.. هذا تعبك أنت، وأنا سيكفيني الوجود بجانبك.
- لا يا والدي.. أنت تستحق أن ترتاح في عمرك هذا.

أتى عمر بعد إنهاء المكالمة التليفونية، ونظر إلى وجه والده وقال:

- يبدو عليك التعب، لقد كان يومًا طويلًا عليك.. هيا بنا نخلد إلى النوم.

وفي الصباح استيقظَ عمر وأعدّ فطورًا وثيابًا لوالده، وذهب لإيقاظه:

- هيّا يا أبي استيقِظ، لقد أعددتُ لك كل شيء.

- حسنًا يا عمر، دقائق وأُصبِح جاهزًا.

تناولا طعام الإفطار، وارتدَى والد عمر البدلة التي أعدّها له، وحلق لحيته، ونزلا معًا وقد تبدل شكل عم محمد إلى الأفضل، ووقّعَ عم محمد الأوراق المطلوبة للتوكيل بالإدارة في مكتب المحاماة، وشكر عمر واحتضنه.

فقال له عمر:

- الآن سوف نذهب سويًا إلى مكان عزيز على قلبي!

فتفاجأ والد عمر بأن عمر قد أخذه إلى المقابر؛ فسأله عمر وهو لا ينظر له ويضع يده في جيبه:

- أتعلم لماذا جئنا إلى هنا؟
- لا يا بني لا أعلم! من الذي مات؟
- إنها أمي.. ألم تشتَق لها؟

فهز الوالد رأسه، ونظر إلى ابنه وتنهد، قبل أن يقول:

- ادعو لها بالرحمة يا ولدي؛ فهي الآن في مكان أفضل من هنا، والله غفور رحيم.

قال عمر:

- إذَن لماذا خُنتها وتزوجتَ بأخرى وطلّقتها، وأخذتنا رغمًا عنها؟! لقد ماتَت حزينة مقهورة.

فنظر له الأب واحتضنه:

- أنا آسف يا بني، لم أكن أقصد.. سامحني.

- لقد سامحتك بالفعل، وأتيتُ بك هنا اليوم لتتذكرها وتقرأ القرآن على روحها؛ لتسامحك هي أيضًا.

وجلسا بعض الوقت وانصرفا تاركَيْن المكان.

*****

ذهبا معًا إلى المعرض، وكان ينتظرهما هناك رشاد... رحّب بعم محمد وسلّمَ على عمر، وهنا فاجأَهُ عمر بأن والده سوف يدير المعرض، وأنه سوف يعمل معهم من اليوم، ولم يعترض رشاد على هذا القرار وأظهر فرحًا بهذا الخبر وبارَكَ لعم محمد، عمل أبو عمر شهرَين في المعرض، ثم طلب منه عمر أن يسافر إلى الصين؛ ليستورد شحنة سيارات جديدة، وطلب منه أن تكون الأوراق باسمه؛ فتساءَل رشاد في اندهاش:

- – ولماذا تكون بِاسْم أبِيك يا عمر؟
- – لقد استوردنا شحنة كبيرة منذ أسبوعين، ولا يمكن أن نستورد قريبًا باسمنا حتى لا تزيد الضرائب علينا، ولكن بعد أن يستورد أبي هذه الشحنة باسمه سنضمّها للمعرض لاحقًا يا رشاد.

قاطعهما والد عمر قائلًا:

- حسنًا، كما تعلم يا بني.. لقد سافرتُ الصين كثيرًا من قبل، وعندي فكرة عن كيفية المعاملات هناك.

****

مرّت الأيام.. وسافر والد عُمر إلى الصين وأحضَرَ كمية السيارات المطلوبة إلى مصر، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان؛ لقد قُبِضَ على

والد عمر في المطار بتهمة جلب المخدرات؛ فكانت شحنة السيارات مليئة بالأقراص المخدرة، وكان هناك بلاغٌ لدى السلطات مسبقٌ عن هذه الشحنة، حاول عمر مساعدة والده، ولكن كل شيء كان ضده، وحُكِم عليه بالسجن المؤبد كما حكم على عمر من قبل.

ذهب عمر لزيارة والده بعد الحكم عليه؛ فأول ما وقعت عينه عليه قال له:

- مَن فعل هذا؟! لماذا أنا هنا؟! أنا لم أفعل أي شيء، أنت تعلم أني مظلوم.

فضحك عمر ضحكة ساخرة، وقال له:

- أنا يا والدي العزيز من ألقى بك في السجن، وأنا من طلبتُ من أصدقائي في الصين وضع الأقراص المخدّرة، وانا من أبلَغَ عنك ،إن اليوم أسعد يوم في حياتي.

صعق والده وارتعشتَ قدماه من الرد وقال:

- لماذا يا بنى؟! أنا لم أفعل لك أي شيء.

- أكنتَ تظن أنني سأسامحك في يوم من الأيام؟! كم أنت ساذج! لقد فعلتَ بي وبأسرتنا الكثير؛ لقد خنتَ أمي مع زميلتك في العمل أتذكر؟! وهذه كانت بداية النهاية، لقد أخبرتني أمي بكل شيء، لقد رأتكَ أنت والحية التي أدخلتها حياتنا في أحد المطاعم تضحكان وتضع يديك حولها وتغازلها؛ فاندفعت نحوك لتواجهك وسألتك من هذه؟ وأنت صمَتَّ ولم تقل أنها زوجتك؛ فانكسرت أمي وفرت هاربة وذهبت إلى المنزل، وأنت تبعتها وعلت أصواتكما،

وكنت أختبئُ أنا وأخي خوفًا، ثم أهنتَها وضربتَها وطلقتها... أخذتنا رغمًا عنها وعنّا.

فصاح والده بصوت عالٍ:

- عمر، لقد فهمت الموضوع خطأ، من حكى لك هذا الكلام؟! لقد انتظرتُ حتى تكبر قليلًا لأقول لك الحقيقة.... الحقيقة هي أن أمك هي من كانت تخونني مع أعز أصدقائي، لقد رأيتهما بنفسي سويًا مع بعضهما في أحد المطاعم، وحين عدنا تشاجرنا.
- كيف هذا؟ ما دليلك على هذا الكلام؟ أنا لم أكن صغيرًا وقتها، كان عندي ثماني سنوات، لا تحاول الدفاع عن نفسك.

ارتعش صوت الأب قائلًا:

- ابحث يا عمر في صندوق الصور القديم وأنت ستجد الدليل.
- ما هذا الصندوق الذي تتكلم عنه؟!
- حين شعرت بخيانتها استأجرت شخصًا لمراقبتها، والتقط لها بعض الصور مع صديقي، وتلك الصور في صندوق تحت السرير في بيت والدتي القديم.

فرد عمر:

- حتى لو كان ذلك صحيحًا.. أنت تزوجتَ من فاتن تلك القبيحة التي دمّرَت حياتنا، أنت لست بريئًا، ووعدتك بأن تحسِن معاملتنا ولم تفِ بعهودها سوى فترة قصيرة حتى أنجبت مصطفي، ثم أذاقتنا كل أنواع العذاب، وأنت لم تدافع عنا كأنها سحرتك؛ فأنت لم

تكن تبالي وكنت دائم السفر، وتركتَنا لها لتفْعَل بنا ما تريد، إلى أن سئمتُ الحياة معكما وهربت وتركت المنزل، وتركت أخي لأنه كان صغيرًا، ونزلت إلى الشارع ولا أعرف إلى أين أذهب، وذهبت إلى أمي وجدتها ماتت، وكل هذا الخراب بسببك أنت وحدك، ثم علمتُ أن تلك القبيحة قتلَت أخي ولم تُسجَن يومًا واحدًا؛ لأنها ادّعَت أنه سقط وهو يلعب من فوق السلم وهو كان خارجًا مندفعًا هربًا، وأنا أضعتُ شبابي بأني انتقمتُ منها، لقد قتلتُها وسُجنت، والآن أسجنك كما سُجِنتُ من قبل.. سوف أضيّعك كما ضيّعتنا جميعًا من قبل.

كان والد عمر في حالة ذهول ويضع يده فوق رأسه ولا يستوعب ما يحدث، ويقول في نفسه ماذا فعلت؟! ثم قال عمر:

- أنا لا أصدقك.. أنت كاذب.

هب واقفًا واستدار وهو يمسح دموعه المنهمرة تاركًا المكان، وتاركًا والده يعاني حتى الموت.

****

عاد عمر إلى منزله وارتمَى على السرير، وظل يبكي كثيرًا حتى غفَا ونام؛ فشاهد والدته في الحلم تنادي عليه، وشاهد نفسه ولدًا صغيرًا يلعب مع أخيه، وأمه تحمل ولدًا صغيرًا وعمر ينظر لها في غضب قائلًا:

- من هذا الطفل يا أمي؟

- هذا أخوك مصطفى، أحمله يا بني وأرعاه؛ فأنا ربيتك على الطيبة والكرم.

فقال لها:

- لقد انتقمتُ لكِ.

- أنا لا أريد انتقامًا، أنت لستَ ابني الذي ربيته على الطيبة، أنا لا أعرفك.

ورحلت.

استيقظ عمر وهو يبكي بشدة وينادي على أمه، ثم استوعَبَ بأنه كان يحلم، جلس على سريره يفكر فيما رأى، ثم اتصل بصديقه رشاد مع بداية ساعات الصباح الأولى مخبرًا إياه بحاجته إليه، وبالفعل لم تمرّ سوى نصف ساعة حتى لبَّى رشاد النداء:

- ماذا هناك يا عمر؟! لقد قلقتُ عليك كثيرًا، خيرًا يا صديقي؟

- لا تقلق أنا بخير، ولكن هل يمكنني أن أطلب منك طلبًا؟

- بالطبع يا عمر... تفضل.

- أريدك أن تتصل بالمحامي ليحاول مرة أخرى في قضية أبي، وأريد أن أعترف للمحامي بشيء.

قلق عليه رشاد، ثم اتصل بالمحامي واجتمعوا الثلاثة، فقال عمر:

- أريد أن أعترف للنيابة بأنني من لفّقتُ التهمة لوالدي.

فرد عليه المحامي:

- هذا ليس في مصلحتك؛ لأن والدك سيُسْجَن في كل الأحوال؛ لأن كل الأوراق باسمه، وهو سافر للصين منفردًا، كل ما سيحدث أنّك أيضًا ستُسجَن بجانب والدك ولن تفيدَه بشيء، ومن الممكن أن

يأخذ والدك في المستقبل عفوًا صحيًا أو ما شابه لذلك، اترك الأمور كما هي ولا تعبَث في الماضي.

فنظر عمر إلى الأرض، ونظر إلى رشاد الذي قال له:

- وهذا رأيي أيضًا يا صديقي.

فرد عمر:

- حسنًا، ولكن ليسامحني والدي، أريدُكَ أن تبحث عن مصطفى.

فقال له رشاد:

- ومن مصطفى؟!
- أخي الصغير.
- ألم يمت أخوك؟!
- إنه أخي من أبي.
- لم أعد أفهمك يا عمر.
- إني أبحث عن هدوء النفس الآن يا رشاد.
- حسنًا، سوف أبحث لكَ عنه لدى صديق ضابط يتمنّى مساعدتي، سوف أخبره باسمه ويبحث لنا عنه، استرِح أنت الآن؛ فيبدو عليكَ التعب.

****

وفي إحدى الأيام.. وبينما يجلس عُمر بالمعرض يُمنِّي نفسه بالهدوء أتَى رشاد ويبدو عليه الفرح، فتحدّث قائلًا:

- لديّ لك أخبارٌ جميلة، لقد وجدتُ مصطفى.

فتهلّل وجه عمر وقال:

- حقًا يا رشاد؟ أين هو؟! هيّا نذهب إليه حالًا.
- صبرًا صبرًا، سوف نذهب له.. إنه في القسم.
- لماذا هو هناك؟
- صديقي الضابط بحثَ عنه وأحضره إلى القسم.
- لم أكن أريد أن أقابله بتلك الطريقة.
- إنه بخير، إنه ليس متّهمًا.
- حسنًا حسنًا، فلنذهب الآن.

****

استقلا سيارة رشاد وذهبا إلى قسم الشرطة، وحين وصلا إلى مكتب الضابط وجدا شابًا في الثلاثين من عمرة، يجلس على كرسي ويبدو عليه التوتر، جرى عليه عمر، واحتضنه وهو يقول:

- أخيرًا يا أخي عثرتُ عليك، لقد اشتقتُ إليك كثيرًا.

دفع مصطفى عمر وهو يقول:

- ابتعِد عني، من أنت؟! أنا لا أعرفك، أنت لستَ أخي، أنت لم تفكر فيّ أبدًا ولا تعرف عنّي شيئًا، أنت دمرتَ حياتي.. قتلتَ أمي وتسبّبتَ في سجن أبي، لماذا تبحث عني الآن؟! لتقتلني أنا أيضًا!
- ولماذا أقتلك يا مصطفى؟! فأنت أخي، وقد ظُلمْتَ مثلي تمامًا، وأنا هنا لأعوّضك عمّا جرى لك، تعالَ معي وسوف نعيش معًا،

لم يعد لي سواك.

- وكيف أثق بك؟!

- تعالَ معي وأنا سوف أفعل لك كل ما تريد.

وركبوا جميعًا السيارة وذهبوا إلى المعرض، وقال عمر لمصطفى:

- انظر حولك.. كل هذا ملكي أنا ورشاد، سوف نتقاسمه معًا وأعطي لكَ مالًا كثيرًا وكل ما تريد.

قال له أخوه:

- أليس هذا ما قلته لوالدي، لقد حكَى لي كل شيء، كيف أثق فيكَ؟! إن هذا مخطط جديد لي أم ماذا؟!

- لا يا مصطفى، ما أقوله ليس مخطّطًا، إني سئِمتُ الانتقام وأبحث عن هدوء النفس والراحة، لقد تعبتُ كثيرًا.

- حسنًا، أتريد أن تفعل لي شيئًا؟ أريد أن أسافر بعيدًا ويصبح معي مالٌ كثير.

فقال له عمر:

- وأنا أوافق على كل ما تريد.

- ومتى سيتحقق ذلك؟

- وقتما تشاء يا مصطفى.

وربت على كتفه وهو مبتسم.

****

مر شهران ونفّذ عمر لمصطفى كل ما أراد، وجاءت لحظة السفر، وذهب مصطفى ليودع عمر في المعرض وقال له:

- شكرًا يا أخي، لقد حجزتُ التذكرة للسفر وأريد أن أهديكَ هدية أخيرة حتى تتذكرني بها دائمًا.

ثم أخرج من ملابسه مسدّسًا مزوّدًا بكاتم صوت، وأطلق رصاصة على أخيه؛ فقال له عمر بعدما سقط مدرجًا في دمائه وبصوت متهدج:

- لماذا؟!

- لن أسامحك أبدًا، وسوف أهرب وأسافر خارج مصر بالتذكرة التي حجزتها لي، وميعاد الطائرة بعد ساعتين، ولن أُسجَن يومًا واحدًا، واليوم جمعة ولا يوجد غيرنا في المعرض، ولن يكتشف أحدٌ وفاتك إلا غدًا، وشكرًا لكَ على الأموال التي أعطيتَنِي إياها.

فقال له عمر وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- لقد توقعتُ نهاية سيئة بعد أن دخلت دائرة الانتقام، لكن لم أتوقعها منك، ولكن وصيتي الأخيرة لكَ أن تبدأ حياة جديدة بدون كراهية ولا انتقام، وأنا ذاهب لأخي وأرجو أن تسامحني.

وهنا لفظ عمر أنفاسه الأخيرة، وكان في يده الصورة التي قال له والده أنها تثبت خيانة والدته..

تمت بحمد الله

٣ـ وثالثهما الشيطان

بسملة محمود

كان جالسًا على سريره يلعن حظه، وكانت دموعه تغرق وجهه، أسند رأسه بين راحتَي يديه المتوسطة الحجم، وكان يحدث نفسه بصوتٍ خافت للغاية كي لا يسمعه أحد قائلًا:

- ليه يا ربي؟! اشمعنَى أنا اللي يحصلّي كده.. ليه خليتني عاجز بالشكل ده؟ أنا المسئول عن عيلتي.. ازّاي هقدر أحميهم وأنا كده؟! ليه قدري إن ما أمشيش على رجلي وأمشي على كرسي بعجلات؟! اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه.

وفجأة سمع صوتَ أحد يقوم بطرق باب غرفته؛ فقام بمسح دموعه سريعًا، وقال بصوت يملأه الحزن:

- ادخل.

قامت بفتح الباب بهدوء ودخلت الغرفة وهي تزين وجهها بابتسامتها المعهودة، جلست بالقرب منه قائلة بصوتها الرقيق:

- عامل إيه دلوقتي يا حبيبي؟

أجابها بثبات:

- الحمد لله.

عمّ الصمت في الغرفة لبضعة دقائق؛ ليقطعه قائلًا:

- هتكمّلي؟

نظرَت له بعدم فهم، فقام بتوضيح كلامه قائلًا:

- هتكمّلي معايا وأنا بالحالة دي؟! ولا..

لتقطع حديثه سريعًا قائلة:

- إيه اللي بتقوله ده يا آسر؟! أنا رنا مراتك حبيبتك.. أكيد مش هسيبك في ظروف زي دي، للدرجة دي مش واثق من حبي ليك يا آسر؟

أجابها آسر بكسرة:

- لا يا رنا مش حكاية ثقة، بس أنا... أنا خلاص بقيت عاجز.. بقى صعب إني أقدر أمشي تاني.

أسرعت رنا بالقول:

- خلاص يا حبيبي ماتضّايقش ولا تحمّل نفسك فوق طاقتك، الحمد لله على كل حال.

قال آسر برضا لقضاء الله:

- الحمد لله.

ثم قام بتغيير مجرى الحديث قائلًا بتساؤل:

- فين ياسين يا رنا؟

أجابته رنا بابتسامة:

- أخوك دخل ينام، أول ما اتطمن عليك، يلا يا حبيبي ننام الوقت اتأخّر.

أومأ أسر برأسه بمعنى الموافقة على حديثها؛ فهمَّت رنا بمساعدته على النوم على السرير بشكل مريح ونامت بجانبه، بينما آسر لم يستطع النوم؛ فقد كان يشغل باله ما الذي سيحدث في المستقبل وما يخبئ له القدر؟! وإلى متى سيظل عاجزًا عن الحركة؟ ونام من كثرة التعب والتفكير.

****

أفاق على أشعة الشمس التي كانت تداعب وجهه، نظر بجانبه ولكنه لم يجد رنا، نظر إلى كرسيّه المتحرك الذي بالقرب من السرير؛ فالبعد بينهما متران تقريبًا، حاول أن يصل إلى الكرسي بيديه، ولكنه لم يستطِع ووقع أرضًا؛ مما جعله يصرخ من شدة الألم ويبكي بسبب عجزه؛ فهو أصبح غير قادر حتى على خدمة نفسه، جاءت رنا وأخوه العشريني ياسين ركضًا إلى الغرفة؛ فساعداه على الجلوس على الكرسي حسب رغبته، شعر كلٌّ من رنا وياسين بأن هذا ليس الوقت المناسب لكَي يسألاه عن سبب وقوعه، استأذن ياسين الرحيل إلى العمل، وبقيَت رنا مع آسر.

قال آسر بهدوء:

- رنا، ممكن تسيبيني لوحدي، بس الأول هاتي التليفون بتاعي.

أعطته الهاتف سريعًا، ثم قالت باستغراب:

- ليه عايز تفضل لوحدك؟!

أجابها بثبات قائلًا:

- لو سمحتي سيبيني لوحدي.

غادرت الغرفة، ولكن عقلها ما زال يطرح الكثير من الأسئلة، وبعد مرور ساعتين..

دخلت رنا الغرفة قائلة:

- المحامي والدكتور في الصالة.

قال لها سريعًا:

- دخّليهم بسرعة.

- آسر هو فيه حاجة مخبِّيها عني؟

تجاهل سؤالها وتصنّع تصفح الجريدة؛ فتركته وغادرت من الغرفة بغضب، وبعد مرور عدة دقائق دخل كلٌّ من المحامي والطبيب، وبعد إلقاء التحية والتقدير استهلّ المحامي الحديث قائلًا:

- أوراق التوكيل جاهزة خلاص، بس حضرتك متأكد يا آسر بيه من اللي هتعملُه؟

نظر آسر له قائلًا بابتسامة:

- أكيد إن شاء الله.

تدخّل الطبيب في الحديث قائلًا:

- خلاص حضرتك فكّرت؟! وبعدين الأملاك، ماتنساش إنه متهوّر، والله أعلم رد فعله هيكون إيه.

قال المحامي:

- أنا عندي فكرة!

نظر له آسر بابتسامة بمعنى أن يتحدث ويقول فكرَته، وبعد مرور بعض الوقت قال المحامي:

- تمام يا آسر بيه اتفقنا، هستأذن أنا بقى.

ابتسم له آسر والطبيب.. وبعد مرور دقيقتين قال الدكتور بابتسامة:

- التحاليل والأشعة اللي عملتها بتقول إنّ إن شاء الله خير، كلها مسألة وقت وهتقدر تقّف على رجلك من تاني.

- بجد يا دكتور؟

- ده طبعًا لو استمرِّينا على العلاج الطبيعي.

*****

وبعد مرور شهرين علي هذه الحادثة الأليمة دون حدوث أي تغييرات كانت جميعها أحداث روتينية، عدا أن صحة آسر تتحسن شيئًا فشيئًا، وذلك دون علم أي شخص سوى الطبيب والمحامي.

كان آسر جالسًا على المقعد الذي يحتوي على بعض العجلات لتساعده على المشي، وكان ينظر إلى ركن صغير للغاية من أركان الغرفة بشرود تام يفكر في سبب تغيير معاملة زوجته «رنا» معه.

ظل يفكر ويفكر، ولكن كالعادة لم يستطع الوصول إلى نتيجة تريح عقله وقلبه، في تمام الساعة السابعة مساءً دخلت رنا الغرفة والغضب يحتل ملامح وجهها؛ لتقول بصوتٍ عالٍ لزوجها آسر:

- لحد امتَى هنفضل كده؟ أنا خلاص زهقت من العيشة دي، مابقِيتش قادرة أستحمل.

خرجت رنا من الغرفة والبسمة تزين وجهها غير مهتمة بمشاعر زوجها، بينما أمسك آسر بهاتفه الذي أعلن عن ورود مكالمة هاتفية؛ ليجيب على طبيبه الذي تحدث بسعادة قائلًا:

- اطّمّن فيه خبر حلو قوي... فيه دكتور أمريكي جاي أجازة هو وأولاده هنا معرفة قديمة، وإن شاء الله هنعمل العملية كمان أسبوعين.

قال آسر بسعادة:

- الحمد لله يا رب.. الحمد لله.

قال الطبيب بتساؤل:

- هتبلّغ مدام رنا وأستاذ ياسين امتى؟

نفى آسر حديثه قائلًا:

- لا مش هيعرفوا، ومش عايز أي حد فيهم يعرف أي حاجة عن حالتي، لا قريب ولا بعيد، هما أكيد ملاحظين إن فيه تحسن، حتى ولو كان تحسن بسيط! لكن بخصوص العملية مش عايز حد يعرف.

احترم الطبيب رغبة آسر، ويعلم أنه لا يريد أن يجعل عائلته تقلق عليه ويتحملوا فوق طاقتهم من أجل راحته؛ فالجميع يعرف علاقة آسر بعائلته علاقة مبنية على المحبة والاحترام المتبادل؛ ليهُمّ الطبيب بالحديث قائلًا:

- تحت أمرك يا آسر بيه.

ابتسم آسر أملًا بعد إنهاء تلك المكالمة، ونادى على رنا كي تساعده على تمديد جسده على السرير.

قالت رنا بغضب:

- سيادتك ماتناديش إلا عشان أساعدك تقعد على السرير تنام.. أي حاجة، لكن الدكتور والمحامي بييجوا ليه معرفش، أنا زهقت من العيشة دي يا أخي.

قال آسر باستغراب:

- إيه اللي بتقوليه ده يا رنا؟!

أجابته رنا بصوت مرتفع:

- اللي كان لازم يتقال من زمان.. أنا اتخنقْت، أنا خارجة أنام في الأوضة التانية.

جلست على السرير وقامت بالاتصال هاتفيًا بأحد ما، وما أن سمعت صوت المتحدث حتى ارتسمت البسمة على شفتيها قائلة بدلال:

- حبيبي وقلبي عامل إيه؟ وحشتِني قوي يا بيبي، بقالي كتير ماشُوفتَكْش، انت ماتتصوّرش بُعدَك عني عامل فيّا إيه؟!

قال المتحدث بين ضحكاته:

- لا ده أنا بقى كدَه وِحِش.

قالت رنا بهمس:

- ماتقُولش على حبيبي وِحِش، المهم يا قلبي هتيجي امتَى؟ عايزَه أشوفك.

أجابها بحب:

- بُكرَة إن شاء الله هاجي من السفر.

****

كان يتحدث آسر هاتفيًا مع أخيه قائلًا:

- انت فين يا ياسين؟ كل ده تأخير؟!

أجابه ياسين بصوت متقطع:

- أنا أهو على السلم.

قال آسر بنفاد صبر:

- أوك سلام يا ياسين.

وقام بإنهاء المكالمة.

وفور أن دخل ياسين المنزل تفاجأ مما رآه؛ فهو وجد أخيه وزوجة أخيه ومعهم المحامي.

فقال باستغراب:

- هو فيه حاجة؟!

قال آسر بضيق:

- مش تسلم الأول ولّا تقول السلام عليكم! مفيش حاجة اطّمّن... اتفضل يا أستاذ نادر اشرح لياسين، وبالمرة نشرح لرنا.

قال المحامي بجدية:

- أستاذ آسر كتب كل الأملاك باسمَك، والأوراق بنجهّز فيها من ساعة الحادثة، وكل اللي عليك إنك تمضي هنا.

نظر باستغراب إلى أخيه قائلًا:

- ليه؟!

أجابه بابتسامة:

- انت خلاص اعتمَدْت على نفسك، وأنا واثق في فلوسي وهي معاك أكتر ما هي معايا.

ثم ابتسم إلى أخيه وأوسع ذراعيه بمعنى دعوة صريحة له كي يضمه، وضمّ آسر ياسين بكل حب وكل مشاعر الأخوة.

وكان المحامي سعيدًا لهذه العلاقة، وطلب من ياسين توقيع الأوراق وغادر من المنزل.

بينما رنا كانت مغيبة عن الواقع؛ فالصدمة حليفتها؛ فزوجها قد كتب جميع أملاكه إلى ياسين، وأخذ قرارًا مهمًّا دون استشارتها.

أفاقت من شرودها على صوت آسر وهو يقول:

- ياسين بعد إذنك ساعدني أدخل الأوضة وأمدّد جسمي على السرير.

أومأ رأسه بمعنى الموافقة، وساعده على الجلوس على السرير بشكل مريح.

ثم بدأ آسر الحديث قائلًا:

- ياسين، عايزك تخلّي بالك من الأملاك وتتصرف تصرف الناس

العاقلة مش الناس المتهورة، انت خلاص عندك ٢٩ سنة وأنا عندي ٣٥ سنة، فرق مش كبير، لكن أنا اتحمّلت المسئولية بدري وكنت قَدّها، وبتمنى إنك كمان تكون قَدّ المسئولية والثقة اللي ادِّيتهالك.. ها هتكون قَدّها ولا لا؟

أجابه قائلًا:

- إن شاء الله هكون قَدّها.

ابتسم آسر له وقال:

- كنت نايم فين بقى الفترة دي؟

أجابه بنبرة هادئة قائلًا:

- كنت نايم عند حد من صحابي عشان تكون على راحتك انت ورنا و..

ليقاطعه آسر بغضب:

- انت أخويا وابني، ده بيتك يا ياسين، يلّا ادخل نام يا حبيبي لأن أنا بُكرَة مسافر.

لتنظر له رنا باستغراب قائلة:

- وهتسافر مع مين؟!

تجاهل آسر حديثها، وقال بلامبالاة:

- يلّا تصبحوا على خير.

ومدد جسده على السرير وتصنّع النوم، وذهب ياسين إلى غرفته وهو

سعيد من ثقة أخيه، بينما رنا قد كانت على وشك الاحتراق من شدة غضبها من هذا المدعو بزوجها!

*****

في الصباح الباكر...

استيقظ آسر وهو يشعر بالظمأ الشديد؛ فطلب من رنا أن تحضر له كوب ماء، ولكنها تذمّرت ولم تهتم بطلبه وما يريده، وظلت نائمة، أو بالأصح تصنّعت النوم! شعر آسر في هذه اللحظة وكأنه عبْءٌ على الجميع، وخاصةً رنا؛ فهو يعلم أنها تتصنع النوم، ولكنه حاول تكذيب ما رأته عيناه وما شعر به قلبه؛ فقام بالاتصال هاتفيًا بأحد الحراس وطلب منه أن يأتي إلى المنزل في أقصى سرعة ممكنة! وظل جالسًا مكانه غير قادر على النوم؛ لأنه شعر بشدة العجز.

وبعد مرور بعض الوقت جاء ذلك الحارس الشخصي إلى المنزل وقام بالاتصال هاتفيًا بآسر قائلًا:

- أستاذ آسر أنا قصاد باب البيت، هستنّى حضرتك برّه ولا أدخل؟

أجابه آسر بحزن:

- لا يا علي خلّيك، أنا هلبس هدومي بسرعة وأطلَعْلَك.. سلام.

وقام بالضغط على زر إنهاء المكالمة.

قال آسر بنبرة تملؤها الكسرة:

- رنا!

ثم قام برفع صوته بعض الشيء:

- يا رنا!!!.

أفاقت رنا ونظرت إلى آسر نظرة بألف معنى، عجز أسر عن تحديد ما الذي تود قوله من هذه النظرة!

لتقطع رنا ذلك الصمت قائلة بغضب:

- يا نعم يا أستاذ آسر! فيه حاجة حضرتك؟

ليهُمّ آسر بالقول باستغراب:

- إيه يا رنا الطريقة اللي بتكلميني بيها دي؟! إيه اللي حصل في علاقتنا ويخلّي حياتنا تبقى بالشكل ده يا رنا؟!

لتجيبه رنا قائلة بهدوء:

- ودي مش مشكلتنا دلوقتي.. لخّص وقول عايز إيه عشان عايزَه أتخمد!

لينظر لها بحزن، وقال بثبات عكس ما به:

- قعّدِيني على الكرسي عشان ده ميعاد السفر.

لتهم بالقول قائلة باستحقار:

- وهو فيه حد بيسافر من غير شنط أو فلوس!

لتضحك ضحكة استهزاء قائلة:

- يلّا أنا مالي، خلّيني أخلَص عشان أنام.

وقامت بمساعدته على الجلوس على الكرسي، وأعطته بدلته السوداء في يده قائلة باستحقار:

- يمكن تحتاجها.

وفور ما خرج من غرفة النوم أسرعَت رنا بغلق الباب بغضب خلفه.

نظر آسر إلى باب الغرفة بحزن وكسرة، وخرج من المنزل بمساعدة الكرسي الذي يحتوي على بعض العجلات، ووجد الحارس عليّ واقفًا باحترام منتظره.

ليقول أسر بخجل:

- علي، ممكن تساعدني ألبس البدلة؟

لينظر عليّ له باستغراب، وقال في نفسه:

- الحمد لله يا رب إنك ماحوجتنيش لحد.

ابتسم إلى آسر قائلًا:

- طبعًا يا آسر بيه.

وبعد أن ارتدى آسر ملابسه قام بالنداء على رنا بصوت أشبه بالصراخ كي تسمعه؛ لتخرج من المنزل باستغراب وتساؤل!

نظر لها آسر نظرة حزينة قائلًا:

- رنا، أنا مسافر أمريكا هعمل عملية في رجلي وهقعد هناك أسبوعين.

لتنظر له باستغراب قائلة:

- طب ماقُولتليش ليه؟

ثم قالت بتساؤل:

- تحب آجي معاك؟

نظر لها بخيبة أمل قائلًا:

- لا متشكر.. خلّيكي في البيت وخلّي بالك من نفسك.

ثم نظر إلى الحارس الشخصي قائلًا:

- يلّا بينا.

ركبَا السيارة الخاصة، وطلب آسر من الحارس أن يذهب به إلى مستشفى طبيبه الخاص، وذهب هو والحارس الشخصي إلى المستشفى وظلّا بعض الوقت في انتظار الطبيب في مكتبه.

دخل الطبيب وهو مبتسم قائلًا بحب:

- عشان بس تعرف يا آسر بيه إن أنا وشّي حلو عليك!

ليشير آسر إلى الحارس الشخصي بيديه على باب مكتب الطبيب؛ ليومئ الحارس برأسه ويلبّي طلب آسر.

ليقول الطبيب بأسف:

- آسف والله ما أخدتش بالي إن حد معانا، الفرحة عمَت عيوني.

ليبتسم له قائلًا بحب أخوي:

- ولا يهمك يا دكتور.. إيه اللي مفرّحَك كدَه؟

ليجيبه سريعًا قائلًا:

- الدكتور الأمريكي اللي هيعملّك العملية هييجي بُكرَة، والعملية هتكون كمان يومين بالظبط.. وإن شاء الله ترجع تْقَف على رجلك من تاني.

ليقول آسر برجاء:

- يا رب.. اللهم آمين.

قال الطبيب بتساؤل:

- بس إيه اللي جابك المكتب.. فيه حاجة؟!

ليجيبه بثبات تغلُب عليه نبرة الحزن قائلًا:

- حاسس إني عاجز وإن ماليش أي شخصية؛ فقرّرت أبعد وقلت آجي أقعد هنا لحد ميعاد العملية.

تفهّم الطبيب موقفه قائلًا:

- وده هيكون أفضل بالنسبة للعملية.

ونادَى على الممرضة وطلب منها أن تساعد آسر في الذهاب إلى الغرفة والاهتمام به.

*****

وبعد مرور يومين، أي أن اليوم يوم إجراء العملية الخاصة بآسر رجل الأعمال المشهور المحبوب؛ لذلك اليوم العمل يقام بكل همة ونشاط.

تنحنح الطبيب وقال ببعض القلق:

- آسر بيه!

ليفيق آسر من شروده، ويسترسل الطبيب حديثه قائلًا بتحفيز:

- مالَك يا آسر بيه؟ ماتقلَقْش من حاجة، كل اللي بيحبوك معاك وفي ضهرك، ومن امتَى يا آسر بيه وانت بتستسلم؟! وبعدين ده اختبار من عند ربنا عايز تفشل فيه؟! وانت في آخر الاختبار، كلها كام ساعة وترجع تْقَف على رجلك وتستعيد قوتك من تاني، ولو جينا

نحسبها من جهة تانية هتلاقي إن ده أفضل ليك؛ لأنك عرفت حقيقة الأشخاص اللي معاك واللي بتتعامل معاهم، ولّا انت كنت تحب تفضل مخدوع ونايم على ودانك؟! أكيد الإجابة إنك تعرف الحقيقة، حتى ولو كانت قاسية، وفي النهاية كلنا بنقول الحمد لله وعن اقتناع.

حدث هدوء مريب فور إنهاء الطبيب حديثه لبضعة دقائق؛ فقد كان مريبًا بالنسبة لآسر؛ لأنه كان يسترجع حساباته من جديد، بينما الطبيب كان بانتظار إجابة آسر على حديثه، وكان يتمنى أن يقتنع بحديثه ويستعيد نشاطه وقوته من جديد.

ليقطع آسر ذلك الصمت قائلًا بقوة:

- الحمد لله على كل حال، وبشكرك يا رب؛ لأن فيه فرصة قُدّامي إني أرجع أقَف على رجلي من جديد.

قال الطبيب بسعادة:

- هو ده الكلام.. الممرضة هتيجي دلوقتي تجهزك للعمليات، والمحامي جاي في الطريق، وده بس عشان تعرف إنك غالي علينا.

وأنهى كلماته الأخيرة بابتسامة، وغادر من الغرفة وذهب لاستكمال عمله لحين موعد إجراء العملية.

*****

كانت جالسة على المقعد الخاص بها، وكانت تشاهد أحد الأفلام الأجنبية باهتمام، وفجأة يُصدِر هاتفها المحمول صوتًا معلنًا عن مجيء اتصالٍ هاتفيّ مسجل باسم (my life)، وفور ما قرأت الاسم حتى

ارتسمَت البسمة على وجهها، وقامت بالضغط على زر الإجابة على الاتصال سريعًا، وقالت بكل دلع ورقة:

- حبيبي، وحشتني قوي.

ليجيب المتحدث قائلًا بلهفة:

- وانتي أكتر يا رنا، جايبلِك خبر بمليون جنيه.

لتقول بتساؤل:

- إيه هو؟

أجابها قائلًا:

- أنا فاضي بعد بُكرَة وماواريش أي حاجة، وجوزك مسافر أسبوعين وانتي أكيد فاضية، فتحبي نتقابل فين؟ وامتى؟ وازاي؟ ويا ريت لو يكون بسرعة؛ لأن قلبي بيدوّر على نبضه! اليوم ده هيكون يومك يا برنسِيس حياتي.

لتقفز من على المقعد بسعادة قائلة:

- في البيت، والباقي كله زي ما انت عايز.

ثم قالت بتساؤل:

- ها؟ اتفقنا كدَه؟

ليجيبها سريعًا دون تفكير:

- أكيد موافق يا بيبي، كفاية إني هكون معاكي... هضطر أقفل يا حب دلوقتي.. باي باي.

وقام بإنهاء المكالمة دون الاستماع لردها.

بينما هي ظلت تقفز مكانها من شدة سعادتها، وقامت بتشغيل أغاني صاخبة وظلّت ترقص كتعبير عن سعادتها وفرحتها.

***

في المساء..

كان يجلس كلٌّ من الطبيب الأمريكي والطبيب الخاص بجانب آسر، وعلى وجهيهما ملامح السعادة؛ ليفتح عينيه بتكاسل وبطء، نظر إلى وجه الطبيبَين؛ فوجد ملامح سعادة مبشرة.

(ودار الحوار المترجم الآتي باللغة الأجنبية)

قال الطبيب الأمريكي بسعادة:

- حمدالله على السلامة يا بطل... حاسِس بإيه دلوقتي؟

أجابه آسر بابتسامة قائلًا:

- رجلي منمّلة شوية.

ليردف الطبيب بسعادة:

- كدَه نقدر نطّمن عليك.

نظر إلى الطبيب الخاص بآسر الذي يعتبر صديق طفولته قائلًا:

- ساعدُه يمشي بعد ما ياكل، بس مش كتير، وبكرة يبقى كتير بس على فترات.

ابتسم له مؤيدًا لكلامه وقال:

- نتقابل قريب يا دكتور.

ابتسم الطبيب الأمريكي قائلًا:

- كلها سنة وتاخد المنحة.. ربنا يوفقك يا حبيبي.

وبعد وقت من توديع آسر والطبيب للطبيب الأمريكي قال أسر بتساؤل:

- هروّح امتى؟

أجابه الطبيب بمرح قائلًا:

- لحِقْت تزهق منّنا؟! بس ع العموم بكرة بالليل زي دلوقتي تقدر تمشي.

وقطع حديثهما دخول الممرضة ومعها الأكل الصحي؛ كي يتناول آسر الطعام.

ليقول آسر:

- مش جعان.

قاطعه الطبيب قائلًا:

- لا ما هو احنا مش بنسأل جعان ولا لأ.

ثم تابع حديثه بتحفيز قائلًا:

- كلّ ما تاكل كل ما تتحسّن أكتر، وتخرج بسرعة وتثبِت إنك قوي.

ليبتسم آسر بحب إلى الطبيب، وغسل يديه وبدأ في تناول طعامه الصحي.

******

في مساء اليوم التالي..

كان يسير كلٌّ من الطبيب وبجانبه آسر بسعادة.

قال آسر بسعادة:

- أنا فرحان قوي إني رجعت أقف على رجلي من تاني... الحمد لله يا رب.

ابتسم الطبيب وقال:

- الحمد لله.. تعالَى بقى ندخل المكتب على ما المحامي ييجي زي ما اتفقنا.

أومأ آسر برأسه وذهب معه إلى المكتب.

وبعد مرور بعض الوقت جاء المحامي ومعه طعام مشويّ للعشاء، وقال مبتسمًا:

- ماتتعوّدُوش على الاهتمام ده.. أنا بس قُولت يوم من نفسكوا!

ليردف الطبيب قائلًا بحزن مصطنع:

- الاهتمام مابيطّلبش.

وجلسوا معًا في جو فكاهيّ وسعيد وتناولوا الطعام معًا بسعادة.

قال آسر بابتسامة:

- أنا هخرج امتَى؟

أجابه الطبيب:

- بُكرَة على المغرب.

أومأ آسر برأسه بسعادة، وظلوا طوال الليل يتشاركون الحديث في سعادة وكأنهم أصدقاء منذ زمن.

******

أشرقت الشمس بأشعتها الذهبية، ولكنها كانت تحمل بعض الغموض؛ فقد نظر آسر إلى السماء فشعر وكأن هذه المرة الأولى الذي ينظر إلى السماء!

ذهب الحمام كي يستحم، ثم توضأ وصلّى في خشوع ودعا الله بأن يرزقه ويرشده إلى الصواب.

دخل الطبيب الغرفة كي يتفحصه للمرة الأخيرة قبل ذهابه إلى المنزل قائلًا:

- لا بسم الله ما شاء الله اتحسّنْت كتير قوي.

ابتسم وقال:

- الحمد لله.. هو أنا همشي امتى؟

أجابه الطبيب بحزن مصطنع قائلًا:

- زهقت مني؟!

ثم قال بجدية:

- إن شاء الله ع المغرب.. كلها كام ساعة وتنوّر بيتك من تاني، هستأذن أنا بقى عشان أكمّل شغلي.

ابتسم له آسر وأومأ برأسه.

وبعد مرور بعض الوقت سمع صوت الآذان.. -الله أكبر -الله أكبر- أشهد أن لا إله الا الله..

قام الطبيب بطرق الباب، ودخل عندما أُذن له، وقال مبتسمًا:

- إيه رأيك تصلِّي معايا قبل ما تمشي؟

أجابه آسر قائلًا:

- أكيد، هي دي فيها كلام؟!

وذهبا إلى المسجد وصلّا معًا صلاة جماعة، ودعيَا الله بكل ما يتمنيانه.

وبعد الصلاة ودّع آسرُ الطبيبَ بحب وشكره على ما بذله من جهد معه، وانصرف للذهاب إلى منزله والعودة إلى حياته الطبيعية مرة أخرى.

قام بالاتصال بالحارس الشخصي وطلب منه أن يأتي إلى عنوان المشفى.

جاء الحارس الشخصي وكانت تعابير وجهه توحِي بالدهشة، وبعد ذلك رُسمت ملامح الفرحة والسعادة، عانق آسر بحب قائلًا:

- حمدالله على السلامة يا آسر بيه، حضرتك ماتتصوّرش أنا فرحت ازّاي.

ابتسم له آسر بحب قائلًا بمشاغبة:

- احْنا شكلنا هنفضل واقفين كده كتير ورجلي هتوجعني وتقدم طلب الاستقالة و...

قاطعه الحارس قائلًا بضحك:

- وعلى إيه؟ الطيب أحسن.

قال آسر له:

- اركب انت تاكسي.. هروّح أنا لوحدي، ومش عايز أي حد يعرف حاجة عني، بمعنى ولا كأننا اتقابلنا... اتفقنا؟

أجابه الحارس بصدق قائلًا:

- اتفقنا.

***

وبعد مرور ساعتين...

وقفت السيارة أمام أحد الأبراج التي تُوحِي بعظمتها وعظمة ووقار من يقيم بها.

نظر آسر إلى شباك غرفة نومه، وشعر بشيء غريب في قلبه! تجاهل هذا الشعور وصعد إلى المنزل عبر استخدام المصعد الكهربائي.

كان كلما اقترب إلى المنزل قلبُه يدقّ بسرعة أضعاف المرة السابقة، حتى وصل إلى المنزل، تجاهل ذلك الشعور وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

وقفَ بضعة دقائق يحدّث نفسه دون إصدار صوت قائلًا:

- الأستاذ ياسين ماهانش عليه يطّمّن عليّا! بس المحامي قال إنه شايف شغله في الشركة وشكلُه بيخطّط لحاجة... بس يا ترى بيفكّر في إيه؟ أما بالنسبة لرنا فأنا عمري ماهسامحها؛ لأنها أثبتت إنها ماتستاهلش أي حاجة عملتهالها، وكله بحسابه.. يا رب اهديني للطريق الصحيح يا رب.

فتح الباب بهدوء، وكان كلما اقترب من غرفته يدقّ قلبه بعنف، سمع صوت ضحكات أنثوية متتالية من رنا؛ مما جعلَهُ يبتسم بسخرية على تأكيد شكوكه، وسمع صوتًا ذكوريًّا مألوفًا بالنسبة له يتحدث معها!

اقترب من الباب وأصبح جسده ملتصقًا بالباب ويستمع إليهم..

وجد رنا تقول:

- كدَه خلاص زي ما احنا خطّطنا يا حبيبي، وخططنا تُعتَبر ماشية؛ فخلاص بقى أنا زهِقْت، عايزَه أطّلَق وأتجوّزك انت يا حبيبي.

ليقاطعها سريعًا قائلًا:

- لا يا قلبي تفكيرك غلط، لازم نستنّى شوية؛ لأن أنا عايزُه يكتبلك كل حاجة باسمك، وكله بالدلع، وبعدين يعني أنا مش هقولّك في شغل الدلع والكلام ده، دا انتي أستاذة في كدَه.

وغمز لها بعينيه؛ مما جعلها تصدر ضحكات متتالية.

شعر بالغضب الشديد وبتحطيم كرامته؛ مما جعله يدفع الباب بقدميه بشدة، نظر لهما نظرات احتقار، ولكن فجأة تحوّلَت نظرات الاحتقار إلى نظرات تساؤل بسبب ما رآه..

فهو وجد زوجته تخونه مع أقرب شخص إليه.. مع من ربّاه وعلمه... مع أخيه!

كانا يجلسن بجانب بعضهما البعض، من يراهما معًا يقسم أنهما عاشقان أبرياء وليس خائنَين!

لا يستطيع أن يقف على قدميه وأن يوضّح شعوره، ولكنه عليه

التحمل والصمود.

انتفضَ كلٌّ منهما في مكانه وتناسَوا أمر وقوفه على قدميه!

قال آسر بغضب:

- بقى انتوا تعملوا فيّا كدَه!

نظر إلى ياسين وتابع حديثه قائلًا:

- طب هي وعادي ماتفرقش معايا، عارفها بقالي سنتين، صحيح حبيتها لكن هي طلعت ماتستاهلش، أما انت يا أستاذ ياسين يا ابن أبويا وأمي ماتوقّعْتِش إنك توصل لكدَه، بتخون أخوك ليه؟! عملتلك إيه؟! طلباتك مجابَة ولا كأنك ملِك، فين رجولتك وشهامتك؟ فين غيرتَك على اللي بتحبها؟! طلبت منها بنفسك إنها تظهر قُدّامي وتخليني أقع في حبها وأتجوزها! والأستاذة برضُه ما زالت بتكلمك وبتخون.. المرة الأولى خانتِك بس بطَلَب منك، والمرة التانية خانتني.. ومع مين؟! مع أخويا! اوعُوا تفتكرُوا إنكُوا بالشكل ده تبقوا بتحبوا بعض!

ثم قال بصوتٍ عالٍ:

- فهّمُوني عملتُوا كدَه ليه؟

كانت رنا واقفة مكانها وشرارات الغضب من عينيها موجهة إلى آسر مباشرة، بينما ياسين اندفع قائلًا بغضب:

- وليه سيادتك فاكر إننا مش بنحب بعض؟! ولّا عشان اللي بتحبها رفضتك وماحبّتَكْش يبقى مفيش حد بيحب.. رجولتي وشهامتي

عارفهم كويس، وأي حاجة بتحكيهالها وأي حاجة بتعمِلْها بتبقى مبلّغاني بيها، أنا كنت محافظ عليها وهفضل محافظ عليها؛ لأني بحبها وماقدَرْش أعيش من غيرها.

قال كلماته الأخيرة بكل صدق وحب، وتابع حديثه قائلًا بغضب:

- أما بعمل معاك ده كله ليه؟ عشان بكرهك.. أيوَه بكرهك.. واحد أناني شايف نفسه عليّا وهو مايساوِيش، وأبوك وأمك كمان نفس الحكاية بيعاملوني على أساس إني ابن البطة السوداء وسيادتك تبقى ابن البطة البيضاء، كتبلك كل الأملاك باسمك بالرغم من إن حقي الشرعي والقانون نص الأملاك، فين سيادتك بقى العدل في كدَه؟! تحب أقول كمان ولا أسكُت.

تخلّى آسر عن صمته، وقال بكسرة بها نبرة حادة:

- خلّصت كل الكلام اللي عندك؟ هي دي مبرراتك؟! ولما تيجي تتكلّم على مامتك وباباك الله يرحمهم تتكلّم عنهم باحترام، الأملاك كلها باسمي ليه؟ عشان راجل.. راجل بحق وحقيقي مش اسم على البطاقة وبس، بفكّر بعقلي مش متهور، وحتى لما ادِّيتك نصيبك برضُه كنت بتفكر تأذيني، يعني كلها أسباب مادية.. واحد قليل الأصل مادّي.

ونظر إلى رنا قائلًا:

- وسيادتِك بقى متعصبة وكاتمة في نفسك قوي كدَه ليه؟ استحملتي عيشتِك معايا ليه؟!

ثم قال بصوت مرتفع:

- كل ده ليه؟ عشان الفلوس؟ ملعون أبو الفلوس اللي تعمل في الواحد كدَه.. اللي تخليه يخون شرفه وعيلته.

ثم قال بغضب:

- مالكُوش فلوس عندي؛ لأن أنا هحافظ على اسم بابا اللي اشتغل عليه طول عمره، أنا مش هعملّكوا حاجة ولا أكلّمكوا؛ لأن انتوا ماتستهلوش إن أنا «آسر كبير عائلة المهدي» ينزل مستواه لمستواكوا ويتعامل معاكوا.

وكان على وشك الخروج من الغرفة، ولكنه استدار بجسده سريعًا وهو يضرب على مقدمة رأسه بمعنى أنه تذكر شيئًا ما.

نظر إلى رنا نظرة أرعبتها قائلًا بهدوء مريب:

- انتي طالق... طالق بالتلاتة.

ثم نظر إلى ياسين المدعو بشقيقه قائلًا بانتصار:

- الأوراق اللي انت فرحان بيها.. أوراق الملكية تبلّها وتشرب ميتها؛ لأنها أوراق مزورة كان الهدف منها إن أنا أخليك تعتمد على نفسك واشوفك هتتصرّف ازّاي، ساعة واحدة بس وهاجي.. عايز لما أرجع مالاقيش حد هنا.. في بيتي وفي ممتلكاتي.

وغادر من الغرفة بانتصار وكبرياء، ولكن من داخله كان يعتصر ألمًا على فقدان أخيه.

تمت بحمد الله.

الفصل الخامس

أميرة الظلام

١- بحر........................ منة محمد

٢- أميرة الظلام................ دينا هاشم

٣- أحببتك أكثر من قطتي..... الشيماء الصلاحي

١- بحر

منة محمد

ها هو اليوم الثالث لعزائي في أبي ينتهي، سيرحل الجميع ويتركوني وحدي في هذا المنزل، لا هو ليس منزلًا! فمثله مثل الأُحجية التي كان يلاعبني بها أبي لأجمع شكل سندريلا؛ فكل حائط وركن به هو جزء من ذكرياتي تتجمع على شكل منزل، أصبحت أكرهه وأكره رائحته التي تذكرني بأبي، هو ليس أبي! هو صديقي وحبيبي وأخي، بل وأمي أيضًا!

– ريهام، فيه شخص أخير عايز يعزّيكي.

– مين؟

– ادخل يا أيمن.. هسيبكم عشان تاخدُوا راحتكم.

فتحتُ فمي وارتفعَ حاجبَاي من كثرة الاندهاش؛ فلم أكن أتوقع مجيئه.

– إيه جابك؟ ماكفّكْش آخر علقَة اديتهالي؟ ولا جاي تشمت فيّا عشان بابا مات؟!

– بحبك وعمر ما كان ده وقت للشماتة، أنا مش وحش صديقتي.. هتغير.

- هتتغير! دي المرة المليون تقولها، صح؟ ده أنا..

لم أستطع أن أكمل الحديث وأكتم دموعي أكثر من هذا؛ فانهرْتُ في البكاء، لم يستطع أيمن تحمّل منظري؛ فضمني إلى صدره، كانت المرة الأولى التي أشعر فيها أن بقلبه رحمة، في بعض الأحيان كنت أشكّ أن لديه القليل منها، وقد تأكدت، لم تمر ثواني حتى تركَنِي، ويبدو أنه ارتبك بسبب ما فعل أمام دموعي.

- طب همشي يا ريهام وهبقَى أكلّمك.

- هستناك بُكرَة وأنا راحة النيابة، عايزَه راجل معايا.

ابتسم أيمن وذهب ودخلتُ غرفتي الكئيبة، استلقيت على سريري وظلَلتُ أنظر إلى درّاجتي.. تلك الدراجة التي حلمتُ بيها كثيرًا، وما أن علم أبي حتى أتى لي بها، وظل يعلّمني ويمسك يدي حتى أتعلم، أتذكر في يومٍ سقطتُ من عليها، وما أن علم أبي من يونس جارنا أنني أبكي في الشارع حتى هرول مسرعًا، وضمني إلى صدره وضمّد جراحي بسببها، تذكرتُ الكثير من الذكريات التي جمعَتْني أنا وأبي والدراجة؛ حتى أنهكني التفكير ونمتُ بغير إرادتي.

****

- آخر مرة شوفتي والدِك امتى؟

تحدثتُ وأنا أبكي:

- ماشوفتُوش لما طلع من البحر، عمّي اللي شافه.

- يا فندم قبل ما يتقتل.

- يوم الخميس نزل ومارجِعْش، لما غاب كنت شاكّة إنه غاب لأن جاله غيبوبة سكر.

خرجتُ من المحكمة لأجده بانتظاري، سار بجواري متأفّفًا قبل أن يقول:

- أخيرًا خرجنا من المحكمة! جوّه النيابة والتحقيق ده صعب جدًا، الله يكون في عونك يا بنتي.
- بنتي! أظن إنك عمرَك ما حسّيت إني بنتك، انت ناسي إني أكبر منك بأربع سنين، وثانيًا عمرك ما هتاخد مكان مش مكانك، أما ثالثًا انت معوّدني على كده.

فرك أيمن أصابع يديه بشكل عشوائي، قبل أن يتحدث:

- فاكرَه عرفنا بعض ازّاي؟
- آه فاكرَه.. كنت الدكتورة اللي بتعالجك بعد موت صاحبك وانت كنت فاقد النطق.. هو كان صاحبك بس؟

تساقطَت حبات العرق من جبينه فجأة، وازدادت حركة أصابعه.

- كان أكتر من أخويا.
- وحصلك كل ده بسبب كدَه بس؟!
- انتِي هتعيشي ازّاي بعد ما باباكي اتوفّى؟
- نسيت أقولك.. اليوم اللي أقنعتني أقدم استقالتي، أو بمعنى أصح أجبرتني، بابا أقنعني إني أقدّم أجازة بدون مرتب، ولما نتجوّز أقدّم استقالتي زى ما تحب، ربنا يرحمه كان حاسس.

- طب يلّا نروّح.
- لا أنا هرُوح البحر شوية.
- آجي معاكي؟
- لا شكرًا.. عايزَه أكون لوحدي.

أخيرًا تقابلنا! اشتقتُ إليك أكثر من روحي، يا من تعرف أسراري وتحفظني أكثر من نفسي، أشعر معكَ بنقاء نفسي، لكن اليوم مشاعري مضطربة تجاهك؛ فأنت تذكّرني بكل شيء أيضًا مثل المنزل القبيح الذي أعيش فيه، لم أعد أدري أين أذهب من ذكرياتي يا ربي؟! لكن بكل الأحوال اخترتُكَ أنت رغم كل شيء؛ فأنت الصديق الوفي.. مياهك الدافئة التي طالما ضمتني وطهّرَت أوجاعي هي نفسها التي ضمَّت أبي ستة أيام بداخلها، أتذكر عندما حصلتُ على الثانوية العامة كنتَ أول من يعرف خبر نجاحي، كذلك كل ما يحدث فيها، أتذكّر عندما كنتُ حزينة على وفاة والداتي وأتَى بي أبي إليك، كنتُ في التاسعة من عمري، والآن أنا في التاسعة والعشرين، مرّ عشرون عامًا منذ أن تسبّب أبي في صداقتنا، أتذكر كلامه أنك أوفَى صديق، لم يكن يعلم أنه سيختفي بداخلك كل هذه المدة وتغدر به، أتذكّر عندما وقَعتُ أيمن.. وعند شجاري مع فاطمة:

- انتِي هبلة يا ريهام؟! هتتجوّزي واحد أصغر منك بأربع سنين؟!
- عادي بتحصل.
- يا بنتي ده غيرك خالص، ولا تعليمك ولا شكلك ولا طبعك ولا حتى ثقافتك، انتي رفضتي كتير جدًا، اشمعنَى ده؟! فين مبادئك يا ريهام؟

- كله هيعوّضه الحب.

جميعنا نعشق طعام المطاعم، رغم أن الأكل في المنزل صحي عنه وأفضل منه، ورغم كل ما نسمعه عن الطعام الفاسد وتواجد الحشرات في المطاعم، بل أحيانًا نرى بأعيننا، إلا أننا نستمر في حبه رغم فساده وما يتسبب به من مرض وألم، هكذا الحب يا صديقتي! كثير منا يقع في الحب الفاسد ويعِي ذلك جدًا، لكنه يستمر حتى إن كانت النتيجة مرضًا وألمًا! لا مبرّر للحب يا صديقتي؛ فهو مسكر العقل الوحيد.

- يا أيمن اهدَى يا أيمن.. ماتسِيبْنِيش في الشارع وتمشِي كده.
- إيه الفستان المقرف اللي لابساه ده؟! مش كفاية إن أوحش بنت في عيلتنا أحلى منك، لا وتعرِّيني بفستناك كمان!
- يا أيمن الفستان ده غالي جدًا وطالع موضة، انت بس اللي بعيد عن لِبْس البنات شويّة.
- انتِي كمان هتعملي نفسك بتفهمي أكتر مني؟! مش عارف مين ماعندوش ضمير إدّاكي شهادة! والله لأعلّمك الأدب.

وكانت أول صفعة.

***

- فيه إيه يا بنتي بتعيّطي ليه؟
- ضربني تاني يا فاطمة.

أصاب فاطمة الذهول كأن صاعقه وقعَت عليها..

- ضربك تاني! ومستنيّة المرادي إيه؟! أكيد مش هتكملي.

- قلبي متعلق بيه، مش عارفَه أعمل إيه؟!

كأنه مسمار اخترق قلبي يؤلمني جدًا، سيقتلني في أي وقت، لا أستطيع نزعه؛ فلو نزعتُه لمتُّ أسرع.

- يا بنتي فين مبادئك؟! محدش بيموت من الحب، الموت بجد إنك تدفني نفسك بالحيا، نفسك هي مبادئك.. وكل ده ضاع، طب بصي في المراية.. شايفَه.. دي ريهام اللي كان ليها مبادئ معينة اللي كانت واثقة في نفسها؟! ده حتى ثقتك في نفسك ضاعت.

- بحبه يا فاطمة

******

- على فكرة انتي دكتورة فاشلة جدًا.

امتلأت عيني دمعًا، قبل أن أجيب:

- ليه بتقول كده يا أيمن؟ أنا عالجتك على فكرة، ودي المرة العاشرة تقولها.

- حضرتك مابتعرفِيش تمسكي حقنة.

- فيه غيرى يقدر يعمل ده، ثم إن دي مش مهنتي.

- هو انتي بتتناقشِي معايا كده ليه؟!

- لأن مش عاجبَك حاجة.. كل حاجة فيّا.. لبسي.. شكلي، حتى شغلي وأدائي فيه.

- بس بحبِّك ومش من حقك تتناقشِي معايا كده، انتي فيه حد ملَا دماغك في الشغل ولا ضحكتِي على مريض زيّي؟

- ضحِكت! هي وصلت لكده؟ بتشك فيّا!
- قُدّامِك حل من اتنين.. يا أنا يا شغلك، هسيبك يومين تفكّري.

كان أيمن ذهب لعالم آخر وقتها، وظلَلتُ تقريبا دقيقة أناديه..

- أيمن، ليه بتشكّ فيّا؟ يا أيمن رُد.

انتفض أيمن من شروده..

- أسامة.. أسامة هيموت، بيقولّي ماتسيبنِيش.
- اهدى يا أيمن، هو في مكان أحسن.
- أنا قولت اللي عندي.. سلام.

***

- بتعيطي ليه المرادي؟
- عايزني أسيب الشغل وبيشكّ فيّا.
- وهتعملي إيه؟! أنا مش هنصحك.. اتكلّمت كتير.
- هقدّم أجازة بدون مرتب، ولما نتجوز هسيبُه.
- ونفترض مات أو طلّقك وده متوقّع، هتصرِفي منين؟
- مش عارفَه يا فاطمة، ليه تفكّري في الوحش؟ أنا كل اللي أعرفه مش هقدر أبعد.

كانت قصّتي معك كأمواج البحر هذا؛ يجذبني إلى داخله ولا أقدر على المقاومة، كنت أغرق رغمًا عني، أعلم أني نزلتُ بحرَكَ بإرادتي، لكن غرقتُ بدونها.

أفقتُ من شرودي على صوت فاطمة، ويبدو أنني قد غرقتُ في بحر آخر يُدعَى بحر الذكريات.

- ريهام.. ريهام يا حبيبتي، كنت عارفَه إني هشوفك هنا، قلقت عليكِي، برن طول اليوم مابترُدِّيش؛ فاتصلت بأيمن قالّي على البحر، وطبعًا أنا حافظَه مكانك.
- عايزّه أروّح.
- ليه؟ كنت عايزَه نتكلّم شوية.
- معلش يا فاطمة وقت تاني.

ظللتُ طول الطريق أبكي وفاطمة تحاول تهدئتي لكن لا جدوى، لقد دُمّرَت حياتي، وما أن دخلتُ المنزل حتى وجدت رجلًا من رجال الشرطة يتحدث إليّ بصرامة:

- حضرتِك مطلوب القبض عليكِي بتهمة قتل والدِك!
- أنا؟!

نظرتُ إلى عم يونس وهو يبكِي..

- سامحيني يا بنتي، كان لازم أقول كل اللي شوفتُه، آخر مرة شوفته كان معاكي بتركّبِيه العربية، وكان شكله كأنه متخدّر.

لم تستطع فاطمة التمالُك؛ فصرخَت قائلة:

- سيبوها.. استحالة تكون هي.

انسحبتُ مع رجال الشرطة بهدوء وركبتُ السيارة، أهذه نهايتي؟!

لقد تدمّرَت حياتي كلها بسبب إنسان لا يستحق كلمة إنسان، حتى كانت حياتي تملأها الزهور، إلّا أن دخلها وملأها بالشوك.. شوك أسود يلتفّ حول عنقي وستبدّله الحياة بحبل يدعني أترك الحياة إلى الأبد، أحبك يا أبي.. أحبك الكثير، وكانت هذه نهايتك ونهايتي، لم أحب أحدًا أكثر منك، وأحبك الآن أكثر من أي وقت.

****

محكمة...

- سيدي القاضي، هذه الفتاة يشهد لها الجميع بحسن الخلق ولِين القلب؛ فلا تقدر حتى أن ترى مريضًا يأخذ حقنة، كما أنها على علاقة ممتازة وأكثر بوالدها، أما عن ما شاهده جارها الأستاذ يونس أحمد فهي نصف الزاوية؛ لأن في هذا اليوم قد تعرّض والد دكتورة ريهام لغيبوبة سكر؛ فكانت تسانده لتذهب إلى الطبيب، لكنه استعاد عافيته في الطريق، وهذه شهادة تؤكد أنه مريض سكري.

نظر القاضي إلى ريهام قائلًا:

- كل ما قُلتُه ليس مهمًا؛ فلا يوجد جريمة قتل حدثَت من الأساس، إن الجثة التي رآها عمك ليست لوالدِكِ؛ فلقد وجدنا والدك حيّ البارحة، ادخل يا سيد إبراهيم القاعة.

نظر الجميع عدا ريهام.

- كنت أخشى أن أظلمكِ لِمَا سمعته عنكِ وعن بكائكِ طوال الليل وعن التحقيق المقدم لي.. والدُكِ توفِّيَ.. أنتِ من قتلتيه؛ فبهذه الحيلة تؤكد؛ لأن جميع الحاضرين قد استداروا عدا أنتِ، ومن

المفترض أنكِ أكثر شوقًا لوالدك، حكمَت المحكمة حضوريًا بتحويل الأوراق إلى فضيلة المفتي.. رفعت الجلسة.

ودقت مطرقة القاضي نهايتي.

******

لقد أخذتَ حقك يا أبي؛ فجدران الزنزانة تحاوطني من كل اتجاه، تخنقني.. لا أقدر حتى على التنفس، وملابس حمراء تشبه دمك تذكرني بما فعلت، وفوق كل هذا لم يزُرني أحد، أصبحت وحيدة من دونك، أحتاجُكَ.. أحتاج أبي القديم، حتى فاطمة لا تريد أن تسمعني، رغم أن جميعهم لو كانوا مكاني لفعلوا مثلما فعلت وأكثر، لقد رأيتُكَ مع حبيبي في غرفة واحدة على سرير واحد عاريَيْن كما خلقكما الله! لكن الله خلقنا بالإنسانية، لكني لم أرها في عينيكما حينها، لو كان أحدكما مع فتاة لغِرْتُ، ولو كان مع رجل لاستحقرته، لكن ما شعرت به تجاهكما أكبر بكثير، توقعتُ أن تأتي الخيانة من أي شخص إلا أنت يا أبي، وصدقني لم أكن أنتوي الشر، لكن ما أن بدأتَ حديثك عن أنه لا يناسبني لم أمتلك نفسي وقتلتك، وساعدني صديقك البحر في تخبئتك، خُنتَني فخانك، هو أعلم أني أخطأت، لكن هو ليس خطأي، بل خطأ قلبي الذي تنازل عن جميع مبادئي وأدخَلَ الشيطان حياتنا؛ فحوّلها إلى جحيم وحوّلَك إلى ابن له، سامحني يا أبي.

أفقتُ من شرودي على صوت يخبرني بزيارة من أجلي، ترجّلتُ من الزنزانة إلى غرفة الزيارة؛ فوجدته جالسًا، جلستُ أمامه وبدأت الحديث بسخرية قائلة:

– عجبَك الأحمر؟ لون جميل.. أنا عارفَه إنك بتحبه.

قال أيمن والدموع تملأ عينيه:

- ليه قتلتيه؟

- انت مش محتاج تسأل، أنا اللي محتاجَه أسأل ليه وصلتني ووصلته لكده؟! قدمتلك كل خير.

- انتي شوفتينا!

ساد الصمت دقيقة، قبل أن يتحدث أيمن بصوت متقطع:

- سامحيني.

نظرتُ إلى أسفل بانكسار، قبل أن أقول:

- ليّا طلب واحد قبل ما أموت.. توعدني تنفّذه.

- أوعدِك.. بس تسامحيني.

- تنفّذه الأول.

هز ايمن رأسه بإيجاب.

- تجاوبني على سؤالي.. ليه عملت كده؟

- أنا هحكيلك من الأول.. أنا كنت بحب ريم جدًا زي ما حكِيتلِك أول ما اتعرّفنا، سابتني عشان كان قُدّامي وقت طويل على الجواز، لم ترحم دموعي التي كانت تنهمر ولا مشاعري التي كانت معلّقة بها كشجرة نمت جذورها في قلبي لا أقوى على نزعها، بعدها اقترب مني أسامة وأقنعني أنّنا نستطيع الاستغناء عن جميع الفتيات ببعضنا البعض؛ لأن هذا ما حدث معه عندما تخلَّت عنه حبيبته أيضًا،

وكانت نفسيتي هشة فأحسست به.. أقمنا شهرًا في أحد الفنادق، وفي يوم لا يعرف النور قطّ رأيتُ به كثيرًا من الكوابيس.. يوجد بها ريم ترتدي خاتمًا للخطبة، وما أن استيقظتُ حتى علمتُ أنها حقيقة، رويتُ ما حدث لأسامة فأحسّ بي، وقال إنه سيعوضني بليلة ساخنة اليوم، لكن في البداية نحاول الاستماع بالمياه، وفجأة سمعتُ صوته يصرخ وبيقول ماتسِيبْنِيش أموت.. عايز فرصة أتوب، ماقدِرْتِش أنقذه ومات قُدّامي، حسّيت ذنب كل اللي عمله واقع عليكوا انتوا، فقدت النطق وظهرتي في حياتي وعالجتِيني، وبدل ما أشكرك فكّرت ازّاي آخد حق صاحبي منكم، وكنتي أول ضحية، بس للأسف لقيت نفس الجذر بيتغرس في قلبي، بدأت أشرب خمرة عشان أنساكي، وحاولت أبعد.. آخر مرة بعدتي قُولت خلاص جَات منها والجذر هيطلع، بس لَقِتْني بفكّر فيكي دايمًا وبزوّد في الشرب عشان أنساكِي، وفي يوم شربت لحد ما لقيت نفسي بدون إحساس بروح بيتك، وطلعت لوالدك.. فتحلي الباب بابتسامته كالعادة، وقالّي خلاص يا ابني الموضوع انتهى، قولتله حِسّ بيا.. بحبها، رد قالّي: كمان جايلي شارب.. اطلع برّه، ولسّه بيقفل الباب زقيته وحبيت أحسّسه نفس إحساسي وإحساس أسامة لما يبقَى مش قادر يستغنى عن عادة متأكد إنها حرام، وصدقيني ماحصَلْش بينا حاجة؛ لأني فوقت واتأسفتله ونزلت، بس أنا دلوقتي خفِّيت وعرِفْت إن مش كل البنات وحشة.

ضحكت ريهام ضحكة هيستيرية تصحبها بكاء.

– خفيت؟! يعني بابا مظلوم! يعني أنا قتلت أحلى حاجة في حياتي

عشان شيطان، وعايزني أسامحك؟! ليك عين تطلبها!

نظر إليها برجاء وحاول أن يمسك يدها؛ فسحبتها بسرعة، وما أن لمحت عينها طفاية السجائر على المكتب حتى أخذتها وأنزلتها على رأسه وقتلته..

لتعلو ضحكاتها الهيستيرية.

- الشيطان سابني.. هو السبب إني أقتله، والله هو خلاني أتنازل لحد ما اتنازلت عن كل مبادئي، صداع.. صداع رهيب، أحمد قوم هنروّح يلّا، بابا أنا عايزَه لعبة.. انتَ فين يا بابا؟!

لقد حكم القاضي العادل..

تنازلتُ حتى تم التنازل عني.

تمت بحمد الله.

٢ـ أميرة الظلام

ديـنـا هـاشم

أفكار متلاحقة متلاطِمَة كسفينة عالقة بين أمواج البحر العاتية، لا أعرف من أين أتت ولا من أي زمن؟! فهي غريبة نوعًا ما، تقتحم عالمي بقوة ضاربة، هل من منجٍّ هل من مخلّص؟! لماذا في ذلك التوقيت؟! هل لفراغ العقل وهدوء الأجواء أتثاءَب؟! أريد النوم، ولكنه يعاندني ويجري وأجري وراءه كطفل عنيد، ولكن ربما أستمتع بتلك المطاردة، سوف أعكسها لصالحي وأجعله يركض هو خلفي يرجوني باكيًا وأنا آبية، إذَن تعالَ معي الآن في مغامرة مجنونة بين ثنايا أحلامي، لا تخضع إلا لقوانيني أنا.. هووووووش.. فمن انتصر الآن؟!

*****

- أميرة.. يا أميرة، انتي فين يا بنتي؟
- أنا هنا يا بابا بأكّل العصافير.
- طب تعالِي عايزِك.
- يووووه! هو الواحد ما يعرف يعمل حاجة بيحبّها في البيت ده؟! نعم يا سيدي عايز إيه؟

- يا بنتي هاتي الشبشب بتاعي من تحت السرير مش عارف أوطّي.
- حاضر يا سيدي، بس لو ماكُنتش بحبك.. اتفضل.

وألبسَت أميرة الحذاء لوالدها، وثم...

- يلّا.. واحد.. اتنين.. تلاتة.. هوبا، أيوه كده! يلّا بقى بينا على الحمام نغسل وشّنا عشان نبقى قمرات.

وفجأة تعثرت قدمُ والدها ووقع على أرض الحمام، وقد أصيب في رأسه؛ فصاحت مفزوعة.

- بابا.. يا بابا ردّ عليّا أرجوك، طب ساعدني عشان أرفعك.. يا ربي! مش قادرة، إيه قلّة الحيلة دي؟!

صرخت باكية:

- انجدني يا عم أحمد.. انجدني.

سمعتها أختها الصغيرة وفاء وأتَت وهي حاملة عروسها بين يديها، وعند رؤيتها لأبيها الضرير مصابًا وتسيل منه الدماء وقعت العروس منها على الأرض؛ فبكت وفاء في صمت، وفي هذه الأثناء ذهبَت أميرة إلى الشرفة تصرخ وتستغيث باكية:

- عم أحمد... عم أحمد انت فين؟
- أنا طالعلِك يا بنتي.. إيه فيه إيه؟ إيه اللي جرَى؟
- بابا مش عارفَه جرالُه إيه!
- لا حول ولا قوة إلا الله.

- اتّصل بالإسعاف.. اعمل أي حاجة، أنا مش عارفَه أفكر.. هموت من الرعب.

حضرت الإسعاف وتجمّع الناس حول والدها، الجيران جميعهم يتكلمون ويسألون بعضهم البعض ماذا حدث؟! وكل من يسير في الحارة يتوقّف ليسأل.

وتستوقفها جارتها أم محمد:

- إيه يا بنتي؟ فيه إيه؟

- بابا وقع ومش عارفَه جرالُه إيه.. استر يا رب.

هرولَت وفاء حافية القدمين تهرول خلف أختها على السلم، وتشد فستانها وتبكي بشدة، وتشدها من ثيابها:

- سايباني ورايحة فين؟ أنا خايفة.

فتسحبها أميرة من يدها، وتنادي أم محمد:

- خدي بالك من وفاء، خلّيها أمانة عندك لغاية ما أرجع.. أنا رايحَة مع بابا.

هرولت أميرة مسرعة على السلم والدموع تنهمر من عينيها، تكاد لا ترى من كثرة البكاء، وترتدي حجابها أثناء نزولها في عجالة، وتركب مع أبيها سيارة الإسعاف المتوجهة إلى المشفى العام محاولًا إيقافها صديق والدها الأسطى «حسن» مِزيّن حارتهم، ولكن لا يستطيع إيقافها.

- يا أميرة يا أميرة.. استنّي أركب معاكي.

- مفيش وقت يا عم حسن، لازم ألحقه.. حصّلنا انت.

فيضرب الأسطى حسن كفًا على كف: إيه اللي بيجرَى ده ياخونّا؟!

بقى صديق عمري يحصلُّه كده؟! لازم أجيب فلوس وأحصّل البت الغلبانة دي، واقفة لوحدها مفيش راجل معاها.

ويهرول الأسطى حسن داخل المحل، ويفتح درج النقود ويأخد ما وجده من نقود ويذهب إلى المشفى؛ لتفقّد الحاج «علي» أبو أميرة، وحين يصل يسأل على رقم الغرفة، ويركب الأسانسير متجهًا إليها، وحين وصل وجد أميرة جالسة على الأرض القرفصاء واضعة رأسها بين قدميها وتبكي بشدة؛ فجلس بجانبها ويضع يده على كتفها ويقول:

- إيه بس يا بنتي فيه إيه؟! وحّدي الله.. طول عمري بشوفك واقفة وصابرة من يوم ما أبوكي اتعمَى وهو بيحاول ينقِذ أمك من الحريقة.

فترفع رأسها وتنظر له باكية وتقول:

- المرّادي هبقَى لوحدي.. هفقده خالص، الدكاترة قالولي إنه عايز عملية في المخ؛ لأن من الواقعة جمجمته اتكسَرِت وحصلُّه تجمع دموي هيأثر على حركته، الله أعلم ممكن يعمل إيه تاني، ومحتاج فلوس كتير قوي أكتر من طاقتي، أعمل إيه يا أسطى حسن، انت عارف البير وغطاه، والمعاش عمرُه ما هيكفّي كل ده، وحتى لو بِعت دهب ماما الله يرحمها مش هيكفّي، وهو سندي في الدنيا بعد ماما الله يرحمها.

- هنعمل إيه يا بنتي؟ مفيش في إيدينا حاجة نقدر نعملها.. ادعيله.

- أنا لازم أعمل أي حاجة.. مش هينفع يروح مني.. مش هينفع.

استمرت أميرة في البكاء وتتنهنه وهي واضعة يدها على خدّها، ويحاول طمأنتها الأسطى حسن.

****

تذكرت أميرة كل هذا وهي حاملة كأسَ خمرٍ وتضع سيجارة في فمها شاردة الذهن، يقاطعها شرف وهو يقول:

- إيه؟! هو النهاردة نكد يا زُوزّ ولا إيه؟! قومي اتلحلحي اقعدي مع الزباين فرقعيلك ازَازْتِين ولّا قومي ارقصي وولعِيلْنا الدنيا شويّة.
- جرى إيه يا شرف؟ انتَ عارف إني أخري الرقص وبس، ولا هنعيده تاني؟
- لا يا أختي.. خلي الشرف ينفعك، بإيديكي ممكن تاكلي الشهد يا بت، بس انتي غاوية فقر.
- مالَكْش فيه.. أنا مبسوطَة كده.

ثم تنهي كأسها وتقوم وهي تترنح من السكر، وتعتلي المسرح وترقص كأنها طير مذبوح، وفي هذه الأثناء كانت وفاء في منزلها تذاكر كعادتها، وتنتظر عودة أختها أميرة تتمايل من شدّة السكر مثل كل يوم، وتتشاجر معها وهي لا تسمعها، وتنام منهكة، ثم تذهب وفاء إلى غرفتها وتبكي مثل كل ليلة وتبلّل وسادتها وتحتضن عروستها بالرغم من بلوغها، إلا أنها يصعب عليها ما وصل له حال أختها، حتى يغلبها النعاس وتحلم حلمها المتكرر كل ليلة.

- بابا الحَقْنا... يا بابا.. انتي فين يا وفاء؟ الحَقْنا يا أبو أميرة البيت بيولع.. يا لهوي! الحقونا الحقونا.. ولادي، ولادي فين؟!

وترى وفاء نفسها وهي تصرخ من الخوف وتضع يدها فوق أذنيها، وعروستها بين قدميها يختبئان تحت السرير من النيران، والأب يبحث عنها في كل مكان، والأم تصرخ في المطبخ؛ فهي حُجِزَت بين النيران ولا

تستطيع الخروج، ولا يستطيع الحاج علِي الوصول إليها، تتعالى أصوات الاستغاثة والعويل من المنزل، وجد أبو أميرة وفاء تحت السرير وأخرجَهَا، وذهب لإنقاذ زوجته ولكن لم يستطع إخراجها والْتهَمَتْها النيران، وهو اختنَقَ من الدخان ووقع مغشيًّا عليه وقد طالته بعض النيران، وتستمر وفاء في الصراخ وهي تشاهد ما يحدث، وعلى الجانب الآخر خارج الشقة كانت أميرة عند جارتها أم محمد أرسلتها أمها لها بطبقِ حلوى، واشتمّت الدخان ورأته يخرج من تحت الباب، وسمعت صراخ أمها وجرَت تطرق الباب في ذعر.

– بابا يا بابا.. وفاء.. ماما افتحوا الباب.

واستمرت أميرة وجارتها أم محمد في الصراخ وطلب النجدة؛ فتجمّع أهل الحارة بالماء والرمال محاولين إخماد الحريق، وتعالَى الصراخ والطرق على الباب، إلى أن جاء الأسطى حسن:

– اوعوا كده وسّعُولي سكة خلّوني أكسر الباب، احنا هنفضل واقفِين نتفرّج والبيت بيولع!

واستطاع الأسطى حسن كسرَ الباب بعتلَةٍ كبيرة؛ فوجد وفاء على بُعْد خطوات من الباب وتصرخ وتشير على والدها؛ فيحملها الأسطى حسن ويلقيها لأم محمد؛ فتحتضنها بقوة، وتقف أميرة متلهّفة لخروج أمها وأبِيها، ويذهب الأسطى حسن مسرعًا لنجدة صديق عمره، ويحمله بين يديه فيقول له والد أميرة:

– مراتي لسّه جوّه.. أنا مش هسيبها تتحرق، الْحَقها يا حسن.

وينادي عليها الحاج علِي بصوت عالٍ:

– يا أم أميرة... يا أم أميرة.

ويغشَى عليه ثانية؛ فتراه أميرة فتصرخ ويزداد بكاؤها، وتنهمر الدموع أكثر.

– بابا.. يا بابا... انت كويس؟! ردّ عليّا ماما فين؟ يا ماما يا ماما.

وتحاول أميرة الدخول إلى المنزل لتبحث عن والدتها، ويمنعها «شرف» ابن الأسطى حسن وهو يقول:

– تعالِي هنا يا مجنونة رايحة فين؟! هتضيّعي نفسك.

– سيبني.. بقولّك سيبني، ماما لسّه جوّه.

في هذه الأثناء كانت قد أتَت المطافي وبدأَت في إخماد الحريق، وكان الأسطى حسن يحاول إيصال صديقه إلى المشفى، وكانت وفاء خائفة صامتة في حضن الجارة، وأميرة جالسة على ركبتيها في الأرض تبكي بشدة، وتنادي على أمها على أمل ضعيف بأن تكون ما زالت على قيد الحياة، وتستيقظ وفاء من حلمها مثل كل ليلة مفزوعة باكية ممسِكَة بعروستها كما كانت يومها؛ فهي تتذكّر كل ليلة ما حدث في أحلامها، وتتجه لها أميرة بعدما تكون قد استعادت جزءًا من وعيها واستفاقت من السُّكْر، وتختضنها بقوة بين ذراعيها وتقول:

– اهدي.. اهدي، برضُه حلم كل يوم؟ لا بقى ده بقَى حاجة ماينفعش يتسِكِت عليها، لازم نروح للشيخ منصور يرقيكي ولا يعملّك زار.

فتختبئ وفاء بين ذراعي أميرة، وتضع رأسها على قدمها وأميرة تضع أصابعها بين خصلات شعرها؛ فتنظر لها وفاء بعد أن هدأت:

- نفسي أعرف بتروحي كل يوم فين وترجعي مش قادرَة تقفي، وبتجيبي الفلوس دي كلها منين؟!

نظرت لها أميرة وانفعَلَت وهي تصيح:

- وانتِي مالِك؟ انتِي هتحاسبيني بَرُوح فين وآجي منين! أنا أختك الكبيرة واللي انتي عايزاه بيجِيلِك.

فتنهدّت وفاء وهي تنظر لأختها في حب:

- أنا خايفَة عليكي، أنا مالِيش غيرك.

وارتمَت وفاء في أحضان أختها، بينما أغمضت الأخيرة عينيها وهي تقول:

- ماتخافيش عليّا، أنا بعمل كل ده عشانِك انتي عارفَة إن أنا بشتغل ممرضة بالليل وباجى تعبانة، ماتقلقيش بقَى، ويلّا ورّيني الضحكة الحلوة، وتعالِي أفطّرِك عشان تروحِي جامعتِك عشَان تبْقِي دكتورة وأفرح بيكي.

غادرت وفاء وهي تلوّح لأختها من الشارع، وأختها تنظر عليها من النافذة وهي باسمة، وتقول لها:

- ماتتأخريش يا وفاء عشان ما أقلَقْش عليكي.

- حاضر هرجع بسرعة، سلام.

تختفي الضحكة من على وجه أميرة وتذهب لترتمي على السرير، وتنام هاربة من التفكير في الواقع الأليم، ولتستعد للرقص ليلًا في الكباريه.

أتى الليل وأميرة تجهّز نفسها للخروج، وتأتي أختها، وتدخل عليها

الغرفة وتحادثها:

- برضُه هتسيبيني لوحدي زي كل يوم؟ وأنا بخاف وبفضل حاضنة عروستي طول الليل من الخوف وقاعدة أستنّاكي.
- أعمل إيه بس يا وفاء؟! الشغل عايز كده.

وتداعب خَدّ أختها بقَرصَةٍ خفيفة..

- عشان أجيبلِك الطقم الحلو اللي قولتيلي عليه عشَان تتعَايْقي بيه كدَه قدام صحابك في الجامعة، يلّا سلام بقى يا وفاء عشان اتأخّرت.
- ماشي يا ستي، بس حاولي ماتجِيش تعبانَة زي كل يوم.

وذهبت أميرة لتلتقي بشرف على أول الحارة؛ ليرحب بها ساخرًا:

- ما بدري يا اختي، كل ده من يوميتك.
- بقولّك إيه.. أنا كدَه، إذا كان عاجبك ولا أسيبهُولَك يتطّرْبَق فوق دماغك.
- خلاص خلاص روّق يا جميل، بقولِّك إيه.. فيه واحد عايز سهرة خاصة وهيدفع كتير ويراضيكي.

فتتوقّف أميرة عن السير، وتنظر له وهي تضع يدها حول خصرها:

- بقولّك إيه.. هو احْنا مش اتكلّمنا في السيرة المهببة دي قبل كده وقولنا إن أنا أخري الرقص، أنا مش هتباع تاني يا شرف.. قال شرف قال، ولَا عندك ريحته.

وتسبق أميرة شرف في خطوات غاضبة، وهو يتبعها وهو ينظر لها في مكر وعيون جائعة؛ ليباغتها بالحديث:

- فيه إيه يا ست البنات؟ هو الواحد مايفُكّش معاكي بالكلام شوية! استنّي فيه تاكسي جاي أهُو هشاورلُه... فاضِي يا أسطى؟ ادخلي يا جميل يا رافعة راس الحارة.

استقلّا التاكسي إلى الكباريه، لتقابلها إحدى صديقاتها التي تعمل معها، وتتهامسان معًا:

- بقولّك إيه يا بت يا زوز.. ماتيجي تقعدي معايا على الترابيزة دي، دول عرب كلهم ومعاهم فلوس ياما، ومش عاوزين حاجة غير شويّة دلع وبس، إيه رأيِك؟

فتضحك زوز «أميرة» ضحكه رقيعة:

- إذا كان كده مايضرّش، يلّا يا بت.

وفي هذه الأثناء توجّه شرف ليخرج خارج الكباريه عائدًا إلى الحارة، صعودًا إلى منزل أميرة، ويطرق الباب؛ فتفتح بعد برهة وفاء..

- أيوَه جايّه أهو، انتي جيتي بدري النهاردة يا أميرة؟ الحمد الله.

وتفتح وفاء الباب وهي حاملة عروستها؛ فهي تحتمي فيها من وحشة الليل، وتتفاجأ بشرف:

- إيه؟ فيه إيه يا شرف؟! إيه اللي جابك في وقت متأخر زي ده؟!

- أصل أختك وهي في وردية الليل في المستشفى تعبِت قوي وأغمَى عليها وحجزوها، واتصلِت بيّا عشان أجيبِك عندها، أصلها تعبانة قوي.

- يا حبيبتي! ثواني بس يا شرف أغيّر هدومي وآجي معاك، طب تقول لباباك «الأسطى حسن» يجي معانا.
- ولزمتُه إيه الحاج؟ ما أنا معاكي أهو، وبعدين الحاج دلوقتي نايم.
- طب خلاص مفيش داعي.
- يلّا بسرعة بس شهِّلي، وأنا هستناكي على أول الحارة.
- حاضر.. على طول أهو.

وترتدي وفاء ملابسها مسرعة وهي في غاية القلق، وتقول على لسان حالها: أميرة بتتعِب نفسها قوي، وكل يوم بترجع مش قادرَة تقف، كان لازم أساعدها، وبعد ارتداء ملابسها تذهب مسرعة مهرولة إلى أول الحارة لتلحق بشرف، وتجد شرف منتظرها بتاكسي، ويفتح لها الباب ويقول لها:

- يلّا بسرعة مفيش وقت.

طوال الطريق ووفاء قلقلة وتفكّر في أميرة، وتريد أن تصل بأقصى سرعة وشرف يطمئنُها، إلى أن وصلا إلى وجهتهما، وفتح باب التاكسي وقال لها:

- يلّا يا وفاء انزلي.

بدأت نظرة عينيه تتبدّل، ووفاء تنظر له في دهشة!

- إيه ده؟! هو احنا فين؟ فين المستشفى؟! عايزَه أروح لأختي.
- انزلي بس يا قمر وأنا هودِّيكي لأختك.

نزلت وفاء في خطوات مترددة سائرة معه، وإذا بها تجده يتوجّه بها إلى

داخل الكباريه؛ فتندفع في الحديث بتوتر:

- أنا مش هدخل هنا، أنا عايزَه أروح لأختي.

- ما هي أختك جوّه!

أمسك شرف بذراعها بقوة وسحبها عنوة داخل الكباريه وهي مذعورة، ثم دفعها على إحدى الطاولات أمام أحد الساكرين، ونظر لها في شذر:

- اترزعي هنا!

ويوجه الحديث إلى الرجل على المنضدة:

- جِبْتلَك أحلى مزة يا معلم، إيه رأيك؟

- دي لوز قوي، إيه الجمال ده!

- وخام زي ما طلَبْت.. تمام؟

- امشي دلوقتي وأنا هبقَى أشوفك.

وفي هذه الأثناء كانت أميرة ترقص وتتمايل وهي في شدة السكر، وانتابت وفاء حالة من حالات الذعر التي تتملّكها، وتتحول إلى طفلة كعادتها عندما تخاف وتبحث عن عروستها في كل مكان تحتمي بها من الخوف؛ فهي كانت رفيقتها في كل الأزمات، والرجل الجالس معها سعيدٌ للغاية، يباغتها بكأس يريدها أن تشرب وهي فزعة، وشرف يتابع ما يحدث وهو جالس على البار يحتسي كأس خمر، ويشاور لأحد الزبائن بالكأس كأنه انتصر، وتلمحها أختها أميرة وهي لا تعلم ما تراه حقيقة أم خيال! وتحاول أن تجمع كل تركيزها وتتأكد أنها وفاء؛ فتذهب

لها مسرعة وهي تترنّح؛ فيراها شرف ويحاول اللحاق بها، ويتواجه الثلاثة هناك، وتبدأ أميرة بإلقاء الكلمات بصوت عالٍ وغاضب:

- وفاء! إيه اللي جابك هنا؟!

وتمسك أميرة بكتفَيْ أختها وتهزها بقوة:

- ردّي عليّا هنا بصيلي.. بتعملي إيه هنا؟

ويزداد توتر وفاء ويرتعش جسدها من الخوف، وتتسارع دقات قلبها، وتنظر لأختها باندهاش! ولكن لا تقوى على الكلام، اكتفت بلغة العيون التي بها عدة تساؤلات... كيف وصلَت أختها أميرة إلى هنا؟ وما هذه الحالة التي بها أختها؟! وتهزها أختها ثانية بقوة وتشدها لتقف:

- قوليلي إيه اللي جابِك هنا؟!

فتنظر إلى شرف نظرة خوف، ويزداد توترها ويعلو نفَسُها؛ فتفهم أميرة أنه مَن جاء بها إلى الكباريه؛ فتلتفت له في غضب وهي تعضّ على شفتيها، وتقول له بصوتٍ غاضب وعالٍ:

- انت عايز تضيّعها زي ماضيّعتني؟ لا وألف لا، ده أنا أدفنك هنا.

وتكسر الكأس الذي كانت تحمله؛ ليصبح طروفه حادة، وتوجهه نحوه وتقول له:

- أنا هقتلك يا عديم الشرف يا واطي، مش كفاية اللي عملته معايا زمان، دلوقتي عايز تعيد القصة مع أختي؟ يا شيخ خلّي عندك ذرة شرف، ده كل واحد ليه نصيب من اسمه، لكن انت لا اتفووه عليك يا ناقص.

فيرد عليها شرف في تبجح ونبرة تحدٍّ:

- بقولّك إيه... سيبِك من الشويتين بتوعك دول، اللي أنا عايزه هيتعمل، والبت دي هتروح مع المعلم وأنا قبضت تمنها، مش انتي أخرك الرقص، خلاص مالكِيش فيه! انتي فاكرَه إني هخاف من اللعبة اللي في إيدك؟! يلّا ياحلوة روحي كمّلي شغلك لحسن هفضحك في الحارة كلها وأخلي اللي مايشتري يتفرج عليكي يا.. زوز.

فتسحب أميرة أختها خلف ظهرها، وتباغته بضربة بالكأس في رأسه؛ فيقع على ركبتيه والدماء تسيل على جبينه وعينيه ويتألم، ويزداد غضب أميرة وعنفها، وتنهمر دموعها وتبدأ بتوجيه وابلٍ من الاتهامات لشرف، وتذكّرُه بما حدث من قبل منذ لحظة أن منعها من دخول منزلها وقت الحريق لتنجد أمها.

- انتَ فاكر أول مرة ارتميت بين إيديك كان امتى؟ يوم الحادثة.. اليوم ده كان أسوَد يوم في حياتي، قعدت تواسيني وتطمّنّي ووقفت جمبي انت والأسطى حسن أبوك في مرض أبويا لما فاق في المستشفي، بَصّ لقى نفسه مش شايف حاجة بعنيه، وحَسّ بعجزه أكتر لما عِرِف إن ماما ماتت وهو معرفش يعملّها حاجة، وأنا وثقْت فيك وحبِّيتك.. حبِّيتك قوي!

وتمسح أميرة دموعها، وتكمل حديثها وهي تشعر بكرهٍ وغضب جامح:

- وانتَ بِعتنِي وغدرت بيّا، ودبحتني بسكّينة تِلمة، فاكر لما أبويا تعب وكان عايز عملية وفلوس كتير، انتَ ساعتها وهمتني بإنك هتساعدني، وإن انتَ سندي واستغلّيت ضعفي وقتها.

وتتنهنه أميرة من كثرة البكاء، وتشهق شهقة مزّقَت قلبها حزنًا، وأكملت حديثها وقد تجمّع حولهم كل من في الكباريه وكأن الزمن توقف في تلك اللحظة، وكأن الجميع صامت بلا حراك عدا هُمْ.

- انتَ قولتِلِي تعالِي معايا أنا أعرف واحد صاحبي غني قوي.. مليونير وكريم قوي، أنا هخليه يدفع كل المبلغ اللي انتي عايزاه وأبوكي يعمل العملية ويخِفّ، ما هو انتي حبيبتي وماتهونيش عليّا، وروحت معاك ولقيت واحد مستنيني ونهشني غصب عني، وانت قاعد مستنّي الحساب! ويا ريت الفلوس نفعِت أبويا اللي مات بعد ما عمل العملية، وبقيت لوحدي، انتَ قتلتني.. دمرتني، ودلوقتي عايز تضيّع الغلبانة دي اللي أنا دلوقتي بكمّل عشانها؟ بس بمزاجي المرادي، وباخد اللي أنا عايزاه وبشروطي، اسمع.. لو قرّبت منها تاني أنا هقتلك، انتَ فاهم؟

وألقت أميرة الكأس الذي كان بيدها على الأرض، وسحبت أميرة أختها من يدها وتجري بها هاربة خارج المكان، وأختها تنظر لها في شفقة، وشرف ملقًى على الأرض يتألم، ولكن جذب ذراعَ وفاء المعلّم.. هذا الرجل التي كانت جالسة معه، وقال لها بصوت أجش:

- انتي رايحة فين؟ أنا محاسب على الليلة، مانْتِيش ماشية.. لازم آخد حق اللي أنا دفعته!

فتحاول أختها شدها، ولكن المعلم متمسك بها، ووفاء تحاول ضربه وتقول له:

- سيبني سيبني.

وتصرخ أميرة في المعلم وتقول:

- سيبْها أحسنْلَك.. ماتجنّنِيش.

وفجأة يقوم شرف من على الأرض ويلتقط الكأس من الأرض، ويتوجه إلى المعلم ويلقي النقود في وجهه وكأن استيقظَت بداخله ذرة شرف، ويضرب المعلم في ذراعه ليترك وفاء؛ فتحتضن أميرة وفاء بقوة، ويدفع المعلم شرف ويلكمه، ويلتقط من يده الكأس ويضربه ضربة قوية أسقطته أرضًا مُدرّجًا في دماءه، وتجري عليه أميرة صارخة باسمة لتأخذه بين ذراعيها؛ فيلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها؛ فنظرَت لوفاء وتنهض وتأخذها وتخرج من هذا المكان عائدة إلى المنزل، ويدخلا غرفتهما، واحتضنَت أميرة أختها بحنان، وأختها تمسّكَت بها وظلّت بين ذراعيها حتى غفيا الاثنتان.

أشرق نور الصباح، وسمعَت أميرة صوت عصافيرها؛ فذهبت لتطعمها كما كانت من قبل، ثم فتحت لهم باب القفص لتطلق العنان لأجنحتهم تداعب الهواء، وتستيقظ وفاء وتقف بجانب أختها وهي مبتسمة، وتضع يدها على كتف أختها وتُلقِي بعروستها؛ فتنظر لها أميرة وتحتضنها.

****

وهنا قد وضعَت أمل قلمها، وبدأ النوم يداعب جفونها؛ فأتاها النوم باكيًا كما وعدتْه، وسحبَت غطائها حتى رأسها، ثم كشفت وجهها وهي تقول:

- تقعدوا بالعافية.

تمت بحمد الله

٣ـ أحببتك أكثر من قطتي

الشيماء محمد الصلاحي

يخرج الأستاذ المبجّل (طاهر الزيني) من المصلحة التي يعمل بها شمس لبلوغِه سن التقاعد (المعاش) في حفل لائق ومرتّب، يتسلم درع المصلحة وشهادة تقدير، ويصفّق الحاضرون باكين؛ فقد كان لهم أبًا قبل أن يكون زميلًا، يهبط من على منصة التكريم ليسلّم على الحضور سلامًا عاديًا، ويختصّ شمس بسلامٍ حار، ويحتضنه حضن أبويّ؛ فيبكي شمس، فيواسيه قائلًا:

– الدنيا فراق ولُقا.. نلتقي لنفترق، ونفترق لنلتقي.

عاد شمس إلى البيت من الحفل في حالة حزن يُرثَى لها وكأنه قادم من عزاء لا من حفل، تحاول أمه «الحاجة ماجدة» أن تحادثه لعله يخبرها ما به، لكنه قليل الكلام والحديث عمّا يخصّه، تلك عادته، وعصبي جدًا، أتَت عصبيته ممّا حمله على كاهله من مسؤولية أمه وأخواته البنات منذ وفاة والده، كان حينها مراهقًا عمره ١٨عامًا، أصبح بوفاة والده ربَّ أسرة ومعيلًا، هو الآن عمره تجاوز الرابعة والثلاثين، لم يشعر بمرور عمره، لم يتزوج ولم يتقدم حتى لخطبة أية فتاة، ذلك كان قرارًا مؤجّلًا لديه حتى يتزوّج أخواته البنات الاثنتين، وقد تزوجتا منذ سنوات، وما زال القرار

مُؤجلًا لديه، تشعر أمه بحزنه رغم صمته، خاصة عندما يشرب السجائر بنهمٍ كأنه يتنفس بها لا يدخنها!

منذ يوم حفلة معاش الأستاذ (طاهر) وشمس على حالته؛ قد مرّ وقت وحالُه لا يتغير؛ صامت وسارح مع زملائه، وحتى في بيته مع أمه، قد كان الأستاذ (طاهر) ونيسَه وجليسه؛ فقد كان على أمل أن يقابله كما وعده من وقت لآخر بعد خروجه من المصلحة، لكن ذلك لم يتحقّق؛ فقد سافر لابنه الذي يقيم بالسعودية ليقضي مناسك العمرة ويبقى لموسم الحج، وربما لا يعود، الوحدة قاتلة والأيام بطيئة، ويعود شمس من العمل ليفاجِئَ أمه بأنه قد أخذ أجازة لمدة أسبوع؛ فرصيد أجازاته السنوية كاملًا، هو يشعر بخنقة وضيق ويريد أن يحسّن من حالته النفسية، ويطلب منها أن تَجْهَزَ للسفر، فقد قرر أن يذهب لأخته الصغرى التي تقيم في الإسكندرية؛ ليقضي أجازته هناك، وبالفعل يسافر مصطحبًا أمه معه، وكعادته يقيم في الفندق المطلّ على البحر ككل مرة يزور أخته فيها، هذه عادته وشخصيته.. عزيز النفس لا يريد أن يكون ثقلًا على أحد وإن كانت حتى أخته.

وفي الفندق المطل على البحر يقف شمس شاردًا يستنشق هواء البحر سارح مع أمواجه المتلاطمة، ومشعلًا سيجارته الرابعة أو ربما السابعة؛ فما عاد يعُدّ من كثرة ما دخّن، وإذا فجأة يلمحُ مجموعة من القطط التي لا حصر لها ولا عدد تأتي من كل فجّ عميق مجتمعة وكأنها تلبّي نداءً، شخص يناديها باسمها؛ فيشد المنظر انتباهه ويركّز جيدًا، ليجد شخصًا يحمل كيسًا ممتلئًا بأسماك مختلفة الأحجام ويلقيها على الأرض للقطط، والغريب في ذلك أن القطط لا تهاجم، بالعكس؛ فالكل ينتظر نصيبه

وكأنهم مدربون! ويدقّق في النظر؛ فالرؤية بعيدة بعض الشيء؛ لأنه في الطابق التاسع، ليجد أن ذاك الشخص الذي يحمل كيس الأسماك تسقط قبعته من على رأسه وهو ينحني ليمسح على رأس قطة صغيرة، تعرُج وقفَت بين القطط، ولتكن المفاجأة عندما تسقط القبعة من على رأس ذلك الشخص يتضح إنها فتاة، وبسقوط القبعة تنحلّ رابطة شعرها؛ فيتهافت خلفها على طوله الذي يصل إلى ركبتيها، كان يشاهد شمس المنظر بدهشة.

ظل ذاك المشهد يتكرّر لمدة ثلاثة أيام لا ينقطع، في نفس الوقت الرابعة عصرًا، كان يقف شمس ينتظر فتاتَه بلا موعد منها، معجبٌ وَلهان بقلب لأول مرة ينبض بمشاعر تجاه أنثى لا يعرف كيف يترجمها، رغم أن الشيب بدأ ينتشر في شعره الأسود، لكنه ما زال في مشاعره مراهقًا يجهل خطوات الحب الأولى، كان شمس في الإسكندرية يقضي يومه ما بين الفندق وبيت أخته، وفي اليوم الرابع تصر أخته أن يبيت معهم؛ لان زوجها مسافر في مأمورية خاصة بعمله مما يضطره للمبيت خارج البيت، فينام شمس عند أخته.

يده بيدها وهي تحمل تلك القطة العرجاء، وتبتسم وتتمايل بشعرها الذهبي اللامع، وخصرها المنحوت وقوامها الفاتن، وكأنها حورية البحر على الأرض! يمسك خصلات من شعرها ويستنشقها؛ فيجدها بملوحة البحر، ويقبّل يديها وجبِينها، ويعِدُها بأنهما لن يفترقا، ويقترب منها أكثر لتغرق بين أحضانه.. وفجأة يؤذّن الفجر؛ ليوقظه من حلمه الذي أراد الله أن لا يكتمل؛ فيقوم ويتوضأ ويصلي متمتمًا في نفسه: اليوم لم أرَها؛ فجاءت هي لتزورني في منامي، لابد أن أعرف من هي؟!

شغلَت تفكيره وفضولَه فتاة القطط، يعود للفندق وينتظر أن تأتي الساعة الرابعة عصرًا، ويقرر أن يراها عن قرب، وقف أمام باب الفندق منتظرها، ينظر في ساعته وينظر على الطريق، تتأخر؛ فقلق وخاف ألا تأتي، وفجأة ظهرت أمامه، وفعلَت مثل كل يوم؛ أتَت ومعها السمك وتجمّعَت القطط، ظل يراقبها عن بعد إلى أن انتهَت، لم يجرُؤ أن يحادثها، فماذا يقول؟! هو ليس له أية تجارب مع الجنس الناعم، وجد نفسه بلا إرادة يمشي خلفها؛ فوجدها تسير على الكورنيش ثم تسلك طريقها لبيتها، والذي حفظ طريقه جيدًا ثم عاد، لكن قلبه ظل معها، تمر الأيام سريعًا وتنتهي الأجازة، وفي آخر يوم فيها انتظرها أن تأتي، لكنها لم تأتِ في ميعادها، حاول أن يطردها من تفكيره أو يخرجها من أحلامه، لكنه فشل؛ فهي (حورية البحر)،و(فتاة القطط) كما سمّاها، فيجهز نفسه هو وأمه للسفر، وقبل الميعاد كانوا عند محطة القطار؛ فهو يهوى السفر به، يجلس في المحطة ينتظره، وفجأة تقع عينه على القطة العرجاء التي رآها في منامه والتي رآها في الحقيقة، يجد نفسه تلقائيًا يذهب إليها ليحملها، لكنها تخاف وتجري منه؛ فيجري وراءَها؛ ليصطدم بها هي بعينها فتاة القطط وجهًا لوجه، لكنها لم تتكلم، راح ينظر إليها متأملًا جمالها يتصبّب عرقًا، كل ما لفظ به لسانه لها آسف، ابتسمَت له حتى احمرّ خديها خجلًا.

ومع صفارة القطار كان قد ركب هو وأمه للعودة، طول الطريق كان شاردًا ويلعن نفسه ألف مرة؛ لأنه انعقد لسانه ولم يحادثها، يلعن جبنه وقلة خبرته، لقد هيّأ له القدر أن يلقاها، لكنه عجز أن يغتنم الفرصة، مرّ يومان على عودته من الإسكندرية كانا العذاب بعينه؛ فشوق لا

ينطفئ، صورتها لا تغيب عنه لحظة، كل يوم تأتي له في حلمه تحمل قطةً جديدة، زاد الشوق وأحرقه، ما عاد هناك سبيل للانتظار، قرر فجأة أن يعود إليها دون أن يخبر أحدًا وجهته، ضلّلَ أمه بإخبارها أنه ذاهب في مأمورية خاصة بعمله لأسوان، لم يخبر أخته ولا أحدًا عَقْدَ نيته للذهاب سرًا؛ ليلبي نداء قلبه الأول، أخذ أجازه للمرة الثانية من عمله ليستنفذ بها كل رصيد أجازته السنوية، وسافر فجرًا ليصل قبيل الظهر للإسكندرية، وفي الرابعة عصرًا كان يقف منتظرًا على شوق أن تأتي فتاته، وأتَت في ميعادها؛ فظل يراقبها من بعيد، ما زالت الرهبة تجتاحه.. هو يعشقها سرًا ولا يعرف من هي، انتظرَ حتى انتهت من إطعام القطط، وسار خلفها فوجدها تسير على الكورنيش لتصل إلى بيتها، حفظ الطريق جيدًا ثم عاد من حيث أتى، في اليوم التالي وفي الرابعة عصرًا.. ميعادها الذي ينتظره منذ أن استيقظ وكأن يومه يبدأ الرابعة عصرًا، حدث ما أحزنه، لم تأتِ؛ فوجد نفسه ينزل من الفندق وبلا وعي وذهب إلى بيتها؛ فقد حفظ الطريق من المرة السابقة، لكن هو لا يعرف ماذا يفعل؟ وكيف يجدها؟! وقف وقتًا أمام منزلها بلا فائدة؛ فقرر أن يمشي، وفجأة سمع صوت قطط؛ فنظر وجد طفلة تشبهها كثيرًا في لون شعرها وملامحها، تحمل قطة صغيرة، خمّن أنها أختها الصُغرى ووجدها فرصة أن يحدثها، فقال لها أنه يبحث عن عنوان وطلب أن تدله× فردت عليه الطفلة أنها لا تعرف، ولكنها ستدخل وتسأل أختها، وظل منتظرًا؛ فوجدها تطلع إلى البيت وعلى السلم، كانت هي فتاة القطط تكنس الأرض؛ فاختبأ خوفًا من أن تراه فتتذكّره! فوجد أختها تحدثها بالإشارة، وكانت تلك صدمته.... حبيبته وفتاة أحلامه بكماء، وجرَى من أمام البيت، بل أنه هرب؛ ليعود إلى فندقه وهو متأكد بأن

ما داخله هو حب ١٠٠٪ ومن أول نظرة، ظل يفكر كيف يتقرب منها ويحدثها؟ وفجأة تذكر القطة، فنزل إلى الشارع يسأل عن محل يبيع قطط، واشترى قطة ثم ذهب واشترى آخر شيء توقع يوميًا ان يشتريه؛ كتاب (لغة الصم والبكم)، وقضى يومه بين حفظ لغة الإشارة والاهتمام بالقطة، ونامت بين أحضانه.

قضى شمس ثلاثة أيام يقرأ في كتاب الصم والبكم، وتجاهل العالم كله، لم يرد علي اتصالات أصدقائه في العمل ولا أخواته، ونادرًا ما كان ليرد على أمه، انعزل عن العالم بفتاة القطط، عشقها وهو لا يعرف عنها حتى اسمها، سماها فتاة القطط لحين ان يكتشف من هي؟ التي سرقت قلبه، أما عن القطة فكانت هي شغله الشاغل، يؤكّلُها ويلاعبها وينام وهي بين أحضانه، ولكن ماذا بعد؟! اقتربت الأجازة الثانية علي الانتهاء، لابد أن يأخذ خطوة، كان يحدث نفسه وهو يمسك القطة ويقف في الاستراحة الخارجية للفندق وينتظر ميعادها اليومي الرابعة عصرًا، وفجأة تجري القطة من بين يديه مسرعة عندما تشم رائحة السمك، وتختفي وسط القطط الباقين، فما عاد يجدها بنظره فغطّاها تزاحم القطط وكأنها غطست بينهم، وفجأة تجدها تحمل قطته إليه، وتعطيه ثلاث سمكات كبيرة، ويبدأ في محادثتها بلغتها التي تعلمها هو لا يتقنها، لكنه يجتهد، تبتسم له ولحركاته البطيئة؛ فكان في قمة الخجل والإحراج، ترفع عنه ذلك لتخبره بأنها بكماء وليست صماء، يمكنه أن يتحدث بلسانه؛ فيصبح الحديث أسهل وأطول؛ فأخذ يحدثها عن نفسه وهي تسمع كلامه وتبتسم خجلًا وفي عينيها نظرات تطلب المزيد، ولأن الوقت في حضرة المحبين يمر خلسة تذهب وينسى أن يسألها عن

اسمها، ولكنه سماها وقُضِي الأمر(فتاة القطط)، كان سعيدًا جدًا وكأنه يملك العالم كله، لم ينَم من فرحته، ولكن فرحته لم تدم، ليهتز هاتفه الجوال معلنًا وصول رسالة من أخته الكبرى تخبره فيها أن أمه قد مرضَت فجأة وهي في العناية المركزة، بسرعة البرق كان في طريق للعودة، وظل يتصل من حين لآخر على أخته ليطمئن على أمه، شعر بذنب.. خاصة عندما أخبرته أخته أنها اتصلت عليه كثيرًا وهو لا يرد؛ فوضع أمه الصحي غير مستقر، وفي حزنه على أمه الشديد كانت (فتاة القطط) في باله، لكن تفكيره كله منصبّ على أمه، وأما عن القطة فكانت بين يديه لم يتركها ولن يتركها أبدًا!

في المشفى كان الجميع حاضرين، وهو آخر من وصل، حتى أختيه والأحفاد، ولقد مُنِعَت الزيارة؛ فالكل يقف في الخارج، وهو أتى ومعه القطة، انشغل الأحفاد باللعب واللهو بالقطة، وهو ظل بين الحاضرين صامت كعادته وضميره لم يرحمه؛ يجلده كيف ترك أمه وجرى وراء سراب؟ وكعادته بقراراته المتسرعة قال في نفسه (قطط وبنت وحب، لا أنا أرجع كما أنا.. الحب فات أوانه)، وفجأة يخرج من شروده على صوت الطبيب الذي يخبرهم بأن أمه تطلب ابنها؛ فيدخل مسرعًا إليها، تحدث أمه، فقالت له أنها أدّت واجبها معهم على أكمل وجه، وكل ما كان ينقصها أن تراه عريسًا وأبًا، وطلبَت منه أن يعدها بأن يتزوج وفي أسرع وقت، ثم توقفت عن الكلام وانقطعت الأنفاس، ورحلت التي كانت الأم والأب والسند!

***

وفي مكان آخر على كورنيش الإسكندرية في الرابعة عصرًا لليوم التالي

كانت هي فتاته تقف بين قططها تنظر إلى استراحة الفندق؛ لعلها تجد صاحب القطة، لكنها وجدَت انه غير موجود ولن يكون موجودًا، وأدركت أن ما جاء في خيالها أنه معجب، خاصة أنها تذكرته يوم المحطة، ما هو إلا عطف من شخص رأف بحالها، هي لا يمكنها أن تكلم ولا تهوَى ولا تحب سوى القطط؛ فحالها من حالهم هم أيضًا لا يتكلمون، قالت ذلك في نفسها، وحتى لو أعجبَ بها وأحبّها من يتزوج البكماء؟! فهو لا يعرف شيئًا عنها، ما فائدة أن تحبه ثم يأتي يوم ويفترقون؟! ذهبت إلى بيتها حزينة مخذولة، وقررَت أن تبعد عنها الأوهام لتعيش بسلام.

بعد ثلاثة أيام العزاء قررَت الأختان مغادرة منزل العائلة؛ فكلٌّ له حياته الخاصة، اعتذر أختاه له وهو تقبّل عذرهما، وذهبَت كل منهما إلى حياتها، وظل شمس مع وحدته محتضنًا قطته التي سمّاها ماجدة.

مرت الأيام سريعًا جدًا وقد قرر شمس أن ينسى فتاة القطط للأبد، وحمّل نفسه وزر موت أمه، لو كان بجانبها ما حدث لها مكروه، كم كان أنانيًا وابنًا غير بارٍ! كهذا كان يؤنب نفسه ويلومها، استكمل حياته بروتينها الملل، ولكنه بعد فقدِ أمه أصبح مملًّا وقاسيًا، يذهب إلى العمل ويعود لينام باقي اليوم بعد أن يتناول وجبة الغذاء من يد تلك الخادمة التي أحضرتها له أخته لتعد له طعامه وتنظف له المنزل، ثم تغادر بمجرد عودته من العمل، يحاول أن ينساها، لكنها عالقة في ذهنه وبقوة، وخاصة عندما ينظر إلى قطته، أما عن فتاته فهي لا تقطع عادتها في إحضار السمك للقطط الرابعة عصرًا، وكل يوم تقف وتنظر وتبحث عنه في استراحة الفندق.. ما زالت تذكُرُه! هو أول شخص يكلمها بلغتها، وتُرى حبًّا في عينيه صادقًا... فكيف تنساه؟!

عادت من الخارج تحمل كيس السمك، فإذا بها تجد جدّها الضرير طريح الفراش ويسعل بقوة؛ فدواءه قد نفدَ وهو لم يخبرها، يعلم أنها ليس معها ما تشتري به؛ لتخبره بأنها ستنزل لتحضر الدواء، ليقول لها: لا أنا أصبحتُ بخير، لكنها تصر وتدخل لتبدّل ملابسها فتغيب بعض الوقت، ثم تخرج بعباءة سوداء مطرّزة، وتخرج لقدرها التي سئمت منه، لكنه لا يسأم منها، ثم تقبّل جبين جدها وتوعده بأنها ستحضر له دواءً وتعود، تنزل في طريقها التي تعلمه، تركب الترام لينقلها إلى عملها الذي قد انقطعت عنه مدة، في طريق تشردُ مع ذكرياتها أول يوم خرجت مع جدها وإيهاب لتشتري قطة وهي في سن الخامسة عشر، تذكر كيف حملها إيهاب عندما انقطع حذائها؟! ورفض أن ينزلها إلى الأرض حتى باب البيت، كان إيهاب هو ابن عمها الوحيد؛ فكانت تسكن مع عمها وزوجته وجدّها وأختها الصغيرة قمر، التي كانت رضيعة حينها، رحلَت أمُّها مع أبيها إلى الله عز وجل في حادث مأساوي لقطار، وشاء القدر أن تنجَا هي وأختها، هذا هو الجانب المضيء من حياتها، وأما عن الباقي المظلم فهي لا تودّ أن تتذكّر ظلمته وقسوته وآساه؛ فهي لا تريد أن تحكيه حتى مع نفسها، إيهاب كان لها ونيسًا ومعلمًا في صغرها وحبيبًا في مراهقتها، ووَغْدًا عند اكتمال عقلها وجسدها! لا تريد أن تستكمل ذكرياتها مع إيهاب، ولكنها تذكّرَت قطتها بوسي والعهد الذي أخذته على نفسها أن تطعم كل القطط التي تراها تخليدًا لذكراها وتزكيَة أيضًا لنفسها، توقّف الترام لتنزل إلى عملها، وبعد انتهاء عملها تعود إلى البيت؛ لتجد جدها وأختها نائمين، توقظ جدها لتعطيه الدواء وأختها لتأكل اللحم؛ فهي تأكل فقط الأسماك منذ ٣ شهور، أما هي فتدخل لتنام؛ فهي مرهقة جدًا، تنام وسط قططها؛ فهُم أسرتها وعائلتها.

****

في مكان آخر.. يجلس معها في بيته يتحدثان بلغة الإشارة، ويضحكان يغرقها بقبلاته؛ فتذوب هي خجلًا، هي تحمل قطة وهو يحمل قطة، لكن قطته تختلف كثيرًا عن قطتها؛ قطته عاديه جدًا ولون عينيها بُنِّي، أما قطتها غريبة جدًا، كل عين بلون مختلف عين خضراء وعين سوداء... قطة عرجاء وبلا ذيل شكلها مفزع، والغريب في الأمر أن تلك القطة تبدأ في مهاجمته بمجرد أن يلمسها، يستيقظ من نومه يصرخ مفزوعًا مستعيذًا بالله من شيطان كابوسه، أول مرة يرَى فتاة القطط في كابوس، كل أحلامه بها ورديه وجميلة، بدأ الحلم يتكرّر هكذا يومًا بعد يوم، وذهبَت الأحلام الوردية بها عنه، كل هذه كوابيس جعلت داخله صراعًا في أن يذهب ليراها وأن لا يذهب وينفذ قراره بسبب انشغاله بها! ماتت أمه... هكذا كان يرى!

ليحدث ما لم يكن علي الحسبان؛ فزوج الأخت الصغرى تصدمه عربة وهو عائد من العمل ويرقد في المشفى في حالة خطرة، هكذا أخبرته أخته علي الهاتف؛ فيذهب مسرعًا إلى الإسكندرية، ويحمل معه ماجدة قطته التي أصبحَت لا تفارقه، وفي طريقه بالقطار عزم قراره.. هو ذاهب لمواساة أخته والاطمئنان على زوجها فقط، ويؤكد لنفسه ذلك.

أما عن فتاته؛ فهي تستيقظ قرابة العصر، لابد وأن تذهب لتطعم القطط؛ فالوقت تأخر وسرقها النوم فتنزل وتشتري السمك، وتذهب لإطعام القطط وتعود مسرعة لتستعد للذهاب إلى عملها؛ فتجد أن جدها حرارته مرتفعة، فتهرول به إلى المشفى، وليشاء القدر أن تذهب للمشفى الذي بها شمس ليتقابلا عند المصعد.

يجدها في وجهه ويُصعق... هو يهرب منها كل مرة وهي تأتيه، نسيَ

أمر أخته وزوجها وتوقّف عقله ليسلبه قلبه الإرادة، تحدثا طويلًا عن كل شيء هذه المرة خلاف القطط، أخبرها بأن أمه ماتت.. أخبرها باسمه وعمله، حكى لها الكثير عنه وهي حكت له ما تريده فقط، وأخيرًا عرف اسمها(ليالي).

تجلس ليالي بجانب جدها في المشفى، تحدث نفسها.. لمَ تراه؟ ماذا يريد منها قلبها؟! هي لا تنكر أنها انجذبت له، لكن الحب لا يجلب إلا الوجع، هي أحبت مرة ودفعت الثمن، وما زالت تدفع! لا يجوز بأي شكل من الأشكال؛ فكما أن الطيور على أشكالها تقع القلوب أيضًا على أشكالها تقع، وقلبه لا يشبه قلبها أبدًا، هكذا رأت هي.

تغادر المشفى متوجهة إلى البيت؛ لتعد طعامًا لأختها وتستعد لعملها، هو لا زال يشغل بالها كلّما تحاول أن تخرجه من رأسها، تجده أمامها، لا مفر! حتى في عملها تقضي ساعات معدودة على غير عادتها، ثم تعود سريعًا وفي رأسها يدور حوار سمعته من شخص قابلته صدفة (الإنسانة الوحيدة اللي حبتها اتحدِّيت العالم وتزوجتها، ذبحتني وخانتني، تصوري خانتني مع السواق، هربت لكي أخونها لم أقدر.. وانهار بالبكاء) ذهبَت إلى بيتها وهذا الحوار عالق برأسها، كلام ذلك الشخص أثّر فيها كثيرًا، تُحدّث نفسها (الحب يحطّم الجميع، هناك ضحايا كثيرون ليس أنا فقط، حقًا الحب حطّمَني إلى أجزاء وأسقطني في بحر لا نجاة منه سوى الغرق فيه!) راحت تبكي حتى وصلت بيتها؛ لتحتضن قططها؛ فهم فقط مأواها.

علي الجانب الآخر كان شمس يجلس مع أخته بجانب زوجها في المشفى؛ فيرن تليفونه برقم دولي، كان المتصل الأستاذ طاهر، يرد بلهفة

يجده معزيًا له ويخبره بأنه خلال يومين سيكون بمصر ويريد مقابلته لأمر هام.

يتفق مع أستاذ طاهر هاتفيًا أن يقابله بعد يومين، يخرج زوج أخته من العناية لغرفة عادية؛ فيطمئن قلبه ويعود استعدادًا لذلك اللقاء.

في المقهى يجلس أستاذ طاهر مع شمس، وبعد السلام يتحدث أستاذ طاهر قائلًا:

- شمس، أنا عشت لوحدي، بس انت كنت جنبي وابني صح، أخوك في خطر.. ابني اللي من لحمي ودمي واقِع في بحر وبيغرق!

لكن شمس لم يفهم شيئًا من كلامه؛ فيوضّح أستاذ (طاهر) ويحكي له حكاية جعلته يُذهل قائلًا:

- ياسين ابني انت عارفه، ياسين حَبّ يعيش في السعودية بعد ما اتخرج ولقَى شغل كويس هناك، مارضِتْش أحرمه يحقق ذاته وحرَمت نفسي منه وضحِّيت... ربنا رزقني بيك تعوّضني عنه، وحَبّ ياسين، بس حبّه ماكانش شبهه.. حَبّ واحدة مش زيه لا دين ولا أخلاق ولا طباع، ورغم رفضي ليها اتجوزها! والكارثة إنها خانته، ابني اتدمّر دمّرُه حبّه جابه أرض، ياسين نزل مصر ماقالّيش ومعرفش عنه حاجة.

وبدأ يبكي حاول شمس أن يهدئه ويطمئنه، وقال له:

- انتم لما بتنزلوا أجازة بتروحوا فين مثلًا؟

رد الأستاذ طاهر:

- الإسكندرية.

رد شمس:

- تمام، أنا أختي هناك، هنسافر سوا، أنا لسّه جاي من هناك من يوم واحد جِيت عشان الشغل، رصيد أجازاتي كل اللي باقي فيه ٥ أيام، هسافر معاك ومش هنرجع إلا بيه ماتقلقش.

*****

وبدأ شمس والأستاذ طاهر رحلة البحث عن ياسين، ذهبا إلى كل الكافيهات وكل الفنادق التي اعتاد ياسين الذهاب إليها، ولكن بلا فائدة، ليعودا إلى الفندق مهلكين، بات (الأستاذ طاهر) مع شمس في الفندق وناما ليستيقظا ظهرًا، وفي الرابعة عصرًا كان يقف ينتظرها، وما أن جاءت (ليالي) حتى نزل إليها ليطعما القطط معًا، ظلا يتحدثان طويلًا، عرف عنها ما تريد أن تبوح به فقط... حبّها الشديد للقطط، أخبرته بأن كان لها قطة وكانَت سببًا في موتها، وهي تفعل ذلك تكفيرًا عن ذنبها، شعر بنقائِها وطيبتها، فتح لها قلبه، حدّثَها عن كل شيء يخصه، أما هي فلم تحكِ سوي القليل عنها وكأنها تخفي سرًا، وإن كان نصف ما قالت ليس الحقيقة؛ فتاة يتيمة تعيش مع جدها وأختها وتعمل في مطعم لتساعد جدّها.

مر يومان يذهب خلالهما شمس والأستاذ طاهر للبحث عن ابنه بلا فائدة، ويقابلها في الرابعة عصرًا ويتحدثا كثيرًا، أحبّها بل وقع في حبها، أما هي فلأول مرة تشعر بأن حب إيهاب كان لعنة لا حبًا، عرفَت معه معنى الحب والاهتمام والخوف عليها والنقاء، أصبح المتبقّي من أجازته يوم وعليه أن يعود لعمله، ولكن الأستاذ طاهر هل يتركه لوحده؟! يقرر قرارًا مفاجأة ويذهب وينفذه، قدّمَ طلب نقل لإسكندرية، خبر أفرح

أخته كثيرًا، وأفرَحَ أيضًا (ليالي)، حكى للأستاذ طاهر كل شيء حدث معه، شجّعَه أن يصارحها بحبه وأن يتزوجها؛ فالله يعوّض الصابرين، فاتَح أخواته بالأمر، اعترضا لكونها بكماء، لكن في الأخير وافقتا؛ لأن كل ما تريدانه هو سعادته، كل شيء مرّ بسلاسة، لم يبقَ سوى أن يصارحها.

جاء الغد.. شمس لم يغفل له جفن، سهر يقظًا ينتظر أن يقابلها بعد الساعات والدقائق؛ ليفتح قلبه لها ويقول لأول مرة كلمة أحبك.

ينتظرها في الرابعة عصرًا لم تأتِ، تهرب إلى عملها لتدفن نفسها فيه.. لتثبت لنفسها أنها قادرة على أن تتجاوزه؛ فلا يجوز أن تراه ثانية، لقد قرّرَت ذلك وقلبها يعتصر، ترى أن من الحب ما قتل وهي ماتت! وحتى لو أن قلبها ما زال ينبض لابد أن تغتاله قبل أن تُقتل للمرة الثانية، أما عن شمس.. فقد ظل ينتظرها حتى الخامسة شاردًا يفكر فيها، يوقظه تليفون أستاذ طاهر بأن أحد أقاربه رأى ابنه ينزِلُ من عمارة بمحطة الرمل ووصف له العنوان، ويقول له شمس نتقابل ونذهب سويًا، وبالفعل يتقابلا ويذهبا، دقا الباب؛ ففُتِح لهما على مصرعيه ظنًا أنهم زبائن، وفي نفس الوقت الذي تخرج فيه (ليالي) سكرانة تترنّح بلباس يكشف من جسدها أكثر مما يخفي، وفي يدها الخمر، أما عن من كان يتبعها؛ فهو ياسين.

صاعقة تحل على رأس الأستاذ طاهر وكارثة على قلب شمس، أدركا أنهما في شقة مشبوهة، مرت دقائق وشمس مذهول وأستاذ طاهر يبكي على ابنه بحرقة إلى ما وصل إليه، وينتهي الموقف بفرار ليالي تجري حافية القدمين، أما شمس فوقف ثابتًا ودموعه تنهمر على وجنتيه كشلال، لم يثُر.. تصلّبَ وتجمد مكانه، وكل ما قاله لها وهي تلوذ بالفرار:

- يا ليتني ما رأيت القطط ولا اشتريتُ قطة!

بعد وقت يتمالك نفسه ليسحب ياسين مع أبوه من هذا المستنقع القذر، ويسيروا إلى الفندق.

*****

مر الليل على شمس بألف ليلة، يسأل نفسه كيف انخدع؟! وكيف لم يرها؟! هل كانت تراه مجرد زبون؟! هل هي حقًا بتلك الوقاحة؟! ماذا كانت تريد منه؟!

يلعن نفسه ويلعن قلبه ويلعن القطة، وكانت تموء بين أحضانه؛ فيبعدها، بل إنه طردها خارج الغرفة.

راحت تجري (ليالي) على بيتها تريد أن تخبّئ نفسها من نفسها، لعنَت قلبها ولعنت حبها وبكت حتى تورّمَت عيناها، ثم جمعت شتات نفسها ونظرت في المرآة قبل أن تمسك دفترًا وتكتب له، ليست لتبرأ نفسها لكن لتخبره بأن القلوب ليست على أشكالها تقع، ربما تجبرنا قلوبنا على قلوب لا تشبهنا.. كتبت له:

(حبيبي، كنت أود أن يكون قلبي مثل قلبك وتتشابه قلوبنا، لكن نحن مختلفَيْن تمامًا، حتى أسماؤُنا مختلفة؛ فأنت الشمس وأنا الليالي المعتمة، لا نجتمع معًا إلا عند قيامة الساعة، لا أبرؤُ نفسي؛ فأنا مذنبة، وكل ذنبي أني أحبَبتُ إيهاب ابن عمي الذي استغل قلبي وجسدي وأني بكماء، أنا ولدت بعيبٍ خلقي في لساني يمنعني من الكلام، لكني أسمع.. تعلمتُ حتى حصلت علي شهادة الثانوية، حتى مات عمي ورفضَت زوجته أن أدخل الجامعة ورضيت، كان كل حلمي أن أتزوج إيهاب، كنت أفعل كل ما يطلبه مني.. أقابله سرًا.. أسرق لأجله، علمني كل

شيء سيء تحت عباءة الحب، لم يغتصِبْني لكني أنا سلّمتُ له نفسي باسم الحب، بعدها استعملني كسلعة يراهن عليّ في لعبة القمار إذا خسر، وإذا رفضت يتذني بأنه سيفضح أمري، أو يهددني بالقتل، لما طلبتُ منه الزواج تهرّب مني وأنكرني، كان الفقر ومرض جدي ومرض أختي بالقلب أجبروني على أن أستمر لأؤمّن لهم العيش، انحرفت.. أنا قد ضعتُ وقضي الأمر، لكن هم من حقهم أن يعيشوا ولو كان على حطامي، هكذا تلوثتُ بإرادتي، أما إيهاب فكنتُ بالنسبة له نقطة العودة التي يبعد ثم يبعد ثم إليها يعود، وفي كل مرة كان يعود إليّ كنت أقبل، كنت أحبه رغم كل شيء، الحب أعمى، كنت أصدق وعوده الكاذبة وتوبته الزائفة، إلى أن حبسني وعذّبَني لألبي طلباته ورغباته، ثم خطف قطتي ومنعني من أن أراها وهو يعلم كم أحبها؛ فهي تهوّن عليّ عذابي، هدّدَني بأنه سيقتلها إن لم أقل سمعًا وطاعة، ونفّذتُ ليأتي إليّ بها بعد ما فعلت له طلبه ميتة في قفصها، نسي أن يطعمها أسبوعًا؛ فماتت جوعًا وعطشًا، كنت منوّمة مغناطيسيًا باسم حب ملعون، كنت مراهقة ومغفلة، وعندما استيقظتُ كان فات الأوان، وكنتُ قد غرقت في ذاك البحر القذر وبِعتُ نفسي لشيطان بأرخص ثمن؛ فكنت أعاقب نفسي وأغرقها أكثر وأكثر، هي لا تستحق الطهر ولا العفو ولا الغفران، حاولتُ أن أطهّر نفسي من ذنب قتل قطتي؛ فصورتها لم تغادر مخيلتي، فأخذت عهدًا على نفسي أن أطعم كل القطط كل يوم ما دمتُ حية تخليدًا لذكراها وتطهيرًا لنفسي، لعلّ القطط تشفع لي وتبرأني من ذنبي، كل ما يسعني أن أقول لك هو.. أنني أحببتك أكثر من قطتي، لك الخيار بعد أن يصلك خطابي.. أن تربي قطتك أو أن تذبحها!)

****

بعد مرور خمس سنوات...

على كورنيش الإسكندرية أمام الفندق يقف شمس مع ليالي ابنته ذات الأربع سنوات وزوجته هند ليطعموا القطط، لتبتسم له زوجته قائلة:

- منذ أن عرفتك قبل زواجنا وفي خطوبتنا وبعد زواجنا وأنت تصطحبني معك لنطعم القطط، أخبرني السبب.

ليرد شمس:

- كانت لي قطة ذات يوم، وكنت سببًا في موتها، وقررتُ أن أطعم كل القطط تكفيرًا عن ذنبي.

تبتسم له زوجته قائلة:

- (أحببتك وأحببتُ القطط، لكني أحببتك أكثر من قطتك).

تمت بحمد الله

المحتويات

نوفيسـتوري.................................... ٥

الإهــداء.................................... ٧

الفصل الأول (وهـم الشـانزلزيه)........................ ٩

ظل حائط (رنيم محمـود)........................ ١١

أربعـة أقمار (نور العـربي)........................ ١٣

الوجـد (فاطمة محمـد)........................ ٢٠

كيف أصنع روحًا (سـارة العـربي)........................ ٣١

وهم الشـانزلزيه (نهـى رضـوان)........................ ٣٤

الفصل الثـاني (الملاذ الأخير)........................ ٤٩

بدايـات جديـدة (دينـا عيـد رأفـت)........................ ٥١

السـحر الخـادع (نـدى السـاعي)........................ ٥٤

الملاذ الأخير (أسـماء حمـودة)........................ ٥٨

لعنة جسـد (منـى إبراهيـم)........................ ٦٨

خاتم سـليمان (أميرة حسـن الكيكي)........................ ٧٥

الفصـل الثالـث (نقطـة التقـاء).....٩٥

افترقنا دون أن نلتقي (نورهان عماد).....٩٧

مـا بين ليلـة وضحاهـا (إسراء شـعبان).....١٠٤

نقطـة التقـاء (آيـة أحمـد).....١١٠

شـهد والوحش (مروة أسـامة).....١٢١

الفصل الرابـع (ملائكة وشـياطين).....١٣٧

المـلاك الذي أحبّ الشـيطان (سـارة أشرف بهـو).....١٣٩

شـيطان ذو قلـب نابـض (لُجـين كريـم عـرابي).....١٥٨

وثالثهـما الشـيطان (بسـملة محمـود).....١٧٣

الفصـل الخامس (أمـيرة الظـلام).....٢٠١

بحـر (منـة محمـد).....٢٠٣

أميرة الظـلام (دينا هاشـم).....٢١٦

أحببتـك أكثر من قطتي (الشـيماء محمد الصلاحي.....٢٣٢

المحتويـات.....٢٤٩